# التّـفسير الجَامع

فضيلة الشّيخ الدّكتور محمّد عبد السّتّار السّيّد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَة

القرآن الكريم معجزةٌ خالدةٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ، وعطاؤه متجدّدٌ لا ينفد، وكلّما تطوّر العقل البشريّ استطاع أن يستمدّ من القرآن الكريم وعلومه ما يوافق التّطوّر العلميّ الّذي وصل إليه.

وآيات القرآن الكريم مكتنزةٌ بعطائها العلميّ والفكريّ والرّوحيّ، وهو كتاب هدايةٍ، فيه إشاراتٌ علميّةٌ لا يمكن أن تُصادم العقل البشريّ في أيّ زمنٍ من الأزمان.

وهذا التّفسير هو محاولة تدبّرٍ لآيات كتاب الله؛ امتثالاً لأمره ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمّد]، متمسّكين بهدي نبيّنا محمّد ﷺ، فهو الّذي عليه نزل وبه أخذ وعمِل، فقد كان ﷺ قرآناً يمشي بين النّاس في نهجه وسيرته وسلوكه وهديه وأقواله وأفعاله، وبالعلم الّذي به أمر ﷺ.

فكان هذا التّفسير الجامع محاولةً عصريّةً للأخذ من عطاء القرآن الكريم الّذي لم يفرغ في زمن النّزول، وإنّما تعدّى كلّ العصور، ومواكبةً لتطوّر العقل البشريّ ومعطيات العلم الحديث في فهم النّصّ من خلال التّفكّر والتّعقّل والتّدبّر الّذي أمر به القرآن الكريم: (أفلا يعقلون، أفلا يتفكّرون، أفلا يتدبّرون، أفلا ينظرون).

والله وليّ التّوفيق

الشّيخ الدكتور محمّد عبد الستّار السيّد

# الجُزءُ الثّالث عشر

## سورة يوسف من الآية (٥٣-١١١)

## سـورة الرّعد

## سـورة إبراهيم

**(الآية ٥٣) - ﴿*وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾:**

﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾: النّفس تأمر بالسّوء في كثيرٍ من الأحيان، وقال بعض العلماء: إنّ امرأة العزيز عندما قالت: ﴿*وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾، وصل هذا الكلام إلى يوسف عليه السلام فقال: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾.

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾: رحمة الله سبحانه وتعالى تقي من الوقوع بالسّوء.

﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: كأنّه طلب لها المغفرة والرّحمة من الله سبحانه وتعالى.

**(الآية ٥٤) - ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤﴾:**

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾: أي أن يكون مستشاراً خاصّاً خالصاً لي، للمشاورة والعمل معي.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾: معنى هذا أنّ يوسف عليه السلام قد قَبِل وخرج من السّجن، وذهب إلى الملك وتحدّث معه.

﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾: ممكّنٌ ولك مكانةٌ لا تُزعزعها الإشاعات والوِشايات؛ لأنّ يوسف عليه السلام خاف أن تحدث وشايةٌ أخرى من كثرة ما تعرّض للمشكلات.

﴿أَمِينٞ﴾: أي مؤتمنٌ على أسرار الدّولة.

**(الآية ٥٥) - ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾:**

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾: أراد يوسف عليه السلام أن يردّ للملك هذا

الجميل بعدما أخرجه من السّجن، وقال له: إنّك اليوم لدينا مكينٌ أمين، بأن يجعله على خزائن الأرض؛ أي الوزير الأوّل حتّى يستطيع خلال سنوات القحط أن يُنفّذ العمليّة الزّراعيّة، ويُحافظ على البلاد.

﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾: أي أحافظ على الأمانة، فهو لم يطلب منصباً، وإنّما ليردّ للملك الجميل.

**(الآية ٥٦) - ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾:**

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يأتي العطاء دائماً مع المَنع والصّبر، يقول ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشّرح]، وقد أصبح يوسف مُمَكَّناً في كلّ مكانٍ في مصر.

﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾: يتّخذ من أرض مصر منزلاً حيث يشاء، بوصفه الوزير الأوّل، وأصبح عزيز مصر بتكليفٍ وتعيينٍ من الملك.

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾: فرحمة الله ﷻ تُصيب من يشاء جلّ وعلا.

﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: لا نضيع أجر مَن يُحسِن في عمله وأخلاقه، ويُحسِن مع الآخرين ومع نفسه، وأصل الإحسان أن تُحسن لنفسك بمراقبة الله ﷻ، قال النّبيّ ﷺ عن الإحسان: «**أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»[1]، وعلى ضوء ذلك يتشعّب الإحسان للآخرين، وعندما كان سيّدنا

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النّبيّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم السّاعة، الحديث رقم (٥٠).

يوسف عليه السلام في السّجن، قالوا له: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف: من الآية ٣٦]، ومقام الإحسان هو أعظم وأعلى المراتب.

**(الآية ٥٧) - ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾:**

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾: أجر الآخرة هو خيرٌ وأفضل وأعظم من كلّ ما يمكن أن يحصل عليه الإنسان في الدّنيا.

وهذا الأجر لا يكون إلّا للمؤمنين المتّقين.

**(الآية ٥٨) - ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾:**

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾: جاؤوا كي يحصلوا على المِيرة والقمح، فالجدب قد أصاب المنطقة بأكملها، وهم إلى جوار مصر في كنعان، وقد كان النّاس من المناطق كافّةً يأتون إلى يوسف عليه السلام ليستبدلوا البضائع بالقمح الّذي تركه على سنابله، وأحسَنَ التّدبير في سنوات الخير السّبع، فجاء إخوة يوسف عليه السلام ما عدا بنيامين الأخ الأصغر لم يكن معهم.

﴿فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾: دخلوا على يوسف عليه السلام فعرفهم أنّهم إخوته.

﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾: هم لم يعرفوه، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ؛ لأنّ يوسف عليه السلام عندما أُلقي في الجبّ كان إخوته كباراً، فلم تتغيّر ملامحهم، أمّا هو فقد كان صغيراً وكبر فلم يعرفوه؛ لأنّ ملامح الإنسان تتغيّر عندما يكبر.

**(الآية ٥٩) -** ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾:

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾: الجهاز؛ أي ما طلبوه من القمح.

﴿قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾: لم يبيّن لهم أنّه يعلم بأنّهم إخوته، فقد سألهم: مَن هم؟ ومِن أين جاؤوا؟ وعن أبيهم؟ فقالوا له: نحن أولاد نبيٍّ اسمه يعقوب، وعندنا أخٌ قد تركناه عنده اسمه بنيامين، من هذا الكلام قال: ائتوني بأخٍ لكم من أبيكم، فقد كان يعطي كلّ مَن يأتي حصّةً من القمح.

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾: ألم تروا كيف أنزلتكم أفضل منزلٍ عندي، وأوفيت لكم الكيل من القمح؟ فأحضروا أخاكم معكم كي أعطيه.

**(الآية ٦٠) -** ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾:

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ﴾: يحذّرهم.

﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ﴾: أي لا تأتوا، فاشترط يوسف عليه السلام عليهم أن يأتوا بأخيه الصّغير بنيامين، وهو الأخ الوحيد من أمّه راحيل.

**(الآية ٦١) -** ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾:

﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: لأنّهم يعلمون بأنّه لن يأمنهم على أخيهم الصّغير، وكلمة سنراود؛ أي فيها أخذٌ وردٌّ.

**(الآية ٦٢) -** ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾:

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾: للنّاس الّذين يعملون معه.

﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ﴾: فقد أحضروا بضاعةً لكي يأخذوا مقابلها قمحاً، فقال لفتيانه: أعيدوا لهم بضاعتهم، لا نريد شيئاً منهم.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: أي عندما يرجعون إلى أهلهم سيفتحون متاعهم، وسيجدون أنّي قد أعطيتهم القمح مجّاناً، وأعدت إليهم بضاعتهم، فحتماً سيرجعون.

**(الآية ٦٣) -** ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣﴾:

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ﴾: المشهد الآن عندما أصبح الإخوة عند سيّدنا يعقوب عليه السلام.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾: نحن أخذنا الكيل، لكن مُنعنا منه في المرّات القادمة، فهناك سبع سنين قحط.

﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾: عزيز مصر اشترط علينا أن نحضر أخانا لنأخذ الكيل في المرّات القادمة.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾: ونحن نتكفّل لك أن نحفظه من أن يناله سوء.

**(الآية ٦٤) -** ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾:

﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ﴾: أي كيف سأؤمّنكم عليه؟ وقد أمنتكم على أخيه من قبل فأضعتم الأمانة، لكنّه أردف هذه المرّة بقوله:

﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: فإنّني أتّكل على الله ﷻ، وهو أرحم الرّاحمين، فالله ﷻ أرحم بالابن من أبيه وأمّه، فمهما فعلت وأخذت بالأسباب فالله ﷻ هو الّذي يحفظ العباد.

**(الآية ٦٥)** - ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥﴾:

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ﴾: الآن فتحوا متاعهم، وكأنّهم تحدّثوا مع أبيهم فور وصولهم قبل أن يفتحوا المتاع، وأخبروه بكلّ ما جرى معهم، ثمّ وجدوا بضاعتهم كما هي، مع القمح الّذي أعطاهم إيّاه.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ﴾: ماذا نريد أفضل من ذلك؟

﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ﴾: أعاد إلينا بضاعتنا فلم يأخذها.

﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾: نأتي بالميرة إلى أهلنا، يُقال: مار أهله يمير مَيراً: إذا حمل إليهم الطّعام من بلدٍ إلى آخر.

﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾: نحفظ بنيامين ممّا تخاف عليه.

﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ﴾: وذلك أنّ يوسف كان يعطي كلّ رجلٍ حمل بعيرٍ.

﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾: أي سهلٌ، لا ينالك فيه ضررٌ.

**(الآية ٦٦)** - ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٦٦﴾:

﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾: أراد أن يأخذ

عليهم موثقاً، مع أنّه اتّكل على الله ﷻ؛ لأنّه أراد أن يضبط الأبناء.

﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾: أي لم يبقَ لكم حولٌ ولا قوّةٌ.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾: أخذ العهد منهم والموثِق، وجعل الله ﷻ هو الوكيل على هذا العهد والميثاق.

**(الآية ٦٧) - ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾:**

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾: عندما حان وقت ذهابهم، طلب منهم أن يدخلوا من أبوابٍ متفرّقةٍ، فقد كان لمصر عدّة أبوابٍ، فقد خاف يعقوب عليه السلام على أبنائه من العين والحسد، وقد بيّن رسول الله ﷺ ضرر العين، فقال ﷺ: «**العين حقٌّ، ولو كان شيءٌ سابق القدر سبقته العين**»[1]، لذلك حصّن نفسك وأولادك وعطاءك بقولك: ما شاء الله، لا قوّة إلّا بالله، واقرأ المعوّذتين، فالحاسد لا يضرّ إلّا بأمر الله ﷻ، ولا يحدث شيءٌ إلّا بإرادته ﷻ، لذلك نرى أنّ يعقوب عليه السلام عندما خاف على أبنائه من العين أمرهم بالأخذ بالأسباب، والاحتياط بدخولهم من أبوابٍ متفرّقةٍ.

﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾: أي قدر الله ﷻ سيحدث لا محالة.

﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾: الأمر والحكم لله ﷻ.

﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾: عليه اعتمدت.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب السّلام، باب الطّبّ والمرض والرّقى، الحديث رقم (٢١٨٨).

**(الآية ٦٨) -** ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾: انتقل المشهد الآن ووصلوا إلى مصر، وأخذوا بأمر أبيهم فدخلوا من أبوابٍ متفرّقةٍ.

﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾: لا يغني شيءٌ من الله ﷻ، وقد تسأل: فلماذا أخذوا بالأسباب؟ الجواب: لأنّ الله ﷻ أراد أن تكون هذه الدّنيا قائمةً على الأسباب.

﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾: هذه الحاجة الّتي في نفس يعقوب هي ليُعلّم أبناءه أن يأخذوا بالأسباب في الدّنيا، وليحذروا الحسد، ويأخذوا بالحيطة والحذر.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾: هذا من العلوم الّتي علّمه الله ﷻ إيّاها.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يعلمون الحقائق، قال ﷻ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الرّوم]، وظاهر الأمر بأنّ الأسباب هي الّتي تجري بالأمور كلّها، فإذا أكلتُ أشبع، وإذا تناولتُ الدّواء أشفى من المرض..، وهذا مطلوبٌ إيمانيّاً، لكنّ الفاعل الحقيقيّ هو الله ﷻ، وأكثر النّاس تاهوا بالأسباب عن المسبّب.

**(الآية ٦٩) -** ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: دخلوا على يوسف ومعهم بنيامين الأخ الأصغر.

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾: القرآن الكريم ليس قصّةً، وهنا لا بدّ أنّه بادرهم بالسّؤال وجلسوا... إلخ، ثمّ انفرد بعدها ببنيامين، لكنّ القرآن الكريم ذكر فقط عندما ضمّ يوسفُ عليه السلام بنيامين إليه، فالهمّ الأوّل ليوسف عليه السلام هو لقاء أخيه من أمّه وأبيه، فأعطانا القرآن الكريم هذه اللّقطة.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ﴾: عرّفه يوسف عليه السلام على نفسه.

﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾: لا تحزن.

﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: معنى هذا الكلام أنّ يوسف عليه السلام روى لأخيه ما جرى معه، لكنّ القرآن الكريم لا يذكر التّفاصيل كلّها.

كان بنيامين صغيراً جدّاً، ولا يعرف شيئاً عن قصّة يوسف في الجبّ، لكنّ هذه القصّة كانت منتشرةً في أرض كنعان، وبنيامين يتأثّر بها، فروى له يوسف عليه السلام ما جرى، وقال له: لا تبتئس بما كانوا يعملون، وهذا ما أتى به القرآن الكريم من لقاء يوسف عليه السلام بإخوته.

**(الآية ٧٠) -** ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠﴾:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾: عندما جهّزهم ووضع لهم القمح في رحالهم.

﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ﴾: السّقاية: هي كأسٌ من ذهبٍ كان يشرب بها الملك، وهو تدبيرٌ حكيمٌ وكيدٌ من يوسف عليه السلام ليستبقي بنيامين عنده، فلندرة القمح في ذلك الوقت جُعلت هذه الكأس ليكيل بها العزيز يوسف القمح، فدسّ هذه الكأس في رحل بنيامين باتّفاقٍ معه، ولم يشعر أحدٌ بذلك.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطفٍ للتّعقيب مع تراخي الزّمن؛ أي بعد مرور زمنٍ؛ لأنّه ليس من الممكن وضع السّقاية في رحل أخيه وبعدها مباشرةً يؤذِّن مؤذّنٌ: أيّتها العير إنّكم لسارقون، بل انتظروا حتّى تحرّكت القافلة الّتي كان فيها إخوة يوسف.

﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: أي نادى منادٍ، وعندما أذّن المؤذّن أوقف الحرس عير الإخوة.

﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾: للقوافل الّتي تخرج.

﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾: نادى منادٍ: إنّكم لسارقون.

**(الآية ٧١) - ﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾﴾:**

﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم﴾: أي عادوا ونظروا؛ أي التفتوا إليهم، وقالوا للحرّاس وللمؤذّن: ماذا تفقدون؟ وهذه العبارة من أسرار القرآن الكريم، فعندما يكون الإنسان سارقاً سيلتفت ثمّ يتكلّم، لكنّهم ردّوا مباشرةً قبل أن يلتفتوا؛ لأنّهم لم يكونوا سارقين، وهذا من روعة القرآن الكريم.

﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾: ما الّذي قد سُرق لكم؟

**(الآية ٧٢) - ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾:**

﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾: الصّواع: بمعنى المكيال، أو الإناء يشرب به، قال الحرس: صواع الملك قد سُرق، ونحن لم نَكِل إلّا لكم، ولا ندري، قد نكون نحن قد تركناه.

﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾: فمن يُعطِينا إيّاه دون أن نبحث عنه، فله مكافأةٌ وسنجهّز له حِملاً كاملاً من القمح إضافيّاً.

﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾: أي كفيلٌ بالمكافأة، قال ذلك المؤذّن، رئيس الحرس.

**(الآية ٧٣) - ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾:**

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: لأنّهم علموا فعلاً بأنّ إخوة يوسف عليه السلام جاؤوا في المرّة الأولى وكانت سيرتهم حسنةً.

**(الآية ٧٤) - ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤﴾:**

ما هو الجزاء إذا وجدنا كأس الذّهب معكم؟ أي ما هو الجزاء في دين يعقوب؟

**(الآية ٧٥) - ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥﴾:**

﴿قَالُواْ﴾: أي الإخوة.

﴿جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾: هذا هو الحكم عندنا، ومن المفترض ألّا يسألوا ما هو الحكم، فهم يطبّقون حكم السّرقة بمصر، لكن هنا هذا حكم يعقوب عليه السلام، فقالوا: إن وجد في رحلنا فهو جزاؤه؛ أي يُسترَقّ، ويصبح عبداً لمن سرق منه، أمّا بمصر فكان جزاء السّرقة تغريماً وضرباً، وليس الاسترقاء، لكنّ يوسف عليه السلام كان يدبّر الأمر حتّى يحتفظ بأخيه، وقد أجابوا هذا الجواب؛ لأنّهم كانوا متأكّدين أنّهم لم يسرقوا.

(الآية ٧٦) - ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾:

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾: هنا جاء يوسف عليه السلام عندما حدثت الضّجة، وأمر بالتّفتيش، وإخوته يقفون أمامه، فبدأ بأوعية الإخوة كي لا يشعر أحدٌ بوجود تدبيرٍ منه لاستبقاء أخيه بنيامين، فلم يجد فيها شيئاً.

﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾: أخرج الكأس من جمل أخيه، فاستغرب الإخوة، وقد كانوا متأكّدين من البراءة.

﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: هذه هي العمليّة الّتي كاد الله سبحانه وتعالى بها لمصلحة يوسف عليه السلام.

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾: لم يكن من الممكن أن يأتي بأخيه ويبقيه عنده إلّا بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾: الله سبحانه وتعالى يرفع درجاتٍ من يشاء.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: الله سبحانه وتعالى سبق بعلمه البشر كلّهم.

(الآية ٧٧) - ﴿* قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾:

﴿* قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾: يريدون تبرئة أنفسهم،

فهو أخوهم من أبيهم وليس من أمّهم، واتّهامهم ليوسف بالسّرقة ذلك أنّ عمّته كانت تحبّه كثيراً عندما كان صغيراً، فاتّهمته بأنّه سرق شيئاً من عندها لكي تستبقيه عندها، حسب شريعة يعقوب عليه السلام مع السّارق.

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾: أي انزعج يوسف عليه السلام من هذه الكلمة، وتركها في سرّه.

﴿وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: سكت عن هذه الكلمة.

﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: قال هذه العبارة في نفسه.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: هذا هو جواب يوسف عليه السلام لهم عندما قالوا له: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾.

**(الآية ٧٨) - ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾:**

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾: منظر الإخوة أولاد النّبيّ الّذين دخلوا مصر بصيتٍ وسمعةٍ أراد الله سبحانه وتعالى أن يجازيهم بما فعلوا بأخيهم يوسف، ويعودوا إلى ذلك الوالد النّبيّ العظيم الّذي لن يُصدّقهم؛ لأنّهم قبل ذلك أخذوا يوسف عليه السلام وألقوه في الجبّ، فهم لا يعلمون ما سيقولونه لأبيهم، فالتفتوا إلى سيّدنا يوسف عليه السلام وأخذوا يستعطفونه.

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾: اجعل أيّ أحدٍ منّا مكانه.

﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: لقد أحسنت إلينا في المرّة السّابقة، والآن أحسنت ضيافتنا، فأحسن إلينا إنّا نراك من المحسنين.

**(الآية ٧٩)** - ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾:

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾: فلا يمكن أن نأخذ إلّا من وجدنا متاعنا عنده، ولا يمكن أن نجازي مَن سرق بأن نأخذ مكانه أحداً آخر، ولم يقل يوسف عليه السلام: (إلّا مَن سرق)، فهو نبيٌّ لا يكذب، ويعلم أنّ بنيامين لم يسرق، وأنّه هو مَن وضع الصّواع في رحله.

﴿إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾: نكون قد ظلمنا إنساناً آخر.

**(الآية ٨٠)** - ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠﴾:

﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ﴾: فلمّا استيأس إخوة يوسف من أن يسمح لهم بأخذ أخيهم.

﴿خَلَصُواْ﴾: انفردوا عن النّاس.

﴿نَجِيّٗا﴾: أخذوا يتناجون فيما بينهم.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: قال أخوهم الأكبر: ألم تعلموا أنّ أباكم قد أخذ علينا الموثق من الله سبحانه وتعالى؟

﴿وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ﴾: مع ما تقدّم لكم من إضاعة يوسف.

﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾: ارجعوا وحدكم، فأنا سأبقى في مصر،

ولن أبرح الأرض حتّى يرضى أبي عنّي ويأذن لي أن أرجع.

﴿أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾: أو يحكم الله ﷻ بأن يمكّنني من أخذ أخي، وهو خير الحاكمين.

**(الآية ٨١) - ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١﴾:**

﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾: ارجعوا إلى أبيكم وقولوا له: إنّ بنيامين سرق صواع الملك، ونحن ما شهدنا إلّا بما علمنا، وهذا ما رأيناه أمامنا.

﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ﴾: لا نعلم أنّ هذا سيحصل معنا عندما أعطيناك الموثق من الله ﷻ.

**(الآية ٨٢) - ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢﴾:**

﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾: أي اسأل أهل مصر.

﴿وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ﴾: واسأل العير؛ أي أصحاب العير.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: فيما أخبرناك به، من أنّه سرق وأخذوه بسرقته.

**(الآية ٨٣) - ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾:**

﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾: قطع الله ﷻ الرّحلة وأسمعنا مباشرةً صوت يعقوب عليه السلام وهو يردّ عليهم عندما أخبروه بما جرى، فاتّهمهم عليهم السلام بأنّ

نفوسهم هي الّتي سهّلت لهم أن يقولوا هذا الكلام، وظنّ أنّها كفعلتهم بيوسف.

﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾: عندما ألقوا يوسف في الجبّ قال الأولاد ليعقوب: أكله الذّئب، فقال: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾، وهنا قال: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾، فدائماً (صبرٌ جميلٌ).

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ﴾: كأنّ الوحي قد أعلم يعقوب عليه السلام بأنّه قد آن الأوان لعودة يوسف.

﴿جَمِيعًاۖ﴾: يقصد بنيامين ويوسف والأخ الأكبر الّذي بقي في مصر.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: هو عليمٌ متى سيكون اللّقاء، وهو حكيمٌ يضع الأمور في نصابها وفي وقتها المناسب.

**(الآية ٨٤) -** ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾:

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾: أشاح بوجهه عنهم؛ لأنّهم هم الّذين ألقوا يوسف في الجبّ.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: تذكّر فاجعته بيوسف.

﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾: أي أصابه العمى.

**(الآية ٨٥) -** ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾:

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾: ستبقى تذكر يوسف.

﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾: حتّى تمرض مرضاً شديداً.

﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾: أو تموت.

**(الآية ٨٦)** - ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾:

﴿بَثِّي﴾: أي حاجتي.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أعلم أنّ رؤيا يوسف صادقةٌ، وأنّي سأجده وأسجد له.

**(الآية ٨٧)** - ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾:

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ﴾: تحسّسوا من الحواسّ؛ أي استخدموا حواسّكم، وحاولوا البحث بكلّ الطّرق عن يوسف وأخيه، لم يقل: تجسّسوا؛ لأنّها تستخدم للأمور السّيّئة، أمّا التّحسّس للأمور الحسنة.

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾: اليأس لا يكون مع الإنسان المؤمن بالله تعالى، وهناك فارقٌ بين رَوح ورُوح، الرَّوح تأتي على الرّائحة الّتي تهبّ على الإنسان فيستَروِح بها رَوح الله ﷻ؛ أي فرج الله، كمَن يجلس في يومٍ حارٍّ وتهبّ نسمةٌ رقيقةٌ فينتعش بها، أمّا الرُّوح فهي الّتي ينفخها الحقّ ﷻ في الجماد فيتحرّك.

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: غير المؤمن هو الّذي ييأس؛ لأنّه لا يؤمن بوجود إلهٍ قادرٍ.

**(الآية ٨٨)** - ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾:

هنا انتقل المشهد إلى الإخوة، وقد عادوا من أرض كنعان إلى مصر إلى العزيز يوسف.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾: لم يذكر اسم العزيز يوسف؛ لأنّه معلومٌ.

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾: نادوه بالتّفخيم.

﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾: أي أنّ الجوع صيّرنا إلى هُزالٍ، وبدؤوا بترقيق قلب يوسف عليه السلام.

﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾: هم جاؤوا ليتحسّسوا أمر يوسف وبنيامين، لكنّهم اختاروا مدخل التّرقيق على قلب يوسف، وهذه البضاعة تُستخدم كأثمانٍ لما سيأخذونه من سلعٍ، كلمة مزجاة؛ أي مدفوعة من الّذي يشتري أو يبيع.

﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾: ليس فقط أوف لنا الكيل، بل وتصدّق علينا، وكأنّ الضّرّ الّذي أصابهم جعلهم عاجزين عن دفع ثمن الميرة الّتي سيأخذونها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾: وكّلوا الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، فهم أبناء نبيٍّ.

**(الآية ٨٩)** - ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾:

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: مجيء هذا القول في صيغة سؤالٍ دفعهم إلى التّأمّل والتّدقيق مرّةً أخرى بشخصيّة العزيز.

﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾: في هذا القول يلتمس لهم العذر بالجهل، فلم يتحدّث إليهم بعزّة الكبرياء وغرور المكانة الّتي وصل إليها، بل أراد أن يخفّف عنهم بأنّهم فعلوا هذا في أيّام جهلهم.

**(الآية ٩٠) - ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٩٠﴾:**

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ﴾: تعرّفوا على شخصيّة يوسف عليه السلام، وجاء هذا القول بأسلوب الاستفهام التّقريريّ، وأكّدوه بـ (إنّ) و(لام)، قالوها بتعجّبٍ؛ لأنّهم نجحوا بالتّحسّس الّذي أوصاهم به يعقوب عليه السلام.

﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي﴾: جاء ذكر يوسف لبنيامين هنا دليلاً على أنّ بنيامين قد دخل معه في النّعمة، وأنّ الله عزّ وجلّ قد أعزّ الاثنين.

﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾: يشكر الله سبحانه وتعالى بجمعه بينهما بعد التّفرقة وبُعد المدّة.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾: جاء يوسف عليه السلام بالقول الّذي يعرض القضيّة العامّة الّتي تنفع الأخوة والنّاس جميعاً، فالتّقوى لا بدّ لها من صبرٍ، والصّبر جزءٌ لا يتجزّأ من الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فالحياة ابتلاءٌ، وشرط التّقوى هو الصّبر على البلاء.

**(الآية ٩١) - ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١﴾:**

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾: قَسَمٌ بالله عزّ وجلّ.

﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: أي خصّك بشيءٍ فوق ما خصّ به الآخرين،

وهو لم يؤثرك بظلمٍ لغيرك، ولكنّك تستحقّ ما آثرك به من المُلك وعلوّ الشّأن.

﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾: اعترفوا بخطيئتهم، وهناك فارقٌ بين الخاطئ والمخطئ، المادّة واحدةٌ، الخاء والطّاء والهمزة، لكنّ المعنى مختلف، فالخاطئ هو من يعلم الصّواب ويتركه، أمّا المخطئ فهو لم يكن يعلم الصّواب، وهم كانوا يعلمون الحقيقة والصّواب، لذلك قالوا: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾.

**(الآية ٩٢) - ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾:**

﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾: التّثريب: هو اللّوم العنيف؛ أي لا يوجد لومٌ عليكم اليوم.

﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾: دعاءٌ من يوسف عليه السلام، فدعوة يوسف عليه السلام جاءت بالمغفرة لهم عندما اعترفوا بأنّهم كانوا خاطئين، ولتصفية النّفوس ممّا شابها بهذا اللّقاء.

﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: إنّ أيّة رحمةٍ في العالم مستمدّةٌ من رحمة الله سبحانه وتعالى، وبما أنّ يوسف عليه السلام، وهو صاحب الحقّ، قد غفر لهم خطأهم القديم وعفا عنهم، فالله سبحانه وتعالى أولى منه بالعفو عنهم.

**(الآية ٩٣) - ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣﴾:**

﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾: عندما سألهم عن أبيه يعقوب أخبروه بما جرى وبأنّه أصابه العمى، فأمر إخوته بأن يذهبوا بقميصه الّذي كان يرتديه، تقول

كتب السّير: إنّ أخاه الأكبر الّذي رفض أن يبرح مصر قال ليوسف: يا أيّها العزيز، أنا الّذي حملت القميص بدمٍ كذبٍ، فدعني أحمل هذا القميص لأبي كي أمحو تلك بهذه.

﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي﴾: فيها حنان الأبوّة الّذي فقده يوسف منذ أن غاب عن والده المحزون.

﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾: أي يرتدّ إليه بصره.

﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: هذا تعبيرٌ قرآنيٌّ دقيقٌ، فقد طلب منهم أن يحضروا معهم كلّ من يمدّ لهم بصلة قرابة، فأمرٌ طبيعيٌّ أن يأتي الأب، وهذا من إجلاله وبرّه بأبيه، فالأب أرفع من أن يقول يوسف: ائتوني بأبي.

**(الآية ٩٤) - ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾:**

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾: تحرّكوا من أمام قصر يوسف إلى خارج المدينة، وأصبحوا على مشارف الصّحراء، وما يزال أمامهم مسافةٌ طويلةٌ، وكلمة: ﴿فَصَلَتِ﴾ تدلّ على شيءٍ كان ملتصقاً بشيءٍ آخر، والمقصود خروج القافلة من حدود مصر قاصدةً مكان يعقوب عليه السلام في كنعان.

﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾: القميص الّذي أرسله يوسف مع أخيه الأكبر كان يحمل رائحته، لكنّ الّذين حول يعقوب من أقربائه لن يصدّقوه.

﴿لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾: التّفنيد: الخرف؛ أي لولا اتّهامكم لي بالخرف، ومع تطوّر العلم يمكن الكشف عن جماعةٍ كانت تجلس في مكانٍ ما ثمّ رحلت عنه

منذ ساعةٍ أو ساعتين، فصور الأشخاص لها شعاعٌ في المكان لا يضيع، وكذلك الأصوات، ويحاول العلماء الآن استرداد أصواتٍ لأناسٍ قد رحلوا، فلا شيء يضيع في الكون، وكلّ ما وُجِد فيه محفوظٌ بشكلٍ أو بآخر، وكذلك الرّائحة لا تضيع، فإذا كان الحيوان المخلوق -كالكلاب المدرّبة- بقدرة الله ﷻ قادراً على التقاط الرّائحة من بين آلاف الرّوائح، وإذا كان العلم الموهوب من الله ﷻ للبشر يبحث الآن في كيفيّة استحضار الصّورة واسترداد الصّوت من الفضاء، فعلينا أن ندرك أنّ العِير عندما خرجت من أسوار المدينة وأخذت طريقها إلى الموقع الّذي به يعقوب عليه السلام فإنّ الله ﷻ بقدرته جعله يشمّ رائحة قميص يوسف القادم مع القافلة.

**(الآية ٩٥) -** ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾:

ليس ضالّاً بمعنى الضّلال العامّ، إنّما المراد محبّته ليوسف، ولا يعنون الضّلال بمعنى الخروج عن المنهج.

**(الآية ٩٦) -** ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾:

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ﴾: حين حضر البشير كما تقول الرّوايات وهو كبير الإخوة، جاء ومعه قميص يوسف عليه السلام، وألقاه على وجه يعقوب عليه السلام تنفيذاً لأمر يوسف، ففرح يعقوب عليه السلام فرحاً شديداً؛ لأنّه في أيّام حزنه على يوسف عليه السلام ابيضّت عيناه من كثرة البكاء، وحدّثه قلبه بإلهامٍ من الله ﷻ أنّ يوسف ما زال حيّاً، وكان البكاء عليه من بعد ذلك من

فرط الشّوق، ويوسف عليه السلام علم بوحيٍ من الله سبحانه وتعالى أنّ إلقاء القميص على وجه أبيه يردّ إليه البصر بإذن الله جل جلاله، فضلاً عن أنّ الفرح له آثارٌ نفسيّةٌ تنعكس على الحالة الصّحيّة.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: لم يقل ذلك إذلالاً لأولاده، بل ليعطيهم الثّقة بأخبار النّبيّ، وأنّ الواقع قد أيّد كلامه، فيجب دائماً أن يأخذ الإنسان بهذه الأمور الإيمانيّة العظيمة، فهناك أشياءٌ تحدث فوق مدركات العقول بأمر الله سبحانه وتعالى، فهمنا ذلك أم لم نفهم.

**(الآية ٩٧) - ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾:**

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾: كما أقرّوا بالذّنب عند يوسف، يحدّثون الوالد بنداء الأبوّة كي يستغفر لهم ما ارتكبوه من ذنوبٍ كثيرةٍ، فقد آذوا أباهم وجعلوه حزيناً طوال هذه السّنوات، ولا يسقط مثل هذا الذّنب إلّا بالإقرار منهم، والاستغفار، ورضا الأب.

﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾: أي أنّهم كانوا يعلمون الصّواب ولم يفعلوه.

**(الآية ٩٨) - ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾:**

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ﴾: قال لهم أبوهم: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ﴾، وهذا يحتاج إلى وقتٍ، ممّا يدلّ على أنّ الأب أراد تربية أبنائه فأجّل الاستغفار لهم، بينما نجد يوسف عليه السلام قال لهم مباشرةً: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾، فغضب الأب يكون أشدّ من غضب الأخ، فذنوبهم

كانت كبيرةً من الكبائر، وأثّرت على الأب زمناً طويلاً، ويُقال أيضاً: إنّ يعقوب عليه السلام أخّر الاستغفار لهم إلى وقت السّحر؛ لأنّ الدّعاء فيه مستجابٌ.

**(الآية ٩٩) -** ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: ينقلنا الله سبحانه وتعالى مباشرةً فقد أصبحوا أمام يوسف عليه السلام، ويبدو أنّه استقبلهم عند دخولهم إلى مصر استقبال العظماء خارج البلدة ليريحهم من عناء السّفر، وهذا هو الدّخول الأوّل الّذي آوى فيه إليه أبويه، وقوله: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ يدلّ على حرارة اللّقاء، وحنان الأب الّذي كان يشتاق لرؤية الابن، ولا بدّ أنّه قد سمع من إخوته عن مكانته ومنزلته، والابن كان مشتاقاً للقاء أبيه، وانفعالات اللّقاء عادةً تُترك لعواطف البشر، فهي انفعالاتٌ خاصّةٌ تكون مزيجاً من الودّ والمحبّة والاحترام.

ثمّ دخل بهم الدّخول الثّاني إلى البلد بدليل قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾: هذا يعني أنّه استقبلهم خارجاً وبعدها أدخلهم إلى مصر.

**(الآية ١٠٠) -** ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: لأنّه لم يحبّ التّميّز عنهم، وهو سلوكٌ يدلّ

على المحبّة والتّقدير والإكرام، والعرش هو سرير المُلك الّذي يدير منه الحاكم أمور المُلك.

﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ﴾: سجود آل يعقوب ليوسف هو شكرٌ لله ﷻ الّذي جمع شملهم بيوسف، وهو ﷻ الّذي قال: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ﴾، ولم يجرّم ﷻ هذا الفعل منهم، بدليل أنّهم قدّموا التّحيّة ليوسف وهو قادرٌ أن يردّها بمثلها، ولم يكن سجودهم له بغرض العبادة؛ لأنّ العبادة هي الأمور الّتي تُفعل من الأدنى تقرّباً للأعلى، ولا يُقابلها المعبود بمثلها، فإن كانت عبادةً لغير الله ﷻ، فالله ﷻ يُعاقِب عليها، وتلك هي الأمور المحرّمة، أمّا العبادة لله ﷻ فهي اتّباع أوامره وتجنّب نواهيه، فالسّجود هنا استجابةٌ لنداء الشّكر أمام الإفراج عن الهمّ والحزن، والله ﷻ يُثيب عليها، أمّا التّحيّة فيقدّمها العبد ويستطيع العبد الآخر أن يردّ بمثلها أو خيراً منها، وهذا أمرٌ لا يُحرّمه الله ﷻ، ولا علاقة للعبادة به، فلا يقولنّ قائلٌ: إنّهم سجدوا ليوسف، بل يجب أن نأخذها وفق معطيات اللّغة ومقتضيات الحال، وهذا ما يتّفق معه العقل، وقد قيل: إنّهم قد خرّوا ليوسف، وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم إذا سلّموا على كبيرٍ لهم يسجدون له.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾: قد كانت الرّؤيا هي أوّل لقطةٍ في قصّة يوسف عليه السلام، حيث قال الحقّ ﷻ: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾، وهنا يقول: ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾؛ أي أمراً واقعاً، ورؤيا الأنبياء عليهم السلام لا بدّ أن تتحقّق.

﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾: بدأ يوسف عليه السلام يذكر لهم نِعم الله ﷻ عليه، لكنّه لم يذكر الأحداث الجِسام الّتي مرّت به في تسلسلها، مثل إلقاء

إخوته له في الجبّ ...؛ وذلك لأنّه لم يرد أن يذكر ما يكدّر صفو اللّقاء العائليّ بعد طول فراقٍ، ولكنّه جاء بما مرّ به من بعد ذلك، من أنّه صار عبداً ثمّ دخل السّجن؛ لأنّه لم يستسلم لغواية امرأة العزيز، وكيف منّ الله ﷻ عليه بإخراجه من السّجن، وما إن خرج من السّجن حتّى ظهرت النّعم وصار حاكماً.

وكلمة (أحسن) مرّةً تتعدّى بـ (إلى) ومرّةً تتعدّى بـ (الباء)، ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ﴾؛ أي أنّ الإحسان قد تعلّق بسببه كلّ ما وصلت إليه.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾: وجاء بأهله من البداوة، وهنا لم ينسب المشكلة لإخوته كي لا يزعجهم في هذا اللّقاء العظيم، وهذا أدب وعظمة النّبوّة، فوضع نفسه بالمساواة بينه وبين إخوته.

﴿نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: وسوسة الشّيطان، وقال عنه: نزغ؛ أي أنّه لم يكن أمراً مستقرّاً، بل مجرّد وخزة من الشّيطان أدّت إلى هذه المشكلة، وهذا أمرٌ غايةٌ في القيم والأخلاق.

﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾: مع قضاء الله ﷻ هناك لطفٌ، لذلك نقول للنّاس: لا تستعجلوا المصائب؛ لأنّ كلّ مصيبةٍ تأتي ويأتي اللّطف مقترنٌ بها، وكلمة (لطف) ضدّ كلمة (كثافة)، واللّطيف؛ أي الشّيء الدّقيق، ولا شيء يعوق الله ﷻ، فلطفه لا يقف أمامه أيّ شيءٍ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾: وهو العليم بموقع وموضع كلّ شيءٍ، وحكيمٌ يجري كلّ حدثٍ بمرادٍ دقيقٍ، فهو صاحب الكمال المطلق.

**(الآية ١٠١) - ﴿۞رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾:**

﴿۞رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾: نعلم أنّ الرّبوبيّة تعني الخلق من عدمٍ والإمداد من عدمٍ، والإقاتة لاستبقاء الحياة، وهذا اعترافٌ بفضل الله سُبحانه وتعالى، فهو الّذي أعطاه السّيادة والنّفوذ والسّلطان، ولا أحد غيره يملك ذلك جلّ جلاله.

﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ﴾: كان تأويل الأحاديث ومعرفة الرّؤى الّتي أوّلها هي السّبب في هذا.

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي خالق السّموات والأرض.

﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ﴾: أنت الّذي تولّيتني في الدّنيا، وستتولّاني في الآخرة.

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾: الإسلام هو دعوة كلّ الأنبياء عليهم السلام، وهنا يبيّن لنا الحقّ سُبحانه وتعالى أنّ الدّين واحدٌ والشّرائع متعدّدةٌ، ودعوة يوسف عليه السلام أن يتوفّاه الله عزّ وجلّ على دين الإسلام وأن يلحقه بالصّالحين، دعاءٌ يشمل خيري الدّنيا والآخرة، وهو من الأدعية العظيمة الّتي ختم الله جلّ جلاله بها قصّة يوسف عليه السلام مع والده وإخوته وما جرى معه من امتحانات، قال العلماء: ما تمنّى أحدٌ الموت بعد نصره إلّا يوسف عليه السلام، فالإنسان إن كان موفّقاً في الدّنيا تجده دائم الطّموح، توّاقاً إلى المزيد من الخير، ودعوة يوسف عليه السلام مكوّنةٌ من شقّين، الشّقّ الأوّل: طلب الموت، والشّقّ الثّاني: أن يموت مسلماً، وكلّنا يُتوفّى دون أن يطلب، وعلى ذلك

يكون الشّقّ الأوّل غير مطلوبٍ في ذاته؛ لأنّه واقعٌ لا محالة، فالمطلوب الشّقّ الثّاني، وهو أن يتوفّاه الله ﷻ مسلماً، ولذلك حين نأتي القبور نقول: «**السّلام عليكم دار قومٍ مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون**»(١)، كما علّمنا نبيّنا محمّد ﷺ، وإن قال سائلٌ: لماذا نقول: إن شاء الله بكم لاحقون، رغم أنّنا سنموت حتماً؟ نقول: إنّ قولنا: (إن شاء الله) سببه رغبتنا أن نلحق بهم كمؤمنين، وقد يسأل سائلٌ: لماذا يقول نبيٌّ لربّه: ألحقني بالصّالحين؟ وهل هناك صالحٌ يأتي إلى هذا العالم دون أن يهتدي بمنهج نبيٍّ مُرسَلٍ؟ نقول: إنّ كلمة الصّالحين تضمّ الأنبياء عليهم السلام وغير الأنبياء من الّذين آمنوا برسالة السّماء.

**(الآية ١٠٢) -** ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى قصّة يوسف عليه السلام في هذه السّورة.

﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: الخطاب موجّهٌ إلى نبيّنا محمّدٍ ﷺ، فالحقّ ﷻ أخبره بأنباءٍ لم يكن حاضراً لأحداثها، والغيب هنا هو ما غاب عنّا ولم يغب عن غيرنا، فهو غيبٌ نسبيٌّ، وهناك غيبٌ مطلَقٌ وهو الّذي يغيب عنّا وعن غيرنا من البشر، والغيب له ثلاثة حواجز، الأوّل: حاجز الزّمن الماضي الّذي لم نشهده، والثّاني: حاجز زمن المستقبل الّذي سيأتي، والثّالث: هو حاجز الحاضر، بمعنى أنّ هناك أشياء تحدث الآن في مكانٍ أنت لا توجد فيه، فلا تعرف ما هو الحدث.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الطّهارة، باب استحباب إطالة الغرّة والتّحجيل في الوضوء، الحديث رقم (٢٤٩).

﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: أي نُعلِمُك به.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: فقد كشف الله ﷻ لك حجاب الماضي في أمرٍ لا تعرفه يا محمّد.

**(الآية ١٠٣) - ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ١٠٣﴾:**

فأنت يا محمّد لن تستطيع أن تجعل كلّ النّاس مؤمنين ولو حرصت على ذلك، وقد كان النّبيّ ﷺ حريصاً على أن يؤمن النّاس كلّهم، قال ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التّوبة].

**(الآية ١٠٤) - ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾:**

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: هذا الكلام تسليةٌ لقلب النّبيّ ﷺ، فأنت لا تطلب منهم أجراً.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: ما تأتي به ليُذكّر النّاس ويتّعظوا به.

**(الآية ١٠٥) - ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ١٠٥﴾:**

﴿وَكَأَيِّن﴾: معناها كثيرٌ بما يفوق الحصر، فالشّيء الّذي فوق الحصر تنصرف عن عَدِّه، فلا أحد يستطيع عدّ رمال الصّحراء.

فالمعنى: كم هناك من آياتٍ دالّةٍ على وجود الله ﷻ يمرّ عليها الإنسان وهو معرضٌ عنها.

**(الآية ١٠٦) - ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾:**

هناك موجباتٌ للإيمان تدلّ عليه، فالإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل، والإيمان أن تعلم بأنّه لا يضرّ ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ولا يخفض ولا يرفع إلّا الله ﷻ، فعندما يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾؛ أي أنّهم يؤمنون إيماناً سطحيّاً، كقوله ﷻ: ﴿*قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: من الآية ١٤]، وعن شدّاد بن أوس ﷺ قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ رأيت بوجهه أمراً ساءني فقلت: بأبي وأمّي يا رسول الله، ما الّذي أرى بوجهك؟ قال: «**أمرٌ أتخوّفه على أمّتي من بعدي**»، قلت: وما هو؟ قال: «**الشّرك وشهوةٌ خفيّةٌ**»، قال: قلت: يا رسول الله، أتُشرك أمّتك من بعدك؟ قال: «**يا شدّاد، أما إنّهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولا حجراً ولكن يراؤون النّاس بأعمالهم**»[1]، فالإنسان الّذي يعتقد أنّ فلاناً يضرّ وينفع، وأنّ الأسباب تعمل من دون ربّ الأسباب فهو مشركٌ حقيقةً.

**(الآية ١٠٧) - ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾:**

﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾: أي ألم يحسب هؤلاء حساب انتقام الله ﷻ بعذاب الدّنيا الّذي يعمّ؛ لأنّ الغاشية هي العقاب الّذي يعمّ

(١) المستدرك على الصّحيحين للحاكم: ج٤، ص/٣٦٦، الحديث رقم (٧٩٤٠).

ويغطّي الجميع، أم أنّهم استبطؤوا الموت واستبطؤوا القيامة وعذابها مع أنّ الموت معلّقٌ على رقاب الجميع، ولا يعلم أحدٌ ميعاد موته، والقبر هو أوّل منازل الآخرة، فما الّذي يبطّئهم عن الإيمان بالله ﷻ والإخلاص له من قبل أن تقوم قيامتهم بغتةً دون جرسٍ تمهيديّ.

﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: فقيام السّاعة سيكون بغتةً كما قال تبارك وتعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ [النّازعات].

**(الآية ١٠٨) -** ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾:

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾: أي قل يا محمّد: هذا هو منهجي، والسّبيل هو الطّريق، وتأتي كلمة السّبيل مرّةً مؤنّثةً كما في هذه الآية، ومرّةً مذكّرةً كقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: من الآية ١٤٦].

﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أعلن يا محمّد أنّ هذه الدّعوة الّتي جئت بها هي للإيمان بالله الواحد، وسبحانه لا ينتفع بالمنهج الّذي نزل عليك ليطبّقه العباد، بل فيه صلاح حياتهم.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: سبحانه هو الأوّل قبل كلّ شيءٍ، والباقي بعد كلّ شيءٍ، وقوله: سبحان الله؛ أي نزّهوا الله ﷻ عن أن يكون له نظيرٌ في ذاته وصفاته وأفعاله.

**(الآية ١٠٩)** - ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾: الرّسل الّذين سبقوا النّبيّ ﷺ كسائر البشر، فقد كان النّاس يطلبون رسولاً من الملائكة، وهذا لم يحدث، فالقدوة السّلوكيّة للبشر يجب أن تكون من البشر.

﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾: القرية هي المدينة الّتي يوجد فيها تجمّعٌ بشريٌّ.

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ﴾: الدّلائل كلّها تشير إلى العواقب الّتي جرت مع الأقوام السّابقة، كقوم صالحٍ وقوم هود وفرعون ....، والسّير في الأرض عبارةٌ عن البحث والعلم.

﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾: دار الآخرة هي دار الحيوان؛ أي أنّها دار الحياة الأصليّة الّتي سيخلّد بها الإنسان، والدّنيا مزرعة الآخرة، فما نقوم به في الدّنيا هو للوصول إلى الآخرة، لذلك دار الآخرة هي خيرٌ.

﴿لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ﴾: التّقوى هي علامة الإيمان الحقيقيّ.

**(الآية ١١٠)** - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾: كلمة ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا تدلّ على أنّ هناك غايةً، وما دامت هناك غايةٌ فلا بدّ أنّ بدايةً سبقتها، كقولنا: أكلت السّمكة حتّى

رأسها؛ أي البداية كان أكل السّمكة، والنّهاية أكل رأسها، فما دام الله ﷻ قد أرسل الرّسل عليهم السلام فهم قد ضمنوا النّصر، ولكنّهم استبطؤوه، وقد كان هذا الإبطاء مقصوداً من الحقّ ﷻ، فهو جل جلاله يريد أن يحمّل المؤمنين مهمّة هداية حركة الحياة، فأمر الله عز وجل آتٍ لا محالة، وهو يقول ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة]؛ أي لا بدّ أن يكون هناك تمحيصٌ وابتلاءٌ في الدّعوة إلى الله عز وجل، ولا بدّ أن يكون هناك من يُعارِض، فالحقّ أمامه باطلٌ، والنّهار أمامه سوادٌ، وهكذا ...، وعندما يُكذّب الرّسل فيأتي نصر الله ﷻ وينجّي من يشاء.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: لا يردّ بأس الله ﷻ وقوّته وانتقامه عن القوم المجرمين.

**(الآية ١١١) - ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾:**

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾: فهذه هي غاية القصص القرآنيّ، إيّاكم أن تعتقدوا أنّها قصّةٌ كقصّة البشر، وإنّما هي عبرةٌ لأولي العقول، والقصص مأخوذٌ من قصّ الأثر وتتبّعه بلا زيادةٍ أو نقصانٍ.

﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: هم أصحاب العقول، واللبّ هو جوهر الشّيء المطلوب، فالقصّة القرآنيّة هي عبرةٌ لأصحاب العقول.

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾: ليس حديث كذبٍ متعمّدٍ، ولا يستطيع النّبيّ ﷺ

أن يأتي بمثل هذه القصّة، الّتي هي أحسن القصص، بهذا الأسلوب وبهذه العظمة.

﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: ما جاء على لسانك يا محمّد وأنزله الحقّ ﷻ عليك بالوحي هو الحقّ الّذي يطابق كتب الّذين سبقوك؛ أي التّوراة والإنجيل.

﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾: فالقرآن الكريم ليس كلاماً مجملاً، بل يجري تفصيل كلّ حكمٍ بما يُناسب أيّ أمرٍ من أمور البشر.

﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾: والقرآن الكريم هدايةٌ ورحمةٌ لقومٍ يؤمنون، قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة]، وهو رحمةٌ، والرّحمة هي الأشمل والأعظم، فهو يمنع الإنسان ويحصّنه من أن يقع في الخطأ، ولذلك رحمة الله ﷻ وسعت كلّ شيءٍ، وهي الّتي يتّكل عليها العباد.

# تفسير سورة

# (الرّعد)

# سورة (الرّعد)

سمّيت سورة (الرّعد) بهذا الاسم؛ لأنّ الرّعد قد ذُكِر فيها في قوله ﷻ: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾، واختلفت الأقوال هل هي مكّيّة أو مدنيّة، والغالب أنّها مكّيّةٌ، وقال بعضهم: إنّها مدنيّةٌ، وفيها آيتان نزلتا بمكّة.

**(الآية ١) - ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١﴾:**

﴿الٓمٓرۚ﴾: سبق وتكلّمنا عن الحروف المقطّعة الّتي تبدأ بها بعض سور القرآن الكريم، وهي -كما قلنا- توقيفيّةٌ، وقد ذكرنا أنّ الحروف المقطّعة من المتشابهات في القرآن الكريم؛ لأنّه لا يعلم تأويلها إلّا الله ﷻ، وقد قال فيها العلماء أقوالاً كثيرةً، ذكرناها سابقاً، وهذه الأحرف المقطّعة في كتاب الله ﷻ فيها أسرارٌ وإعجازٌ وعطاءٌ.

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾: الكتاب يبدأ من البسملة في أوّل سورة (الفاتحة) إلى نهاية سورة (النّاس)، ونعلم أنّ الإضافة تأتي على ثلاثة معانٍ، فمرّةً تأتي بمعنى (من)، ومرّةً تأتي بمعنى (في)، ومرّةً ثالثةً تأتي بمعنى (اللّام)، وتأخذ شكلين، إمّا أن تكون تعبيراً عن ملكيّةٍ، كقولنا: مال زيدٍ لزيدٍ، أو أن تكون اللّام للاختصاص، كقولنا: لجام الفرس؛ أي أنّ اللّجام يخصّ الفرس، فليس من المعقول أن يملك الفرس لجاماً، فقول الحقّ ﷻ: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾؛ أي تلك آياتٌ من القرآن الكريم؛ لأنّ كلمة الكتاب إذا أُطلقت فهي تنصرف إلى القرآن الكريم.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾: إنّ مراد مَن يُخالف الحقّ هو أن يكسب شيئاً من وراء تلك المخالفة، قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف]، ووصف ﷻ القرآن الكريم بقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف: من الآية ١١١]، فالحقّ ﷻ لا يريد الكسب منّا، لكنّه شاء أن ينزّل هذا الكتاب لنكسب نحن.

الحقّ هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغيّر، ومن أسمائه ﷻ الحقّ، وكلّ ما نزل من الحقّ ﷻ هو حقٌّ، وكلّ ما يأتي في كتابه ﷻ حقٌّ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: أي أنّ أكثر النّاس لا يؤمنون بأنّ هذا الكتاب نزل إليك من ربّك؛ لأنّهم استسلموا للهوى فأرادوا متاع الحياة الدّنيا، ولم يلتفتوا إلى ما جاء فيه، فهو يعطي خيري الدّنيا والآخرة، وبعضهم يؤمن بأنّ القرآن الكريم هو من عند الله ﷻ، لكنّ الإيمان يستوجب فهم مرادات الله ﷻ، ويستلزم وظائف الإيمان؛ لأنّ الإيمان هو عملٌ بمقتضى العقيدة، والقرآن الكريم فيه أساس العقيدة الإسلاميّة الّذي بُنيت عليه أركان الإسلام والإيمان، بأنّه هو الخالق والنّافع والمعطي والمُحيي والمميت والقادر وأنّه إليه ترجعون وإليه سيكون الحساب فمن هذا المنطلق أكثر النّاس لا يؤمنون، فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدّقه العمل، فإذا رأيت الإنسان في حياته لا يمارس حقيقة إيمانه فاعلم بأنّه ينطبق عليه قوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، فليس الّذي لا يؤمن هو فقط مَن يقول صراحةً: أنا لا أؤمن بالله، لكنّه أيضاً الّذي يأخذ كلام الله ﷻ ولا يعمل به.

**(الآية ٢)** - ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾:

﴿ٱللَّهُ﴾: عَلَمٌ على واجب الوجود، مطمورةٌ فيه صفات الكمال كلّها، وقد قال النّبيّ ﷺ: «**كلّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدَأ فيه ببسم الله الرّحمن الرّحيم أقطع**»(١)؛ أي مقطوع النّتيجة؛ لأنّ كلّ عملٍ لا يُبدأ باسمه ﷻ لا تستحضر فيه أنّه ﷻ قد سخّر لك الأشياء، ولم تُسخّرها بقدرتك، لذلك المؤمن يدخل على أيّ عملٍ بحيثيّة (بسم الله الرّحمن الرّحيم)؛ لأنّه ﷻ ذلّل كلّ شيءٍ للإنسان، ولو لم يذلّلها ﷻ لما استجابت لنا، وقد أوضح ﷻ ذلك بأمثلةٍ بسيطةٍ، فنجد مثلاً أنّ الطّفل الصّغير يمسك بحبلٍ ويربطه في عنق الجمل و يأمره بأن ينخّ على أربعٍ فيمتثل الجمل لذلك، بينما نجد أنّ البرغوث الصّغير يجعل الإنسان ساهراً طوال اللّيل عندما يتسلّل إلى غرفته، ويبذل الإنسان كلّ الجهد ليمسك به أو ليتفاداه فلا يستطيع، وهكذا نعلم أنّ أحداً لم يسخّر الأشياء بإرادته أو مشيئته، ولكنّ الله ﷻ هو الّذي يذلّل الكائنات لخدمة الإنسان، قال ﷻ: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢﴾ [يس]، فكلمة الله ﷻ هي الاسم الجامع لكلّ صفات الكمال.

﴿ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: بدأ ﷻ هذه الآية بالحديث عن العالم العلويّ ولم يتحدّث عن الأرض، وكلمة ﴿رَفَعَ﴾ عندما نستعملها استعمالاً

(١) كنز العمّال: ج ١، ص ٥٥٥، الحديث رقم (٢٤٩١).

بشريّاً فهي تدلّ على أنّ شيئاً رُفِع عن موضعه إلى أعلى، كقوله ﷻ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: من الآية ١٠٠]، فقد رفعهما يوسف عليه السلام إلى موضعٍ أعلى ممّا كانا فيه، فهل كانت السّماء موضوعةً في موضعٍ أقلّ ثمّ رفعها الله تبارك وتعالى؟ الجواب: لا، بل خلقها الله ﷻ مرفوعةً، وفي العُرف البشريّ فإنّ مقتضى رفع أيّ شيءٍ وجود أعمدةٍ تحته ترفعه، ولكنّ خلق الله ﷻ يختلف، فنحن نرى السّماء مرفوعةً على امتداد الأفق، ولم نجد إنساناً يسير في أيّ اتّجاهٍ ويصطدم بأعمدةٍ، وقد قال ﷻ: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحجّ: من الآية ٦٥]، فإذا كانت السّماء ممسوكةً من الأعلى فهي لا تحتاج إلى عمدٍ، وقوله ﷻ: ﴿وَيُمْسِكُ﴾؛ أي أنّه ﷻ وضع لها قوانين خاصّةً لم نعرفها بعد، وقد قام العلماء المعاصرون بمسح الأرض والفضاء بواسطة الأقمار الصّناعيّة وغيرها فلم يجدوا عمداً ترفع السّموات أو تمسكها، ممّا يعني أنّه ﷻ إمّا أنّه حمل السّماء على أعمدةٍ أدقّ وألطف من أن نراها بأعيننا، أو أنّها مرفوعةٌ بغير أعمدةٍ على الإطلاق.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جمع سماء، هي كلّ ما علاك فأظلّك، والله ﷻ يقول: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [البقرة: من الآية ٢٢]، فالمطر إنّما ينزل من السّحب الّتي تعلو الإنسان وتبدو معلّقةً في السّماء، وإذا أُطلقت كلمة السّماء انصرفت إلى السّماء العُليا الّتي تظلّل ما تحتها، وحين أراد النّاس معرفة ما هي السّماء، هل لها جُرم أو لا؟ هل هي امتدادٌ؟ أجواءٌ؟ هواءٌ؟ لم يتّفق العلماء على الإجابة، وقد نثر الله ﷻ أدلّةً على وجوده وقدرته وحكمته وآلة صنعته في الكون ثمّ أعطى للإنسان الأدلّة في نفسه، فقال ﷻ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذّاريات]،

فإذا نظر الإنسان إلى نفسه يجد بها أسراراً عجيبةً، ويتعجّب من الآثار في نفسه الّتي اكتشفتها العقول وما كانت لتدركها سابقاً، وإذا نظر خارج نفسه سيجد أنّ الله ﷻ يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصّلت: من الآية ٥٣]، والسّين في قوله ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ حرف استقبالٍ؛ أي سنريهم دائماً، فهناك عطاءٌ جديدٌ إلى أن تقوم السّاعة، والله ﷻ يقول: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر]، فحين نفكّر في خلق السّموات والأرض نجدها مسألةً في غاية الضّخامة، ونتحيّر في مسألة الخلق والتّكوين، وهذه كلّها آياتٌ تدلّ على وجود الله ﷻ.

﴿عَمَدٍ﴾: اسم جمعٍ، مفردها: عمود أو عِماد، وقد جاءت هذه الآية بمثابة تفسيرٍ لما أُجمل في قول الحقّ ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف]، فجاء ﷻ هنا بالتّفصيل، فأوضح لنا أنّه رفع السّموات بغير عمدٍ ترونها؛ أي لا ترونها بحكم قانون إبصاركم، فالعين وسيلةٌ من وسائل الإدراك لها قانونٌ خاصٌّ، فهي ترى بعض الأشياء ولا ترى أشياء أخرى، فقانون الإبصار له مدىً محدّد، والإنسان غير قادرٍ على إدراك كلّ شيءٍ، والآفاق تختلف من إنسانٍ لآخر، وفي التّعبير اليوميّ الشّائع: فلانٌ ضيّق الأفق؛ أي لا يرى إلّا ما تحت قدميه.

بالنّسبة إلى كتاب الله ﷻ علينا أن نكتفي بمعرفة ما يطلبه الله ﷻ منّا، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ

﴿مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء]، وقد حجز الحقّ ﷻ على المتطفّل أمرين، فلا داعي أن نرهق أنفسنا فيهما، الأمر الأوّل: كيفيّة خلق الإنسان، والأمر الثّاني: كيفيّة خلق السّموات والأرض، قال ﷻ: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف: من الآية ٥١]، ولو كان الله ﷻ يريد أن نعلم شيئاً عن تفاصيل هذين الأمرين لأشهد خلقهما لبعض البشر، لكنّه ﷻ نفى هذا الإشهاد، لذلك ستظلّ هذه المسألة لغزاً للأبد، يبحث الإنسان بعقله لكن لن يصل إلى نتيجةٍ، والله ﷻ أوضح لنا أنّه قد خلقنا من طينٍ ونفخ من روحه، فلنسمع منه كيف خلق الكون، ويدلّ الإعجاز البيانيّ في القرآن الكريم على أنّ بعضاً ممّن يملكون الطّموح أرادوا أن يأخذوا من القرآن أدلّةً على صحّة بعض النّظريات الّتي افترضوها عن خلق الإنسان وخلق الأرض، لكنّه ﷻ قال: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ [الكهف]، والمضلّ هو من يضلّل بالمعلومات.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾: هذه القضيّة هي أهمّ قضيّةٍ كلاميّةٍ ناقشها علماء الكلام، قضيّة الاستواء على العرش، وحتّى نفهم أيّ قضيّةٍ لا بدّ أن نحلّل ألفاظها لنتّفق على معانيها، ثمّ نبحث جملةً جملةً، وحين نستقرئ كلمة ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ في القرآن الكريم نجدها قد وردت في آياتٍ عديدةٍ، فقد جاءت مرّةً بمعنى الاستواء؛ أي النّضج، في قوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤﴾ [القصص]؛ أي أنّه قد بلغ نضجه وأصبح رجلاً صالحاً لممارسة ما يُبقي نوعه، وإن تزوّج فسوف ينجب مثله، هذا استواء المخلوق الّذي هو الإنسان، ومرّةً أخرى جاءت بمعنى صعد، قال ﷻ: ﴿ذُو مِرَّةٖ

فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [النّجم]، والمقصود صعود النّبيّ ﷺ وجبريل عليه السلام إلى الأفق الأعلى، وجاءت بقول الحقّ ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾ [البقرة: من الآية ٢٩]، وإيّاك أن تظنّ أنّ استواءه ﷻ إلى السّماء مساوٍ لاستواء البشر، فكلّ شيءٍ بالنّسبة إلى الله ﷻ إنّما نأخذه في إطار: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشّورى: من الآية ١١]، والاستواء المطلق شيءٌ مختلفٌ عن الاستواء على العرش، وقد ورد الاستواء على العرش في سبعة مواضع في القرآن الكريم، في سورة (الأعراف) و(يونس) و(الرّعد) و(طه) و(الفرقان) و(السّجدة) و(الحديد)، وورد ذكر العرش في القرآن الكريم بالنّسبة إلى الله جلّ وعلا إحدى وعشرين مرّةً، وهي المواضع الآتية: ١- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ [الأعراف: من الآية ٥٤]، ٢- ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾ [التّوبة: من الآية ١٢٩]، ٣- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ [يونس: من الآية ٣]، ٤- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: من الآية ٧]، ٥- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ [الرّعد: من الآية ٢]، ٦- ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ۝٤٢﴾ [الإسراء]، ٧- ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، ٨- ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢﴾ [الأنبياء: من الآية ٢٢]، ٩- ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦﴾ [المؤمنون]، ١٠- ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون: من الآية ١١٦]، ١١- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ [الفرقان: من الآية ٥٩]، ١٢- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾

[النّمل]، ١٣ – ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السّجدة: من الآية ٤]، ١٤ – ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزّمر: من الآية ٧٥]، ١٥ – ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: من الآية ٧]، ١٦ – ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: من الآية ١٥]، ١٧ – ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الزّخرف]، ١٨ – ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: من الآية ٤]، ١٩ –﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقّة: من الآية ١٧]، ٢٠ –﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التّكوير]، ٢١ – ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج]، وورد بالنّسبة إلى بلقيس أربع مرّاتٍ، قال ﷻ: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النّمل: من الآية ٢٣]، وقال أيضاً: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ [النّمل: من الآية ٣٨]، وقال: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النّمل: من الآية ٤١]، وقال ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النّمل: من الآية ٤٢]، وبالنّسبة إلى يوسف عليه السلام مرّةً واحدً، قال ﷻ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: من الآية ١٠٠]، فلا يمكن أن نأخذ الاستواء بالنّسبة إلى الله ﷻ على أنّ معناه النّضج؛ لأنّ النّضج إشعارٌ بكمالٍ كان قبله نقصٌ، وهذا بالنّسبة إلى الإنسان عندما يكبر، فهنا عندما يقول ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فللعلماء فيها عدّة أقوالٍ، منها: استقرّ وعلا، بما يتناسب مع كمال الله ﷻ، وقد قال الإمام مالك: "الاستواء معلومٌ، والكَيْف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسّؤال عنه بدعة"، والمعاصرون لرسول الله ﷺ لم يسألوا عن تلك الكيفيّة مع أنّهم سألوا عن أمورٍ كثيرةٍ، فقد فهموا الاستواء بما يناسب كمال الله ﷻ بمَلَكتهم الفطريّة، وجاء السّؤال من المتأخّرين الّذين تمحّكوا بالفلسفة، فقال

أحدهم: سآخذ الألفاظ بمعناها، فإن قال: إنّ له صعوداً فهو يصعد، وإن قال: إنّ له استواءً فهو يستوي، ومن قال ذلك نردّ عليه بقولنا: لايليق أن تقول ذلك عن الّذي يُغيّر ولايتغيّر، ومعنى كلمة (استواء) هنا أنّه استتبّ له الأمر، وقد يسأل سائلٌ: هل كان الأمر قبل ذلك غير مستتبٍّ لله ﷻ؟ الجواب: لا يصحّ هذا، فنحن نعلم أنّ لله ﷻ صفاتاً متعدّدةً، هذه الصّفات كانت موجودةً قبل أن يخلق الله ﷻ الخلق كلّه، فسبحانه موصوفٌ أنّه خالقٌ قبل أن يخلق، ومُعِزٌّ قبل أن يخلق من يُعِزّه، ومذِلٌّ قبل أن يخلق من يذِلّه، فله ﷻ صفات الكمال المطلق، وبهذه الصّفات خلق الخلق، ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه]، هذا كان جواب موسى عليه السلام لفرعون، فسبحانه حين خلق السّموات السّبع والأرض أبرز الصّفة الّتي كانت موجودةً فيه وليس لها متعلَّقٌ، فإذا ذُكِر استواء الله ﷻ فهذا يعني تمام المراد له.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾: التّسخير هو طلب المُسخِّر أن يكون كما أراد، بحيث لا تكون له رغبةٌ ولا رأيٌ ولا هوىً، وضدّ التّسخير الاختيار، فالكائن الّذي له اختيارٌ إن شاء فعلَ وإن شاء لم يفعل، قال ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ۝٧٢﴾ [الأحزاب]، فأبَت السّماء والأرض والجبال تحمّل الأمانة وقت العرض وقَبِل كلٌّ منهم التّسخير، فلا الجبال ولا السّموات ولا الأرض لها قدرة الاختيار، وليس عندها هوىً، فهي تسير كما أمرها الله ﷻ، والأجناس كلّها هكذا عدا الإنسان، لذلك لا يوجد فسادٌ في الأرض إلّا عنده، وقد قَبِل تحمّل الأمانة؛ لأنّ له عقلاً يفكّر ويختار بين البدائل، ويأتي الفساد نتيجة الهوى، ولو

أقبل الإنسان على العمل وكأنّه مُسخَّرٌ خاضعٌ لمنهج الله ﷻ لاستقام عمله كما يستقيم عمل الكائنات المُسخّرة بأمر الله ﷻ، فإذا أردتم استقامة أموركم في ما لكم فيه اختيارٌ فطبّقوا قول الحقّ ﷻ: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨﴾ [الرّحمن]، ولننظر ماذا يطلب الله ﷻ في منهجه، ولا يأتي الخلل إلّا من بعض الأعمال الّتي نعملها باختيارنا وتكون مخالفةً للاستقامة، فالشّمس والقمر سُخِّرا من قِبَل الله ﷻ لخدمة الإنسان.

﴿كُلٌّ﴾: التّنوين يعني كلّاً من السّابق؛ أي الشّمس والقمر.

﴿يَجْرِي﴾: الجري هو تقليل الزّمن عن المسافة، فعندما تريد الوصول إلى مكانٍ معيّنٍ قد تمشي فتصل خلال ساعةٍ، أمّا إذا قمتَ بالجري فإنّك تقطع المسافة في نصف ساعةٍ، والجري بطبيعة الحال ملحوظٌ ممّن يراك، لكن هل يرى أحدنا الشّمس وهي تجري؟ الجواب: لا؛ لأنّها تجري في ذاتها، وهذا النّوع من الجري هو جريٌ انسيابيٌّ لا تدركه العين المجرّدة، وهناك انتقالٌ قفزيٌّ، وانتقالٌ انسيابيٌّ، لننظر إلى عقارب السّاعة نجد عقرب الثّواني أسرع من عقرب الدّقائق الّذي يبدو ساكناً مع أنّه يتحرّك، فأنت ترى حركة عقرب الثّواني؛ لأنّها تتمّ قفزاً، بينما لا ترى حركة عقرب الدّقائق؛ لأنّه يتحرّك تِبعاً لدورةٍ هادئةٍ من التّروس داخل السّاعة، وكلّ جزئيّةٍ في حركة التّرس الخاصّ بعقرب الدّقائق تتأثّر بحركة ترس عقرب الثّواني، والحركة القفزيّة لعقرب الثّواني تتحوّل إلى حركةٍ انسيابيّةٍ في عقرب الدّقائق، وحركة كلٍّ من العقربين تتحوّل إلى حركةٍ انسيابيّةٍ في عقرب السّاعات، وهذا يعني أنّ كلّ جزئيّةٍ من الزّمن فيها جزئيّةٌ من الحركة، حتّى في نموّ الإنسان أو الحيوان أو النّبات نجد عمليّة النّمو غير ظاهرةٍ لنا؛ لأنّ

الكائن الّذي ينمو إنّما ينمو بقدرٍ بسيط غير ملحوظٍ، وهذا القدر البسيط شائعٌ في اليوم كلّه، فهكذا يجب أن نفرّق بين الحركة القفزيّة والحركة الانسيابيّة.

﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: الأجل: هو المدّة المحدودة للشّيء، وهي محدودةٌ زمناً إن أردنا ظرف الزّمان، أو محدودةٌ بالمسافة إن أردنا المكان، والمقصود هنا بالأجل إمّا الأجل النّهائيّ لوجود الشّمس والقمر، ثمّ إذا انشقّت السّماء كوّرت الشّمس وانكدرت النّجوم، أو أنّ المقصود بالأجل التّعبير عن عملها اليوميّ، فمع أنّ المشرق له جهةٌ واحدةٌ لكنّ المطالع مختلفةٌ.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: قد أوضح ﷻ بأوّل الآية مسألة رفْع السّموات بغير عمدٍ، واستوائه على العرش، وتسخير الشّمس والقمر، وكيف يجري كلّ شيءٍ لأجلٍ مسمّى، كلّ ذلك يتطلّب تدبيراً للأمر، فهو يدبّر بقيمومته، فهو القائم على كلّ شيءٍ، ونضرب مثلاً لنوضّح لا لنشبّه، فسبحانه منزّهٌ عن التّشبيه، نقول: فلانٌ فكّر أوّلاً ثمّ دبّر، والتّفكير يطلب منك أن تبحث وتنقّب إلى أن تصل إلى لبّ الأشياء، والتّدبّر يقتضي ألّا تقتنع بما هداك إليه فكرك في نفس اللّحظة، ولكن أن تمحّص الأمر لتعرف ماذا سينتج بالتّجربة عن تنفيذ ما وصل إليه الفكر، فربّما ما فكّرت فيه يُسعفك ويعينك بشكلٍ آنيّ لكنّه سيأتي لك بعطبٍ بعد فترةٍ، فمثلاً اختراع المبيدات الحشريّة لم يُفطَن إلى أنّها لا تقتل الحشرات الضّارّة وحدها بل تسمّم الطّيور الّتي تفيد الفلّاح، ممّا أدّى إلى منع استخدامها، وجاء هذا المنع ممّن تفاخروا من قبل على شعوب الأرض باختراعها بعد ما فطنوا إلى أنّ ما جاءهم من خيرٍ عن طريقها هو أقلّ بكثيرٍ من الضّرّر الّذي وقع بسببها، وهذا يعني أنّهم لم يتدبّروا اختراعهم لتلك المبيدات

بدقّةٍ، فقاموا بتصنيعها لتحصيل فائدةٍ عاجلةٍ دون أن يلتفتوا إلى الخطورة الآجلة، فالتّدبّر هو النّظر في دُبُر الأشياء، والله ﷻ يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمّد]؛ أي انظر في أعماق القرآن الكريم، فالفكر لا بدّ له من تجربةٍ وتدبّرٍ وتدقيقٍ ونظرٍ في كلّ أمرٍ بالتّجربة والبرهان حتّى يحقّق لك ما يفيدك من غير ضررٍ لاحقٍ، وهو ما نسمّيه صيانة الأشياء؛ أي أنّه جعل الأمر مناسباً لكلّ شيءٍ، ولو خالف أهواءنا، فهو لمصلحة الإنسان.

﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾: يوضح الآيات والدّلالات على أنّه لا إله إلّا هو، وأنّه يُعيد الخلق إذا شاء كما ابتدأ خلقه.

﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: إنّ كثرة الأدلّة وبيانها ووضوحها، من أسباب حصول اليقين بالآخرة.

**(الآية ٣) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾:**

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾: بعض النّاس يفهمون المدّ بمعنى البسط، فنفَوا كرويّة الأرض، نقول لهم: إنّ البسط تابعٌ للمدّ، فالأرض الّتي نقف عليها وتعيش عليها الكائنات، تمتدّ شمالاً إلى القطب الشّماليّ، وجنوباً إلى القطب الجنوبيّ، وشرقاً وغرباً، وهذا معنى قوله ﷻ: ﴿مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾، فلا توجد حافّةٌ في أيّ مكانٍ على الأرض، ولو كانت مبسوطةً لوجدت نهايةً لها، ولكانت على شكل مثلّثٍ أو مربّعٍ أو مستطيلٍ، ولوجدنا من يسير يصل إلى حافّة الأرض

ويجد بعدها فراغاً، وهذا لم يحدث لأحدٍ من البشر، فالأرض ممدودةٌ غير محدودةٍ، ولا يكون ذلك إلّا إذا كانت الأرض كرويّةً، بحيث إذا مشيت متتبّعاً لأيّ خطٍّ من خطوط العرض أو خطوط الطّول لانتهيت إلى النّقطة الّتي بدأت منها المسير، وكان هذا هو الدّليل الّذي يقدّمه العلماء على كرويّة الأرض قبل أن يخترعوا التّصوير من خارج الغلاف الجويّ، ويكتشف العلم بأنّ الأرض على شكل كرةٍ، ونأخذ من كلمة مدّ الأرض أيضاً أنّ الأرض لن تضيق بأحدٍ، فيمكن للإنسان إذا ضاقت به الأرض أن يرحل إلى مكانٍ آخر، قال ﷻ: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ [النّساء: من الآية ٩٧].

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾: الرّواسي: جمع راسٍ، وهو الشّيء الثّابت، قال جلّ وعلا: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٣﴾ [النّازعات]، وقال ﷻ: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ﴾ [الأنبياء: من الآية ٣١]؛ أي لا تضطرب بكم الأرض، ومعنى هذا الكلام أن لو كانت الأرض قد خُلقت ثابتةً لما احتجنا إلى الجبال الرّواسي كي تثبّتها، فالأرض خُلقت متحرّكةً، وهذا الكلام أثبته القرآن الكريم قبل أن يكتشف العلم أنّ الأرض تدور وتتحرّك، ولولا الجبال الرّواسي لمادت الأرض.

﴿وَأَنۡهَٰرٗاۖ﴾: والنّهر هو المكان الّذي يحمل الماء، فما بين الجبل والنّهر يكون الإنبات، والنّهر ماؤه حلوٌ، يمكن أن نزرع به الأرض ونشرب منه الماء لاستبقاء الحياة، وإذا استعرضنا أنهار الدّنيا كلّها سنجد أنّ مجاريها تصبّ في البحار، وهذا دليلٌ على أنّ منسوب النّهر أعلى من منسوب البحر، ولو كان الأمر بالعكس لطغى الماء المالح على ماء النّهر، ولما استطاع أحدٌ أن يشرب أو يزرع، لذلك شاء الحقّ ﷻ أن يجعل الماء العذب هو الأعلى؛ لأنّ له مهمّةً

يؤدّيها قبل أن يصبّ في البحر، يقول ﷻ: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ [الرّحمن]؛ أي بين البحر والنّهر، ومن العجيب أنّ البرزخ الّذي يفصل النّهر عن البحر يكون انسيابيّاً يتدرّج نزول مياه النّهر في مياه البحر بما يحقّق سهولةً في هذا الانتقال، ومن العجيب أيضاً أنّنا إذا حفرنا عند شاطئ البحر قد نعثر على ماءٍ عذبٍ، فالماء العذب الّذي يحتاجه الإنسان قد حماها الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزّمر: من الآية ٢١]، فقد نجد في الأرياف من يحفر بئراً فيكون الماء فيه عذباً، ويمكن لإنسانٍ آخر أن يحفر بئراً فيخرج الماء مالحاً، وهذا دليلٌ على أنّ الماء في بطن الأرض غير مختلطٍ، بل لكلّ ماءٍ مسارب تختلف باختلاف نوعيّته.

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: قد تُستَعمل كلمة (زوج) ليُراد بها شيآن، مع أنّ التّعبير الدّقيق يقتضي أن نقول: زوجان، مثلاً: زوجان من الأحذية كتوصيفٍ لفردة حذاءٍ يمنى وفردة حذاءٍ يسرى، فكلمة زوج تُستخدم في الشّيء الّذي له مِثْلٌ، لذلك نجد العدد الفرديّ والعدد الزّوجيّ، فالعدد الزّوجيّ مفردٌ له مثيلٌ، فكلمة (التّوأم) لا تعني الاثنين اللّذين يولدان معاً، بل هو الفرد الّذي يولد مع الآخر، ويُقال للاثنين معاً: التّوأمان.

فلم يخلق الله ﷻ أيّ شيءٍ إلّا وشاء له أن يتكاثر مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾ [يس]، وكلّ تكاثرٍ يحتاج إلى زوجين، وقد كشف لنا العلم أنّ الكهرباء على سبيل المثال لا الحصر، تتكوّن من سالبٍ وموجبٍ، وغير ذلك كثير..

﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ﴾: أي تأتي الظّلمة على النّهار فتغطّيه، قال ﷻ: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الإسراء: من الآية ١٢]، وذلك تحقيقاً لمشيئته ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢﴾ [الفرقان]، ونحن نرى اللّيل والنّهار كلٌّ منهما يؤدّي مهمّته في نصفٍ ما في الكرة الأرضيّة، يكون أحدهما نهاراً والآخر ليلاً، فهكذا كان أوّل الخلق، خلق الله تبارك وتعالى الأرض كرويّةً واللّيل والنّهار خُلِقَا معاً، قال ﷻ: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ [يس]، وقد كان العرب قديماً يظنّون أنّ اللّيل هو الّذي سبق النّهار في الخَلق؛ لأنّهم كانوا يحسبون الشّهور بالقمر، فيدخل الشّهر باللّيل لا بالنّهار، فبيّن ﷻ هذا الأمر.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾: على الإنسان مسؤوليّة التّفكّر فيما يراه من حوله ليصل إلى لبّ الحقائق، ومَن يقول: إنّ الإسلام يُلغي العقول إمّا جاهلٌ وإمّا حاقدٌ على الإسلام، فالإسلام دين العقل جاء ليُكلّف العقل ويُخاطبه، والدّليل على ذلك حشدٌ هائلٌ من الآيات، أكثر من ألف آيةٍ علميّةٍ في كتاب الله ﷻ، ومهمّة العقل الاختيار بين البدائل والتّنقيب والتّمحيص والبحث والاستدلال والتّجريب ليصل إلى لبّ الحقائق.

**(الآية ٤) - ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤﴾:**

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾: كلمة (قطع) تدلّ على كلٍّ ينقسم إلى أجزاءٍ، هذا الكلّ هو جنسٌ جامعٌ للكليّة كلّها، فيه خصوصيّةٌ تميّز قِطعاً عن

قِطعٍ، لذلك يقول العلماء: هذه الأرض تسمّى حزام القمح، وهذه حِزام الموز، وهذه المنطقة حارّةٌ وهذه باردةٌ، هذه تصلح للخضروات وهذه للحبوب وهذه للبقول ...إلخ، وقوله ﷻ: ﴿قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ يدلّ على إعجازٍ، فمع أنّها متجاوراتٌ إلّا أنّ كلّاً منها تناسب الطّقس الّذي توجد فيه، فزراعة الذّرة مثلاً تحتاج مناخاً معيّناً، وكذلك زراعة الموز.. وهكذا تجد كلّ منطقةٍ مناسبةٍ لما تُنتجه، فالأرض ليست سائدةً بالتّماثل، بل تختلف بما يناسب الظّروف، فهناك منطقةٌ لا تنبت، وأخرى خصبةٌ تنبت، والخصوبة تختلف من موقعٍ إلى آخر، ومن قطعةٍ إلى أخرى، مثلاً ثمرة الكرز من منطقةٍ معيّنةٍ تختلف عن ثمرة الكرز في منطقةٍ أخرى، والقمح في منطقةٍ معيّنةٍ يختلف عن القمح في منطقةٍ أخرى.. وهكذا، ويحدث ذلك مع أنّ الأرض تُسقى بماءٍ واحدٍ، ونجد العلماء البعيدين عن الإيمان بالله ﷻ يقولون: إنّ السّبب في الاختلاف هو عمليّة الاختيار والانتخاب، كأنّهم لايعرفون أنّ الاختيار والانتخاب يتطلّبان مختاراً له عقلٌ يفكّر به ليختار، فهل البذيرات تملك عقلاً تفكّر فيه وتختار؟ بالتّأكيد لا، فكلّ شجرةٍ تأخذ من الأرض ما ينفعها فتختلف النّباتات بقدرة الّذي قدّر فهدى، وقد يقول مَن لا يؤمنون بوجود الله ﷻ: إنّ هذا الاختلاف بسبب الطّبيعة والبيئة، هؤلاء يتجاهلون أنّ الطّبيعة في مجموعها هي الشّمس الّتي تعطي الضّوء والحرارة، والقمر الّذي يعكس بعضاً من الضّوء، والنّجوم الّتي تهدي من يسير في الفلاة، وتيارات الهواء والغيوم والأكسجين.. ومع ذلك كلّه هناك أرضٌ خصبةٌ تنتج وأرض سليخٌ لا تُنتِج، فلا بدّ من وجود فاعلٍ مختارٍ يأمر هذه أمراً مختلفاً عن تلك.

﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: تحدّث الحقّ ﷻ أوّلاً عن الفاكهة ثمّ تحدّث عن الزّرع الّذي منه القوت الأساسيّ.

﴿وَجَنَّٰتٌ﴾: جنّة من ستر، وهي قطعة الأرض المستورة من كثرة الأشجار.

﴿صِنْوَانٌ﴾: الصّنو هو المِثل، يقول الرّسول الكريم ﷺ: «**فإنّما عمّ الرّجل صنو أبيه**»(١)، وبهذا يكون معنى الصّنوان المِثلان، نرى ذلك واضحاً في النّخيل، فنرى أحياناً أصلاً واحداً تخرج منه نخلتان أو ثلاث نخلاتٍ وأحياناً أكثر، فيطلق لقب الصّنوان على الأصل الواحد الّذي يتفرّع إلى نخلتين أو أكثر، فكلمة صِنوان تصلح للمثنى والجمع، ولكنّها في حالة المثنى تُعامل في الإعراب كالمثنى، فيقال: أثمرت صِنوان، ورأيت صِنوَين، أمّا في حالة الجمع فيقال: رأيت صِنواناً ومررت بصِنوانٍ، والمفرد صِنو.

﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾: من العجيب أنّ كلّ شجرةٍ تأخذ عبر جذورها كميّةً من الماء والغذاء اللّازم لإنتاج الثّمار، وتخرج بشكلٍ وطعمٍ مختلفٍ عن بعضها، لذلك نقول: إنّ افتراض العلماء المختّصين في علوم النّبات أنّ النّباتات تتغذّى بخاصيّة الأنابيب الشّعريّة هو افتراضٌ غير دقيقٍ، فلو كان الأمر كذلك لأخذت الأنابيب الشّعريّة الخاصّة بنباتٍ المواد الّتي أخذتها الأنابيب الشّعريّة الخاصّة بنباتٍ آخر، والأمر ليس كذلك، فكلّ نباتٍ يأخذ من الأرض ما يخصّه فقط ويترك ما عدا ذلك؛ لأنّ ثمار كلّ نباتٍ تختلف ولا تتشابه، حتّى إنّ الشّجرة

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب المناقب، باب مناقب العبّاس بن عبد المطّلب ﷺ، الحديث رقم (٣٧٥٨).

الواحدة تختلف ثمارها، وكذلك تختلف من شجرةٍ لشجرةٍ، فمن الّذي اختار هنا بأن جعل هذه الأرض وهذا الماء وهذا الغذاء يُنتِج ثماراً مختلفةً، وكلّ ثمرةٍ لها نظامٌ خاصٌّ؟

﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾: ما دمنا نفضّل بعضاً على بعضٍ فهذا يعني أنّ كلّاً منهما مُفضّلٌ في ناحيةٍ ومفضولٌ عليه في ناحيةٍ أخرى.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: فهذه آياتٌ دالّةٌ على وجود الله ﷻ، وهنا توجيهٌ للتّعاون بين العقول لتبحث في آيات ربّ العقول، فكلّ إنسانٍ يستفيد من عقل الآخر، ومن شاور النّاس شاركهم في عقولهم.

**(الآية ٥)** - ﴿*وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾:

﴿*وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: هنا الخطاب موجّهٌ لرسول الله ﷺ، وقد كانوا يقولون عنه قبل البعثة: بأنّه الصّادق الأمين، وعندما جاءه الوحي أصبحوا يقولون عنه: ساحرٌ كذّابٌ، فكيف يكون صادقاً أميناً ببشريّته وذاتيّته وعندما أمّده الله ﷻ بالمدد الرّساليّ أصبحوا يتّهمونه بالكذب؟ فكان يتعجّب النّبيّ ﷺ من بعض مواقفهم وأقوالهم، وهنا التّعجّب بأنّهم أنكروا البعث بعد الموت، مع أنّ الله ﷻ أوضح الأدلّة على ذلك، لكنّ المؤمنين هم الّذي استقبلوا أمر البعث بعد الموت بالتّصديق بمجرّد أن أبلغهم به رسول الله ﷺ، وقد أبلغنا ﷻ أنّه لم يعجز عن الخلق الأوّل، لذلك لن يعجز عن الخلق في المرّة الثّانية، فالمسرف على نفسه يُنكر البعث؛

لأنّه لا يستطيع أن يضبط نفسه، ويظنّ أنّه بإنكار البعث لن يلقى مصيره الأسود الّذي ينتظره في الآخرة، ولو أنّ الإنسان وضع مسألة البعث في يقينه لانصرف عن شهواته وطغيانه وفساده، والجزاء في اليوم الآخر عمليّةٌ عقليّةٌ لازمةٌ، قال ﷻ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة]، فإن كنت تعجب يا محمّد من الكفّار وما يثيرونه من أقضيةٍ فلك أن تعجب؛ لأنّها أمورٌ تستحقّ العجب، والله ﷻ حين يُخاطب الخلق فهو يخاطبهم إمّا في أمرٍ يشكّون فيه أو في أمرٍ لا يشكّ فيه أحدٌ، وقد وجدنا بعضاً من النّاس ينكرون البعث والحساب والله ﷻ يُذكّرهم به عبر الرّسول الكريم ﷺ، ويؤكّد لهم بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: من الآية ١٨٥]، وكان عمر بن عبد العزيز يقول: "مارأيت يقيناً أشبه بالشّكّ من يقين النّاس بالموت، ثمّ لا يستعدّون له"، فكلّهم يعلمون أنّهم سيموتون، لكنّهم يظلّون شاكّين، وقد قال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المؤمنون]، هذا تأكيدٌ لأمرٍ يُجمع عليه النّاس على أنّه واقعٌ، لكنّ الغفلة أنستهم، لذلك خاطبهم خطاب المنكرين، فقال بعدها: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون]، ولم يقل: (ولتبعثنّ)؛ لأنّ البعث مسألةٌ لاتحتاج إلى تأكيدٍ، فأمر الموت واضحٌ جدّاً مع غفلة النّاس عنه، أمّا البعث فهو واقعٌ لا محالة بحيث لا يحتاج إلى تأكيدٍ.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: هؤلاء قد كفروا بالله ﷻ عندما أنكروا البعث وأنكروا كلام الله ﷻ.

﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾: يعطينا تصوّراً عن هؤلاء يوم القيامة،

والأغلال: هي الّتي تقيّد الإنسان، والغلّ هو طوق حديدٍ يوضع في كلّ يدٍ للتّقييد، وطرفٌ منه معلّقٌ في الرّقبة ليقلّل من مساحة الحركة.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: كلمة (صاحب) تُطلق على من اختار صاحبه، فأنتم الّذين اخترتم وصاحبتم النّار وأردتم دخولها بعملكم وكفركم وإشراككم بالله ﷻ.

**(الآية ٦) - ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦﴾:**

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾: الاستعجال: هو تقصير الزّمن عن الغاية، فحين تريد غايةً ما فأنت تحتاج إلى زمنٍ، وهذا يختلف من غايةٍ لأخرى، وحين تتعجّل فأنت تريد أن تصل إليها قبل زمانها.

واستعجالهم بالسّيّئة قبل الحسنة دليلٌ على اختلال الموازين في تفكيرهم، وقد سبق لهم أن قالوا كما ذكر لنا ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢﴾ [الأنفال]، وهكذا نجد هؤلاء يستعجلون بالسّيّئة قبل الحسنة كما استعجلوا أن تتنزّل عليهم الحجارة، وهم لا يعرفون أنّ كلّ عذابٍ له مدّةٌ وله ميعادٌ موقوتٌ، وهذا خللٌ في نفوسهم، فقد انتهت مقاييسهم إلى الإشراك بالله ﷻ، وليس أدلّ على فساد المقاييس من أن تستعجل السّيّئة قبل الحسنة؛ لأنّ العاقل حين يُخيّر بين أمرين فإنّه يستعجل الحسنة؛ لأنّها تنفع، ويستبعد السّيّئة، ومادامت نفوس

هؤلاء فاسدةً ومادامت مقاييسهم مختلّةً فلا بدّ أنّ السّبب في ذلك هو الكفر والإشراك بالله ﷻ، والاستعجال بالسّيّئة قبل الحسنة للشّخص أو للجماعة دليل حمق الاختيار في البدائل.

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾: ألم ينظروا ما الّذي حاق بالّذين كذّبوا الرّسل من قبلهم؟

﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾: جمع مُثلَة، وفي قولٍ آخر: مَثُلَ، والله ﷻ يقول لنا: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النّحل: من الآية ١٢٦]، ويقول ﷻ: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشّورى: من الآية ٤٠]، هكذا تكون مثُلات من المِثل؛ أي تكون العقوبة مماثلةً للفعل، فالله ﷻ سبق وأنزل العذاب بالمثيل لهم من الأمم السّابقة الّتي كذّبت الرّسل.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾: أي أنّه ﷻ لا يُعجّل العذاب لمن يكفر، وقد أمهل ﷻ أبا جهلٍ فخرج منه عكرمة بن أبي جهلٍ ﷺ وهو صحابيٌّ جليلٌ، وأمهل خالد بن الوليد فصار سيف الله المسلول ﷺ، بعد أن كان أحد المقاتلين الأشدّاء في معسكر الشّرك، فمع أنّ النّاس تظلم إلّا أنّه ﷻ يغفر لهم، كما بيّن رسول الله ﷺ بقوله: «**الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضلّه في أرض فلاةٍ**»(١)، فلذلك يجب ألّا نعيّر أحداً بذنبٍ استغفر وندم عليه، فالعبد عندما يستغفر فإنّ الله ﷻ غفورٌ رحيمٌ، ونلاحظ هنا أنّه ﷻ قال: ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ بدلاً من (مع ظلمهم) ليؤكّد لنا أنّ

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الدّعوات، باب التّوبة، الحديث رقم (٥٩٥٠).

ظلم النّاس كان يقتضي العقوبة، ولكنّ رحمته ﷻ تسيطر على العقوبة، وهكذا فإنّ (على) أدّت معنى (مع)، وأضافت إلينا معنىً آخر وهو أنّ الله ﷻ هو المسيطر على العقوبة، وأنّ رحمة الله ﷻ تطغى على ظلم العباد، كقوله ﷻ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان]، وهنا بلغتنا نقول: (مع حبّه)، لكنّه ﷻ قال: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾؛ أي أنّهم يحبّون الطّعام حبّاً جمّاً، ولكن إرادة الحفاوة والكرم تطغى على حبّهم للطّعام، ولكن يجب ألّا يظنّ النّاس أنّ رحمة الله ﷻ تطغى على عقابه دائماً، فلو ظنّ المجترئون هذا الظنّ وتوّهموا أنّها قضيّةٌ عامّةٌ لفسد القوم، لذلك ينهي المولى ﷻ الآية بقوله:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: أي أنّه ﷻ قادرٌ على العقاب العظيم، فهكذا جمعت الآية بين الرّجاء والتّخويف.

**(الآية ٧) -﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾:**

إن دخلت (لولا) على جملةٍ اسميّةٍ تكون حرف امتناعٍ لوجود، وإن دخلت على جملةٍ فعليّةٍ فتكون للتّحضيض، وهنا في هذه الآية يقول ﷻ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾؛ أي أنّهم يطلبون آيةً لتأييد صدق الرّسول ﷺ في البيان الّذي يحمله من الله ﷻ، كأنّهم بهذا القول ينكرون ما جاء به النّبيّ ﷺ وهو القرآن الكريم، مع أنّهم أمّة بلاغةٍ وأدبٍ وبيانٍ، وعندما نزل القرآن الكريم كان معجزةً من جنس نبوغهم، وتفوّق على بلاغتهم، ولم يستطيعوا أن يأتوا بآيةٍ مثله، فكان عليهم أن يفخروا بالمعجزة

الكاملة الّتي حملها رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة وهو القرآن الكريم، ولكنّهم طالبوا بمعجزاتٍ أخرى، مع أنّ معجزات النّبيّ ﷺ كانت كثيرةً، كرحلة الإسراء والمعراج، ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ، وتكثير الطّعام، والغمامة الّتي ظلّلته، وجذع النّخلة الّذي حنّ إليه، وغيرها.. لكنّهم أرادوا أن يناكدوا النّبيّ ﷺ، وباعتبار أنّه ﷺ خاتم الأنبياء أراد الله ﷻ له معجزةً خالدةً تبقى ما بقي الدّهر، وهي القرآن الكريم.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾: أي لا تلتفت إلى أقوالهم فما عليك إلّا البلاغ والإنذار فقط، كما قال ﷻ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤﴾ [الإنسان].

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: فكلّ قومٍ لهم هادٍ يهديهم بالآيات الّتي تناسبهم، فبنو إسرائيل كانوا متفوّقين في السّحر فجاءت معجزة سيّدنا موسى عليه السلام بالأمر الّذي نبغوا فيه –والمعجزات الّتي جاء بها ليست سحراً، بل معجزات حقيقيّة من عند الله جلّ وعلا–، وقوم سيّدنا عيسى عليه السلام كانوا متفوّقين في الطّبّ، فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس ما نبغوا فيه، أمّا النّبيّ ﷺ فكان قومه متفوّقين بالبلاغة فجاء القرآن الكريم.

**(الآية ٨) – ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾:**

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾: المناسبة بين هذه الآية وبين ما سبقها: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾، أنّه ﷻ يؤكّد أنّ لكلّ قومٍ هادياً، وأنّ

رسوله منذرٌ، وطلبهم للآيات المعجزة إنّما هو لتعجيز النّبيّ ﷺ، ولو جاءهم عليه الصّلاة والسّلام بآيةٍ ممّا طلبوا لأصرّوا على الكفر والعناد؛ لذلك يبيّن ﷻ أنّه عالِمٌ بما سوف يعملون، فسبحانه يعلم ما هو أخفى من ذلك، يعلم على سبيل المثال ما تحمل كلّ أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد، ورحم الأنثى هو مستقرّ الجنين.

﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾: تغيض؛ أي تنقص، والمراد إمّا تُذهب من إسقاط الجنين؛ أي الإجهاض، أو نزول المواليد قبل اكتمال خلقتها، كأن ينقص المولود إصبعاً.. فتبارك وتعالى يعلم ما تغيض الأرحام؛ أي ما تنقصه في التّكوين العادي أو تزيد على التّكوين العادي، أو يكون النّظر إلى الزّمن سبعة أشهرٍ أو تسعة أشهرٍ أو أكثر.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾: المقدار: هو الكميّة، أو الكيف زماناً أو مكاناً، فكلّ شيءٍ في علم الله ﷻ له قَدَرٌ، وله علمٌ أزليٌّ، والله ﷻ لا يغيب عنه شيءٌ أبداً، وكلّ ذلك عنده ﷻ بمقدار.

**(الآية ٩) - ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾:**

لايغيب شيءٌ عن الله ﷻ أبداً، وما يحدث لأيّ إنسانٍ في المستقبل بعد أن يولد هو غيبٌ لا يعلمه أحدٌ، لكنّ المطّلع عليه هو الله ﷻ وحده، فلا شيء يتأبّى عليه ﷻ، وهو عالم الغيب والشّهادة؛ أي يعلم ما خفي من حجاب الماضي أو المستقبل، وهو يعلم من بابٍ أولى العالم المشهود، فلم يقتصر علمه ﷻ على الغيب، وإنّما المشهود أيضاً واضحٌ له.

﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾: اسمٌ من أسماء الله الحسنى، ولا يوجد في أسمائه ﷻ: الأكبر، مع أنّنا نقولها في افتتاح الصّلاة وفي الأذان؛ لأنّه يُخرجك من عملك الّذي أوكله إليك في هذه الحياة، وهو عمارة الكون لتستعين به من خلال العبادة وتطبّق المنهج، فيمدّك الله ﷻ بالقوّة الّتي تمارس فيها هذه الحياة، فعندما يناديك بأنّ الله أكبر، فهو أكبر من كلّ ما تقوم به، وعندما يسمع الإنسان كلمة (الله أكبر)، فمهما كان في شُغلٍ أو همٍّ أو غمٍّ أو في أيّ أمرٍ من أمور هذه الحياة الدّنيا فإنّه يعلم بهذا النّداء بأنّه ﷻ أكبر من أيّ شيءٍ ومن كلّ شيءٍ، أمّا بالنّسبة لأسماء الله الحسنى فالكبير؛ أي أنّ كلّ شيءٍ ما دونه صغيرٌ.

﴿ٱلۡمُتَعَالِ﴾: أي أنّه المنزَّه ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، فلا ذات كذاته ولا صفة كصفاته ولا فعل كفعله، وكلّ ما له ﷻ يليق به وحده، ولا يتشابه أبداً مع غيره.

**(الآية ١٠) - ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠﴾:**

﴿سَوَآءٞ مِّنكُم﴾: المقصود بسواء عدد لايقلّ عن اثنين، فنقول: سواء زيد وعمرو، أو: سواء زيد وعمرو وبكر وخالد.

﴿مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾: ما دام الحقّ ﷻ عالم الغيب والشّهادة فأيّ سرٍّ لا بدّ أنّه مطّلعٌ عليه ﷻ، وهو القائل: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾ [طه]، والسّرّ هو ما اؤتمنت عليه من غيرك، والأخفى هو ما بقي

عندك، أي السّرّ بينك وبين نفسك، وهو ﷻ يعلم السّرّ وأخفى، وهنا جمع الحقّ ﷻ أنواع العمل كلّها، فالعمل هو عمل الجوارح من فعل اللّسان من قولٍ أو ذوقٍ، أو عمل أيدٍ تدفع، أو أذنٍ تسمع، أو عمل قلبٍ وهو النّيّة، فالقول أخذ مساحة نصف العمل؛ لأنّه البلاغ عن الله ﷻ.

﴿وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ﴾: اللّيل يخفي بعض الأمور، والله ﷻ يعرفها، ومن يستخفي باللّيل لا بدّ أنّه يدبّر أمراً ما كان يريد أن يقوم به في السّرّ.

﴿وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾: ظاهرٌ ماشٍ في ضوء النّهار، فإنّ كليهما –الاستخفاء والظّهور– في علم الله ﷻ على السّواء.

**(الآية ١١) –** ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ١١﴾:

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾: ﴿لَهُۥ﴾ تفيد النّفعيّة، فعندما يُقال: لك كذا، فهي عكس أن يُقال: عليك كذا، وعندما يقول ﷻ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ﴾، فكأنّ المعقّبات لمصلحة الإنسان، والمعقّبات: جمع مؤنّث، المفرد معقِّبة، فللّه ﷻ ملائكةٌ يتناوبون على حراسة الإنسان وحفظه ليلاً ونهاراً من الأشياء الّتي لا يمكن الاحتراز منها، فمثلاً هناك إحصاءات تثبت أنّ الثّعابين لا تلدغ النّاس أثناء نومهم، بل في أثناء صحواتهم، فهناك ما يحفظهم، أمّا في اليقظة فقد يتصرّف الإنسان بطيشٍ وغفلةٍ فتلدغه الأفعى، ومن الأقوال الشّعبيّة: (العين عليها حارس)، وهناك أحداثٌ كثيرةٌ تبدو لنا غريبةً، كأن

يسقط طفلٌ من نافذةٍ من الدّور العلويّ فلا يصاب بسوءٍ؛ لأنّ الله تبارك وتعالى شاء أن تحفظه الملائكة؛ أي المعقّبات، من السّوء، فمهمّة الحفظة أن يحفظوا الإنسان من كلّ سوءٍ، فالله ﷻ أعدّ لهذا الإنسان الخليفة لله على الأرض ما يصونه، ولايدعه لمقوّمات نفسه ليُدافع عنها، فهو لا يستطيع بمفرده، هذا معنىً، وهناك معنىً آخر، وهو أنّ المعقّبات من الملائكة يتعقّبون أفعال الإنسان، ويكتبون الحسنات والسّيّئات، قال ﷻ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ك]، وعندما يكتبون الحسنات، فهذه تكون ﴿لَهُۥ﴾، ولكنّ كتابة السّيّئات تكون على الإنسان وليست له، نقول هنا: إنّ الإنسان إذا ما عرف أنّ السّيّئة ستُحسَب عليه وتُحصى وتُكتب فسيُمسك عن السّيّئات، فالأمر في مصلحته فهي له لا عليه، ويقول النّبيّ ﷺ عن الملائكة: «**يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنّهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثمّ يعرج الّذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلّون، وأتيناهم وهم يصلّون**»[1]، وكأنّ الملائكة تتعاقب على الإنسان بالليل والنّهار.

﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: من أمر الله ﷻ؛ أي بأمر الله ﷻ، قد يقول الإنسان السّطحيّ: كيف تحفظ الملائكةُ الإنسانَ من الأمر المراد به من الله؟ نقول: إنّ الله ﷻ لم يُنزل الملائكة ليُعارضوا القَدَر، هذا الحفظ لا يكون من

(١) صحيح البخاريّ: كتاب مواقيت الصّلاة، باب فضل صلاة العصر، الحديث رقم (٥٣٠).

ذات الإنسان لنفسه أو من الملائكة ضدّ قَدَر الله ﷻ، والمعنى هنا ينصرف إلى أنّ الملائكة إنّما يحفظون الإنسان بأمر الله ﷻ، لذلك نجد أنّ القرآن الكريم يقول: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ﴾ [نوح: من الآية ٢٥]؛ أي بسبب خطيئاتهم أُغرقوا، فعلينا ألّا نظنّ أنّ الملائكة يحفظون الإنسان من قدر الله ﷻ؛ لأنّنا نعلم أنّ الحقّ تبارك وتعالى إذا أراد أمراً فلا رادّ لأمره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾: الله ﷻ خلق الكون الواسع بكلّ أجناسه جماداً ونباتاً وحيواناً وأفلاكاً وأملاكاً، وجعل ذلك كلّه مسخّراً للإنسان، ثمّ يحفظ الحقّ ﷻ الإنسان ويصونه بقيموميّته، وقد يسأل بعض النّاس: فلماذا تحدث الابتلاءات لبعض النّاس مع أنّه ﷻ أخبر أنّه يحفظهم؟ نقول: إنّ تلك الابتلاءات إنّما تجري إذا ما غيّر البشر من منهج الله تعالى؛ لأنّ الصّيانة لمن قام بالمنهج، ولنقرأ قول الحقّ ﷻ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ [النّحل]، فبما أنّ الإنسان التزم بالمنهج وبأوامر الله ﷻ، وما دام على صراطٍ مستقيمٍ، فإنّ له الحفظ والإمداد من قِبَل الله ﷻ، لكنّ الإنسان لايأخذ بأوامر الله ﷻ ويغيّر ويبدّل، لذلك التّغيير الّذي يجريه الله ﷻ على البشر لا يتمّ حتّى يغيّروا ما بأنفسهم، والله ﷻ لم يمنع الأرض أن تُخرج لنا النّبات، ولم يمنع السّماء أن تمطر علينا، ولكنّه ﷻ لا يغيّر ما بقومٍ حتّى يغيّروا من أنفسهم وأعمالهم، يقول بعض الفلاسفة: إنّ الله تبارك وتعالى لايتغيّر من أجلكم، ولكن يجب أن تتغيّروا أنتم من أجل ربّكم، يقول ربّنا ﷻ: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾

[طه: من الآية ١٢٣]، وهو القائل ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه]، ونجد الآن العالم المعاصر والمجتمعات المترفة تصدّر لنا أدوات الحضارة، لكنّهم يعيشون في الضّنك النّفسيّ البالغ، وهذا يثبت أنّ الثّراء المادّيّ أو أدوات الحضارة لا يحقّقان للإنسان التّوازن النّفسيّ أو السّعادة؛ لأنّ الإنسان يحتاج إلى الاستقامة وتطبيق أوامر الله ﷻ حتّى يستطيع أن يعيش في هذه الحياة بسعادةٍ، والإنسان متغيّرٌ، والحضارة الّتي قُدّمت للنّاس من الدّول الغربيّة لا يمكن أن تأتي للنّاس بسعادةٍ؛ لأنّها لن تستطيع أن تمنع عنهم الأمراض ولا الموت، قال ﷻ: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عمران: من الآية ١٦٨].

أعمال الجوارح ناشئةٌ من النّفس، وحين نصلح أنفسنا ونصبح على استقامةٍ نتغيّر، وهذا هو مناط أيّ تغييرٍ، أن تبدأ بنفسك وتسير على منهج الاستقامة، وتخضع للمعايير الأخلاقيّة الّتي أمر بها الإسلام.

**(الآية ١٢) - ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾:**

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: الإنسان يستقبل البرق بالخوف من الصّواعق، وبالطّمع بالمطر والخير، فالخوف والطّمع من ظاهرةٍ واحدةٍ، أو أن يكون الخوف لقومٍ والرّجاء لقومٍ آخرين.

﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾: السّحاب هو الغيم المتراكم، ويكون ثقيلاً حين يكون ممتلئاً، وهو عكس السّحاب الخفيف الّذي يبدو كقطع القطن.

**(الآية ١٣) - ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾:**

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾: سُمّيت السّورة بسورة الرّعد لذكر الرّعد فيها، وقد جاء المولى ﷻ بذكر البرق أوّلاً وهو ضوئيّ، ثمّ الرّعد وهو صوتيّ، ونحن نعلم أنّ الضّوء أسرع من الصّوت، لذلك يكون البرق أوّلاً، وبعد ذلك الرّعد، والمولى جلّ وعلا يقول: الرّعد مسبّحٌ لربّه، فعليك ألّا تنزعج منه، فهو نغمةٌ تمتزج ببقيّة أنغام الكون القائمة على التّسبيح، والتّسبيح ليس فقط للعاقل القادر على الكلام؛ لأنّ الّذي خلق الكائنات علّمها كيف تتفاهم، مثلما علّم الإنسان كيف يتفاهم مع بني جنسه، فعندما نقرأ في قوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النّمل]، نجد أنّ سليمان عليه السلام سمعها؛ لأنّ الله ﷻ علّمه تلك اللّغات، وعلّمه منطق الطّير فخاطب الهدهد بلغته، وعندما يقول المولى ﷻ: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾، فنحن نعلم أنّ لكلّ شيءٍ لغةً يتفاهم بها، والله ﷻ أسمع النّبيّ ﷺ تسبيح الحصى بين يديه، قال ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء: من الآية ٤٤]، ولغة التّسبيح هي لغة الأكوان، وهذا التّسبيح ليس تسبيح دلالةٍ، وإنّما هو تسبيحٌ حقيقيٌّ، لقوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء: من الآية ٤٤]، فالشّجر والحجر والسّماء والأرض والغيم والرّعد والبرق الكلّ يُسبّح.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾؛ أي ينزّه الرّعد ويُمجّد اسم الحقّ تبارك وتعالى

مصحوباً بالحمد، وحين ننزّه ذات الله ﷻ وأفعاله وصفاته ﷻ لا بدّ أن يكون ذلك مصحوباً بالحمد له ﷻ؛ لأنّه منزّهٌ عن تلك الأغيار.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾: كيف تخاف الملائكة من الله ﷻ، وهم الّذين قال فيهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التّحريم: من الآية ٦]؟ نقول: إنّ الملائكة يخافون الله ﷻ خيفة المهابة والجلال، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ.

﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾: الصّواعق هي عبارةٌ عن شرارةٍ كهربائيّةٍ، قد تُحدِث حريقاً، فإذا نزلت على مكانٍ تحرقه.

﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾: والجدال في الله ﷻ أنواعٌ متعدّدةٌ، جدالٌ في ذاته أو في صفاته أو جدالٌ في الحسنة والسّيّئة، وقد جادلوا أيضاً في إنزال آيةٍ مادّيّةٍ على رسول الله ﷺ؛ لأنّهم لم يكتفوا بالقرآن الكريم مع أنّه معجزٌ، وقالوا: إنّ الرّعد ليس له عقلٌ ليسبّح، والملائكة لا تكليف لها فكيف تسبّح؟ ولكنّ الحقّ تعالى أخبر أنّه قادرٌ على أن يرسل الصّواعق ويُصيب بها من يشاء، فيأتي بالخير لمن يشاء ويصيب بالضّرّ من يشاء، والجدل في حدّ ذاته قد يكون استخدامه جيّداً، وقد يُساء استخدامه، والله ﷻ يطالبنا أن نجادل بالّتي هي أحسن، قال تبارك وتعالى: ﴿* وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: من الآية ٤٦]، والله ﷻ يقول: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: من الآية ١]، وهذا الجدل المُراد منه الوصول إلى الحقّ.

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾: المِحال هو الكيد والتّدبير الخفيّ، وهذا ما يلجأ إليه البشر في بعض الأحيان عندما يعجزون عن مواجهة الخصوم فيبيّتون بخفاءٍ، لكنّ الله ﷻ حين يكيد فلا يقدر أحدٌ أن يردّ كيده، فالله ﷻ لا غالب له،

وقد أرادوا أن يبيّتوا لرسوله ﷺ وأرادوا قتله، وترصّدوا فكان الله ﷻ لهم بالمرصاد.

**(الآية ١٤) –** ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾:

﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾: دعانا ﷻ إلى أن نؤمن بإلهٍ واحدٍ، وهي دعوة حقٍّ، والّذين من دونه يدعون إلى الإشراك وإلى إلهٍ غير حقٍّ كالأصنام والتّماثيل، والضّمير هنا قد يعود إلى الله ﷻ، فكأنّ الله ﷻ قد دعا خلقه إلى كلمة الحقّ وهي: لا إله إلّا الله، وهو ﷻ قد شهد بأنّه لا إله إلّا هو وشهدت الملائكة شهادة المشهد، وشهد بها أولو العلم شهادة الاستدلال، تلك هي دعوة الحقّ.

﴿لَهُۥ﴾: ممكن أن تكون للإنسان الّذي يدعو إلى الحقّ ﷻ، وعندما يدعو الإنسان إلى الحقّ فهذا يدلّ على أنّ هذا الأمر لمصلحته.

هنا أتوقّف قليلاً عند قوله ﷻ: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ عندما نزل القرآن الكريم على قلب النّبيّ ﷺ منذ ذلك الوقت يقول: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾، وهم يجادلون ويُنكرون منذ ألفٍ وأربع مئةٍ وأكثر من أربعين عاماً، ما زال الكيد لهذا الدّين، وفي كلّ مرحلةٍ أو فترةٍ زمنيّةٍ يتمّ المكر للدّين الإسلاميّ، وإلباس الأمر على غير ما جاء به الدّين الإسلاميّ، فهو دعوة الحقّ، ولنقارن بين دعوة الحقّ وبين دعوة الباطل، الصّورة الأولى صورة تمثّل ما جاء به الإسلام دعوة الحقّ الّتي هي دعوة النّبيّ ﷺ، والصّورة الثّانية تمثّل الزّمن الّذي نحن فيه، الّذين يتغنّون

ويتباهون ويتشدّقون بحقوق وحريّة وكرامة الإنسان، بالدّيمقراطيّة في الولايات المتّحدة الأميركيّة وفي الغرب، ويتّهمون الإسلام بالتّخلّف والقسوة والعنف والإرهاب وإلغاء الآخر.. كأنّه هو سبب كلّ بلاءٍ يتمّ على البشريّة جمعاء، والقرآن الكريم يصفه بأنّه دعوة الحقّ، فما هي دعوة الحقّ؟ لننظر إلى دعوة الحقّ من خلال ممارسةٍ معيّنةٍ، بعد أن هُجّر النّبيّ ﷺ مع أصحابه من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة وبقي ما يُقارب السّنوات العشر بعيداً عن بيت الله الحرام، فخرج النّبيّ ﷺ طامحاً أن يؤدّي العمرة مسالماً مع الآلاف من صحابته، متوجّهاً إلى مكّة المكرّمة، وكان من القوّة والقدرة ما يمكّنه من اقتحام مكّة، وعندما وصل إلى الحديبية.. -وهذه القصّة معروفة، لكن نريد الشّاهد منها- علم المشركون في مكّة بقدومه فأرسلوا وفداً لمفاوضته ومنعه من دخول مكّة المكرّمة، هو جاء للطّواف والعمرة، وقد أحرم ﷺ هو والصّحابة الكِرام ولبسوا ثياب الإحرام، وبعد كلّ هذا التّعب والعناء جاء المشركون وفاوضوا النّبيّ ﷺ أن يعود، وديننا هو دين اللّطف وليس دين العنف، والنّبيّ ﷺ لو أراد أن يدخل لدخل بالقوّة، لكنّه لا يريد أن تسيل الدّماء، فوقّع معهم صلح الحديبية على أن يعودوا في العام المقبل، لم يحتمل الصّحابة هذا الموضوع وكادوا أن يفقدوا أعصابهم، السّيّدة أمّ سلَمَة ﵂ أشارت على سيّد الخلق أن يحلق هو ويفكّ إحرامه ليقتدي به الصّحابة فأخذ بمشورتها، وعاد النّبيّ ﷺ في ذلك الوقت إلى مكّة المكرّمة، بعدها بعامين تقريباً نقض المشركون صلح الحديبية، النّبيّ ﷺ يعلّمنا احترام الكلمة والاتّفاقيّات وهذه صورة عن دعوة الحقّ، عندما نقضوا الاتّفاقيّة تحلّل النّبيّ ﷺ من الاتّفاقيّة وخرج على رأس آلافٍ من

صحابته متوجّهاً لفتح مكّة، ودخل مسبّحاً ومكبّراً ومهلّلاً، ولم يدخل بالسّيف ولا بالعِنوة، دخل من غير قتالٍ، ولم يرق نقطة دمٍ، وعندما دخل تقدّم ﷺ من الكعبة المشرّفة وعندما وصل إلى باب الكعبة قال: (أين بلال؟)، بلال الّذي كان عبداً عند قريش، وعُذّب وأوذي، وكانت توضع الحجارة والصّخور على صدره، ويُجرّ في الصّحراء القاحلة وهو يقول: أحدٌ.. أحدٌ، هذا العبد الأسود هو الوحيد الّذي دخل مع النّبيّ ﷺ إلى داخل الكعبة، حيث صلّى النّبيّ ﷺ ركعتين ثمّ خرج ومعه بلال، فأمره أن يصعد إلى ظهر الكعبة، تقدّم بلال ليصعد، لكن كيف سيصعد إلى ظهر الكعبة؟ فتقدّم أبو بكرٍ وعمر رضي الله عنهما فنحّا حتّى وضع بلال العبد الحبشيّ الأسود قدمه على كتف أشراف وسادة العرب أبي بكرٍ وعمر، واعتلى على ظهر الكعبة بأمر النّبيّ ﷺ، ونحن ننظر الآن في عام ألفين وعشرين إلى ذلك الأبيض العنصريّ في أمريكا وهو يدوس بقدمه على رقبة ورأس الرّجل الأسود حتّى الموت، عن أبي نَضْرَةٍ قال: حدّثني مَن سمع خطبة النّبيّ ﷺ في وَسَطِ أيّام التّشريق فقال: «**يا أيّها النّاس، ألا إنّ ربّكم واحدٌ، وإنّ أباكم واحدٌ، ألا لا فضل لعربيٍّ على أعجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرٍ على أسودٍ، ولا أسودٍ على أحمرٍ إلّا بالتّقوى، أبلّغت؟**»، قالوا: بلّغ رسول الله ﷺ[1]، هذا معنى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾، فلننظر إلى من يدّعي الحريّة والدّيمقراطيّة وكرامة الإنسان ويريد أن يلقّننا هذه الدّروس، ولننظر إلى فعل النّبيّ ﷺ في حقوق الإنسان وفي العطاء للإنسانيّة جميعاً.

---

(١) مسند الإمام أحمد: باقي مسند الأنصار، الحديث رقم (٢٣٥٣٦).

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾: الله ﷻ قادرٌ على إنفاذ مطلوب العباد ولا يُعجزه شيءٌ، ولكن إن دعوت من لا يستطيع ولا يملك فهي دعوةٌ لا تنفع العبد، وهم كانوا يدعون الأصنام، والأصنام لا تضرّ ولا تنفع، فقد كانت تُصنع من الحجارة أو التّمر أو غير ذلك، بطبيعة الحال الدّعاء لمثل تلك الأصنام لا يحقّق شيئاً، هنا يتبيّن لنا أنّ دعوة الحقّ هي أن تدعو القادر ﷻ، أمّا الّذين يدعون المعبودات الباطلة فإنّها تخيّب الرّجاء وتخيّب من يدعوها في مقصده، والصّنم لا يسمع فكيف يستجيب؟

﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ﴾: يضرب الله ﷻ المَثَل بشيءٍ مُحَسٍّ نفعله جميعاً، فالعطشان ما إن يرى ماءً حتّى يمدّ إليه يديه ليغترف منه لكنّ يده لا تصل إلى الماء، هذا هو الحال لمن يدعو غير المولى ﷻ، فقد سأل غير القادر على إنفاذ المطلب، وهكذا يكون الدّعاء لغير الله ﷻ هو دعاءٌ في ضلالٍ، ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ وهنا أقف عند مفهوم الدّعاء، وقد قال النّبيّ ﷺ: «**الدّعاء مخّ العبادة**»(١)، وقال ﷺ: «**الدّعاء هو العبادة**»(٢)، فإن لم يكن حظّك من الدّعاء الإجابة فحظّك منه العبادة؛ لأنّك تلجأ إلى الله تعالى، والله ﷻ يقول لك: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: من الآية ٦٠]، فهذا وعدٌ محقّقٌ، فإمّا أن يؤخّر الله ﷻ الإجابة للوقت الّذي يعلم فيه سبحانه بأنّه الأنسب لهذا الدّاعي، أو أنّ الله ﷻ يدّخر له بدعائه هذا ما هو

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب الدّعوات، باب فضل الدّعاء، الحديث رقم (٣٣٧١).

(٢) سنن أبي داود: كتاب سجود القرآن، باب الدّعاء، الحديث رقم (١٤٧٩).

أفضل من الإجابة على مراده المطلوب في هذه الدّنيا، أو أنّه يدفع عنه بلاءً من خلال هذا الدّعاء، يقول النّبيّ ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصّدقة، وحصّنوا أموالكم بالزكاة، وأعدّوا للبلاء الدّعاء**»(١)؛ لأنّ الدّعاء يردّ القضاء، وهناك شرطٌ لاستجابة الدّعاء، وهو أن تستجيب لمولاك ﷻ، ومن الاستجابة لله ﷻ أن تأكل من حلالٍ لا من حرامٍ، يقول ﷺ: «**كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ على اللَّهِ لَأَبَرَّهُ**»(٢)، وقد ذكر النّبيّ ﷺ: «**الرّجل يطيل السّفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السّماء: يا ربّ يا ربّ، ومطعمه حرامٌ ومشربه حرامٌ وملبسه حرامٌ وغذّي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك؟**»(٣)، وبما أنّ الله ﷻ ألهم الإنسان الدّعاء فالإجابة محقّقةٌ بإذن الله ﷻ.

**(الآية ١٥) –** ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: قال النّبيّ ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد**»(٤)، والسّجود هو حركةٌ من حركات الصّلاة، والصّلاة هي وقفة العبد بين يدي ربّه بعد النّداء، وهي أقوالٌ وأفعالٌ تُبتدأ بالتّكبير وتُختتم بالسّلام، بفرائض وسنن ومستحبّات مخصوصة، كما أنّ هناك

(١) سنن البيهقيّ الكبرى: كتاب الجنائز، باب ١٤، الحديث رقم (٦٣٨٥).

(٢) سنن التّرمذيّ: أبواب المناقب، باب مناقب البراء بن مالكٍ ﷺ، الحديث رقم (٣٨٥٤).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الزّكاة، باب قبول الصّدقة من الكسب الطّيّب، الحديث رقم (١٠١٥).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الصّلاة، باب ما يُقال في الرّكوع والسّجود، الحديث رقم (٤٨٢).

سجود الشّكر وسجود التّلاوة وسجود الإنسان عندما يريد أن يتقرّب من الله ﷻ، لكنّ الله ﷻ عندما يقول: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ علينا أن نفهم أنّ هذا ما يحدث فعلاً، قد تقول: كيف يسجد مَن في السّموات والأرض؟ هنا يجب أن ننتبه إلى أنّ السّجود هو منتهى الخضوع لله ﷻ، فالكون كلّه مسخّرٌ بأمر الله ﷻ ولأمر الله، والكون خاضعٌ له ﷻ، فإن استجاب الإنسان لأمر الله ﷻ بالإيمان به فهذا خيرٌ، وإن لم يستجب مثلما يفعل الكافر فيعود عليه سوء عمله، ولو استقصينا المسألة لوجدنا أنّ الّذي لا يؤمن بالله ﷻ يتمرّد بإرادته المسيطرة على جوارحه، لكنّ بقيّة أبعاضه مسخّرة، وكلّها تؤدّي عملها بتسخير الله ﷻ لها، وتنفّذ الأوامر الصّادرة من الله ﷻ لها، فالّذي لا يؤمن بالله ﷻ يكون متمرّداً ببعضه ولكن مُسخّراً ببعضه الآخر، مثلاً: القلب، الأعضاء، المعدة.. حين يُمرِضُ اللهُ ﷻ الإنسانَ هل يستطيع أن يقولَ: أريد أو لا أريد؟ الجواب: بالتّأكيد لا، فحين يشاء الله ﷻ أن يوقف قلبه فهو لا يقدر أن يجعل قلبه يُخالف مشيئة الله ﷻ، فخضوع غير المؤمن في أغلب الأحيان وتمرّده في بعضها الآخر هو منتهى العظمة لله ﷻ، والله ﷻ أراد أموراً مسخّرة منك وأموراً أخرى تركها لك.

وهنا لماذا يقول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ولم يقل: (ولله يسجد **ما** في السّموات وما في الأرض)، تُستَخدم (مَن) للعاقل، وما دام في الأمر سجودٌ فهو دليلٌ على قمّة العقل، وسبحانه قد جعل السّجود هنا دليلاً على أنّ الكائنات كافّة تعقِل، الجبل والبحر والسّماء والأرض كلّها تعقِل

حقيقة الألوهيّة، وتعبد الله ﷻ، فالله ﷻ يعلّمنا أنّ الكائنات كلّها ترضخ لله جلّ وعلا سجوداً، فالجبال والأرض والسّماء والماء كلّها خاضعة لله ﷻ؛ أي تسجد لله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصّلت].

﴿وَظِلَٰلُهُم﴾: الظّلال أيضاً خاضعةٌ لله ﷻ؛ لأنّ صاحب هذا الظّلّ خاضعٌ لله ﷻ، الظّلّ يتحرّك ويتبع الحركة، وإيّاك أن تظنّ أنّه خاضعٌ لك، بل هو خاضعٌ لمشيئة الله ﷻ.

﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿١٥﴾﴾: الغدوّ: جمع غداة، وهو أوّل النّهار.

والآصال: المسافة الزّمنيّة بين العصر والمغرب.

**(الآية ١٦)** - ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾:

﴿قُلْ﴾: هي أمرٌ للرّسول الكريم.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: لقائلٍ أن يسأل: لماذا جاء الحقّ ﷻ بالإجابة: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾، ولم يتركها لتأتي منهم؟ نقول: إنّ مجيء الإجابة من الحقّ ﷻ الّذي خلق السّموات والأرض أقوى ممّا لو جاءت الإجابة منهم.

﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: يكشف الرّسول ﷺ ببلاغ الله ﷻ مدى جهلهم، وقد سبق وقالوا: بأنّ الله ﷻ هو

الّذي خلق السّموات والأرض، وهم لا يملكون جواباً آخر، فلم يجرؤ أحدٌ على أن ينسب خلق السّموات والأرض للأصنام، لكنّهم يقولون: نعبدها لتقرّبنا إلى الله زلفى، هنا يوضّح لهم الرّسول ﷺ ما أمر الحقّ ﷻ بإيضاحه، فلقد خلق الله ﷻ السّموات والأرض، أفتتّخذون بعد ذلك من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً، بدليل أنّ الصّنم من هؤلاء لا يقدر على شيءٍ.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: يُقارن القرآن الكريم دائماً الأمور عقليّاً فلا يمكن أن يستوي الأعمى بالمبصر، وهكذا يستنكر الله ﷻ ما فعلوه بصيغة الاستفهام عنه.

﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾: أي لو كان هؤلاء شركاء قد خلقوا شيئاً مثل خلق الله ﷻ لكان لهم أن يعقدوا مقارنةً بين خلق الله تعالى وخلق هؤلاء الشّركاء، فهم لم يستطيعوا أن يخلقوا ذباباً فكيف يختارونهم شركاء لله ﷻ؟

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾: وهكذا يتّضح أنّه ﷻ وحده هو الخالق لكلّ شيءٍ، وتلزم عبادة المولى ﷻ، وهو المتفرّد بالألوهيّة والرّبوبيّة ﷻ، وهو القهّار المتكبّر الغالب على أمره لا شريك له، فكيف يكون مَن دونه مساوياً له؟

**(الآية ١٧)** - ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾:

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: سبحانه ينزّل الماء من جهة العلوّ من السّماء، فالماء

يتبخّر من البحار والأنهار ويتجمّع سحاباً، ثمّ يتراكم السّحاب بعضه على بعض، وعندما يمرّ بمنطقةٍ باردةٍ يتساقط المطر.

﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾: الوادي هو المنخفض بين جبلين، وحين ينزل المطر على الجبال فهو يسيل على الأودية، وكلّ وادٍ يستوعب من المياه على قدر اتّساعه، ولنا أن نلحظ أنّ حكمة الله ﷻ شاءت ذلك كي لا يتحوّل الماء إلى طوفان، فلو زاد الماء في تلك الأودية لغرقت القرى نتيجةً لذلك، ولخربت المزروعات وتهدّمت البيوت.. وهكذا نجد أنّ من رحمة الله ﷻ أنّ الماء يسيل من السّماء مطراً على قدر اتّساع الأودية، إلّا إذا شاء المولى ﷻ غير ذلك.

﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾: يريد الحقّ ﷻ أن يضرب مثلاً على ما ينفع النّاس، لذلك جاء بجزئيّةٍ بسيطةٍ، ومن يرى منّا مشهد نزول المطر على هذا القَدر في الوديان يمكنه أن يلحظ أنّ نزول السّيل إنّما يكنس القشّ والقاذورات، فتصنع تلك الزّوائد رغوةً على سطح الماء الّذي يجري في النّهر، وعادةً ما يتراكم هذا الزّبد على الحواف ويبقى الماء صافياً رقراقاً، وهذا المَثَل يدركه أهل الصّحراء والجبال والوديان، وهناك مَثَلٌ آخر مناسبٌ لأهل الحَضر:

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾: حين نذهب إلى موقع عمل الحدّاد أو صائغ الذّهب والفضّة نشاهده يوقد النّار ليتحوّل المعدن إلى سائلٍ مصهورٍ، ويطفو فوق هذا السّائل الزّبد؛ أي الشّوائب الّتي دخلت إلى المعدن وليست منه في الأصل، ويبقى المعدن صافياً بعد ذلك.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾: حين يضرب المولى ﷻ الحقّ والباطل فهو يستخلص ما يفيد النّاس، ويُذهب ما يضرّ النّاس.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ﴾: جُفاءً؛ أي مطروداً، من الجَفوة، جفا فلان؛ أي أبعده عنه، لذلك ذيّل الحقّ الآية الكريمة بقوله:

﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾: وشاء الله ﷻ أن يبيّن لنا بالأمور الحسّيّة ما يساوي الأمور المعنويّة، كي يعلم الإنسان أنّ الظّلم حين يستشري ويعلو ويطمس الحقّ فهو إلى زوالٍ، كمثل الزّبد.

**(الآية ١٨) - ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨﴾:**

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾: الّذين يستجيبون للرّبّ الّذي خلق من عدمٍ، وأوجد لهم مقوّمات الحياة واستبقاء النّوع بالزّواج والتّكاثر، فإذا دعاهم لشيءٍ فليعلموا أنّ ما يطلبه منهم متمّمٌ لمصلحتهم الّتي بدأها بإيجاد كلّ شيءٍ لهم من البداية، هؤلاء لهم الحُسنى، فلا تظنّ أنّك تتفضّل على ربّك، فسبحانه جعل الدّنيا مزرعةً للآخرة، ونحن في الدّنيا نوكل لقدرتنا على الأخذ بالأسباب، لكنّنا في الآخرة للمسبِّب، ويقول ﷻ في آيةٍ أخرى: ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: من الآية ٢٦]، الحُسنى هي الأمر الأحسن، وقد خلق الله ﷻ لنا في الدّنيا الأسباب الّتي نكدح فيها، ولكنّنا في الآخرة نحيا بدون كدحٍ بكلّ ما نتمنّى، وهذا هو الحسَن، كلمة الحُسنى مؤنّثة، من أفعل التّفضيل، يُقال: حسنة وحُسنى، وفي المذكّر يُقال: حسن وأحسن.

﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓ﴾:

يقول الإنسان حينها: خذوا كلّ ما أملك وأعتقوني، ولكن لا يُستجاب له.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾: لأنّ الحساب يترتّب عليه خيراً مرّةً وشرّاً مرّةً أخرى، وهنا قال المولى ﷻ: ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾؛ لأنّ الواحد من هؤلاء –والعياذ بالله– لن يستطيع أن يتصرّف في النّار عندما يوضع فيها، كما لا يستطيع الطّفل الوليد أن يتصرّف في مهاده.

**(الآية ١٩) -** ﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾:

﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ﴾: يبيّن المولى ﷻ في هذه الآيات بأنّ الحقّ واضحٌ جليٌّ، وهو نورٌ ساطعٌ بالنّسبة إلى النّاس، فمن يعلم أنّ الحقّ من الله ﷻ ليس كمن هو أعمى في ظلمات الجهل والشّرك، والمؤمن هو مَن يعلم أنّ القرآن الكريم الحامل للمنهج هو الّذي أنزله الله ﷻ على رسوله الكريم، ولنلحظ هنا علمٌ وعمى؛ لأنّ الآيات الدّالّة على القُدرة من المرئيّات.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: أي أصحاب العقول القادرة على التّدبّر والتّفكّر والتّمييز، ومن هنا نرى أنّ القرآن الكريم يُخاطب الإنسان من خلال عقله، وليس كما يحاول بعض النّاس أن يلبسوا الحقّ بالباطل، ويُنكروا أنّ الإسلام هو دين الحِوار والعقل والمنطق والفِكر، فقد قال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ [النّساء: من الآية ٨٢]، ﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ [يس: من الآية ٦٨]، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: من الآية ١٧٦].

لماذا أعطى الله ﷻ الإنسانَ العقل؟ ليُفكّر ويختار بين البدائل، بين الإيمان والكفر، بين الحقّ والباطل، بين الظّلام والنّور، بين الصّحّ والخطأ،

فمناط كلّ شيءٍ، حتّى التّكليف الإيمانيّ، إنّما هو العقل، وادّعاء أنّ المسلمين ليسوا أصحاب عقلٍ ادّعاءٌ باطل، فمن يكون صاحب العقل إذاً؟ صاحب العقل الّذي يُنكر وجود الله ﷻ؟ بكلّ المقاييس العقليّة والعلميّة والآيات الدّالّة هؤلاء النّاس الّذين أنكروا وجود الله ﷻ ما استطاعوا إلّا أن يصلوا إلى نقطةٍ يقفون عندها، أمّا الإيمان فإنّه يصل معك علمياً وعقليّاً بالحوار والتّفكّر والتّدبّر إلى الإجابة على التّساؤلات كلّها، لذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ [الفرقان]، فهل جاء النّبيّ ﷺ بالقسوة والعنف أو جاء باللّطف؟ جاء النّبيّ ﷺ بالكلمة والحكمة، قال ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النّحل: من الآية ١٢٥]، من الّذي قام بالإرهاب والقتل والتّخويف والتّرهيب؟ هم الّذين لا يؤمنون بالله ﷻ؛ لأنّ النّبيّ ﷺ قال لهم: لا إله إلّا الله، هم الّذين اعتَدوا، وهم الّذين أنكروا، وهم الّذين استخدموا الوسائل الّتي تُناقض العقل والعلم والمعرفة، بينما أوّل آيةٍ نزلت بالقرآن الكريم هي قوله ﷻ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق].

من هم أولو الألباب؟ بيّن الله ﷻ تسع صفات لأولي الألباب يجب أن نتوقّف عندها:

**(الآية ٢٠) - ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠﴾:**

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: أوّلاً: هو عهد الإيمان بفطرة الإنسان المركوزة في داخله، والّتي تشير إلى الخالق ﷻ وإلى وحدانيّته ﷻ، وتشير إلى وجود صانعٍ

لهذا الكون أبدعه وخلقه، فهنا يبيّن الله ﷻ أنّ هذا الوفاء إنّما يكون لهذا العهد الّذي هو بين الإنسان وبين ربّه. ثانياً: هذا العهد يتمّ توثيقه من خلال الأنبياء والرّسالات السّماويّة، وقد سهّل الله ﷻ مهمّة الإيمان من خلال الفطرة الإنسانيّة، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف]، فكانت هذه الفطرة هي الموجودة، والإنسان يولد على الفطرة كما بيّن النّبيّ ﷺ، وجاء الأنبياء عليهم السلام وجاءت الرّسالات السّماويّة لتقول لنا مُراد المولى تعالى منّا، ولتبيّن لنا صفات الله ﷻ، وتبيّن لنا الخير من الشّرّ، والثّواب والعقاب، أمّا بالنّسبة إلى الإيمان فالعهد هو الأساس الموجود والمركوز في داخل الفطرة الإنسانيّة البشريّة.

﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾: ولا بدّ من الوفاء بهذا العهد وعدم نقض الميثاق، وميثاق الإيمان هو تكاليف الإيمان الّتي فرضها الله ﷻ علينا، وهذا العهد لا ينقضه الإنسان المؤمن، لذلك من صفات الإنسان العاقل الوفاء بالعهد، وعدم نقض ميثاق الإيمان الّذي أعلن الإنسان فيه إيمانه لله ﷻ من خلال الأنبياء والرّسالات.

**(الآية ٢١) - ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾:**

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: أوّل ما أمر الله ﷻ به أن يوصل هو صِلة الرّحم، يقول الله ﷻ في الحديث القدسيّ: «**أنا اللَّهُ، وأنا الرَّحْمَنُ،**

**خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِن اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»**(١)، لذلك صِلة الرّحم لمصلحة النّاس وخيرهم، فصِلة الرّحم دوائر دائماً لكلّ إنسانٍ، وإذا كانت هناك صِلةٌ بين هذه الأرحام فكلّ دائرةٍ لها دائرةٌ أوسع، حتّى تصل إلى المجتمع برمّته، ومن الخيريّة دائماً أن يصِل الإنسان رحمه، وقبل كلّ شيءٍ برّ الوالدين، فقد قرن الله ﷻ برّ الوالدين بتوحيده، قال ﷻ: ﴿* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: من الآية ٢٣]، وقال ﷻ: ﴿* وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النّساء: من الآية ٣٦]، البرّ بالوالدين والإخوة والأخوات والعموم والأخوال وأبناء العمّ وأبناء الخال... وهكذا تتّصل الدّوائر حتّى تصل إلى الدّائرة الكاملة، هذا المعنى العظيم لصلة الأرحام، وهذه لا توجد في المجتمعات المتقطّعة الأوصال، المجتمعات الغربيّة الّتي تخلّت عن الأسس الأخلاقيّة، فأوّل الأخلاق هو صِلة الأرحام ببرّ الوالدين والعلاقة مع الإخوة والأسرة والعائلة والجار، قال ﷺ: **«مازال جبريل يوصيني بالجار حتّى ظننت أنّه سيورّثه»**(٢)، وقال ﷺ: **«ما آمن بي من بات شبعانَ وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»**(٣)، هذه خيريّة عظيمة.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: الإنسان ما بين الرّغبة والرّهبة، لا بدّ أن يخشى من سوء عمله، لا بدّ أن تكون هذه الخشية من صفات الجلال، فهل يظنّ

---

(١) سنن التّرمذيّ: أبواب البرّ والصّلة، باب ما جاء في قطيعة الرّحم، الحديث رقم (١٩٠٧).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب الوصاءة بالجار، الحديث رقم (٥٦٦٩).

(٣) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب الألف، أنس بن مالك الأنصاريّ، الحديث رقم (٧٥١).

الإنسان أن يُترك سدى؟ لا يمكن، قال ﷻ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة].

﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾: لا بدّ من أن ينظر الإنسان إلى ميزان الحساب والعقاب والثّواب والجزاء، ولا يمكن أن تعيش المجتمعات من غير ضوابط، فلا بدّ من أن يكون هناك حسابٌ للمسيء، يقول الإمام عليّ كرّم الله وجهه: "لا يكونّن المحسن والمسيء عندك سواء، فيطمع المسيء في إساءته، ويزهد المُحسن في إحسانه".

**(الآية ٢٢) -** ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: الصّبر هو تحمّل متاعب تطرأ على النّفس لتخرجها من نعيمها وسعادتها، والصّبر ثلاثة أنواع: صبر الذّات على الذّات؛ أي أن تصبر على التّكاليف الّتي أمرك الله ﷻ بها، يأمرك ألّا تفعل هذا فتصبر، و يأمرك بفعلٍ كالصّلاة فتصبر، وهناك صبرٌ على الابتلاء الّذي ليس لك فيه غريمٌ، فلا يستطيع الإنسان أن يُغيّر الأقدار، لذلك نجد أنّ الله ﷻ عندما بيّن هذا النّوع من الصّبر، كالصّبر على مرضٍ أو فقرٍ أو شقاءٍ معيّن، قال: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: من الآية ١٧]، فسواءٌ صبرت أم لم تصبر فالنّتيجة واحدة، لن تستطيع أن تغيّر القدر، وهناك صبرٌ على ابتلاء لك فيه غريمٌ، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزّمر: من الآية ١٠]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة]، وقد قال النّبيّ ﷺ: «**الصَّبرُ نِصفُ الإيمَانِ**»(١)، فالصّبر هو أساسٌ، لذلك نجد أنّ الله ﷻ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة]، لم يقل: (إنّ الله مع المصلّين)، ولم يقل: (استعينوا بالصّلاة والصّبر)، مع أنّ الصّلاة هي ركنٌ من أركان الإسلام، فالصّبر شيءٌ يتعلّق بتحمّل النّفس، وهو عنوان العلاقة مع الله ﷻ؛ لأنّ الله ﷻ جعل هذه الحياة حياة ابتلاءٍ للإنسان، وهي حياة أغيار، وسيتعرّض الإنسان شاء أم أبى إلى كثيرٍ من الأكدار، فقد خُلق في كبَدٍ، وأمام الأقدار والأغيار لا بدّ من الصّبر، فهو عنوان الإيمان والتّحمّل، قد تقول لإنسانٍ: صلّ ألف ركعة فيصلّي، لكن اصبر على الأذى، أو أحسِن لمن أساء إليك.. فيجد في ذلك مشقّة، لذلك أمر الله ﷻ بالاستعانة بالصّبر والصّلاة بسبب طبيعة الحياة الإنسانيّة وطبيعة هذه الحياة المليئة بالأكدار، فإذاً أوّلاً وقبل كلّ شيءٍ عرفنا موقع الصّبر بالنّسبة إلى المؤمن، لذلك المؤمن بين حالين، إن أصابه ضرّاء صبر فكان خيراً له، وإن أصابه نعماء شكر وكان خيراً له، فالإنسان اليوم في صحّة وغداً في مرضٍ، اليوم غنيٌّ وغداً فقيرٌ، اليوم شابٌّ وغداً هرِم، اليوم في نعيمٍ وغداً في ضنكٍ.. هكذا هي طبيعة الحياة، ولا يستطيع أحدٌ أن يقول: بأنّني مستثنى بإلّا، لا يوجد مستثنى بإلّا في هذه الحياة مهما بلغ الإنسان من سلطانٍ أو جاهٍ أو غنىً..

---

(١) شعب الإيمان: باب في الصّبر على المصائب، الحديث رقم (٩٢٦٥).

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾: يمكن أن يصبر الإنسان لغير وجه ربّه، كأن يصبر ليُقال: إنّه فوق الأحداث، فالصّبر له دوافع، لكن الصّبر المطلوب في الآية أن يكون ابتغاء وجه الله ﷻ، وهذا معناه أن ترضى بالقضاء، وتصبر على البلاء، وأنت لا ترى إلّا الخير فيما نزل بك، فإن كان مرضٌ فتؤجر، وإن كان كذا فتُرفع درجاتك.. حتّى الشّوكة الّتي يُشاكها الإنسان تُكتب له حسنة، من هذا المنطلق يكون عندها الصّبر ابتغاء وجه الله ﷻ وليس ابتغاء أمرٍ آخر، وإذا كان هناك إنسانٌ قد ظلمك وآذاك فهنا الصّبر يكون أشدّ وأصعب، لذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصّلت]، وقال الشّاعر:

يا من تأتيك العداوة مِنَ الّذي ومِنَ الّتي
ادفـع فديتـكَ بالّتي حتّى ترى: إذا الّذي

هذه هي القيم الّتي جاء بها الإسلام، الدّفع بالّتي هي أحسن، والصّبر على الابتلاء، والصّبر على الآخرين.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: الصّلاة هي صِلةٌ مع الله ﷻ، وهي الرّكن الأساس من أركان الإسلام؛ لأنّ أركان الإسلام الخمسة باستثناء الشّهادتين تسقط في حالات معيّنة، كالصّوم والحجّ والزّكاة، أمّا الصّلاة فلا تسقط في حالٍ من الأحوال، وهي اتّصالٌ حقيقيٌّ بين العبد وبين الرّبّ:

حسبُ نفسي عزّاً بأنّي عبدُ يحتفي بي بلا مواعيد ربُّ
هو في قدسه الأعزّ ولكن أنا ألقاه متى وأين أحبّ

فأنت في أيّ لحظةٍ من اللّحظات تستطيع أن تلاقي الله ﷻ، أن تلاقي القادر، أن تلاقي الشّافي، أن تلاقي القويّ، أن تلاقي الغنيّ، أن تلاقي الكريم، أن تلاقي العظيم، أن تلاقي مجيب الدّعوات، فهذه هي الصّلاة، لذلك كان النّبيّ ﷺ إذا حزبه أمرٌ لجأ إلى الصّلاة، وقد قال ﷺ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»(١)؛ لأنّها مفتاح القلوب إلى الله ﷻ علّام الغيوب، وهي مِعراج المؤمن إلى حضرة الله ﷻ، وهي العطاء والدّعاء، فالصّلاة هي دعاءٌ واتّصالٌ مع الله تعالى.

﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: العنوان الأساس في المجتمع هو التّضامن والتّكافل، وموضوع الإنفاق هو موضوعٌ مهمٌّ بيّنه المولى ﷻ هنا في أمرين اثنين: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، فالسّرّ الصّدقة المندوبة، والعلانية هي الزّكاة، وهي حقٌّ للفقير يردّه الله ﷻ عليه من الغنيّ، فالزّكاة جزءٌ من إيمان الغنيّ، لمصلحة الفقير، ويجب أن تكون علناً حتّى يتأسّى النّاس بفاعلها؛ لأنّها ركنٌ من أركان الإسلام، أمّا الصّدقات فتُدفَع سرّاً حتّى لا تعلم شمالك ما أنفقت يمينك، وهذا من باب عدم الرّياء وعدم التّعالي والمنّ على الفقراء، وقد جعل الله ﷻ الزّكاة والإنفاق والصّدقات تكافلاً وتضامناً وتأميناً للمجتمع، فعندما تعطي المحتاج تعلم بأنّ هذا العطاء مضمون الرّدّ إذا أصابتك فاقةٌ، وهذا أكبر تأمينٍ للفقراء، وللتّكافل والتّضامن والتّراحم بين أبناء المجتمع، يقول النّبيّ ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادّهم**

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: مسند المكثرين من الصّحابة، مسند أنس بن مالك ﷺ، الحديث رقم (١٤٠٣٧).

**وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى»**[1].

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: الدّرء: هو الدّفع بشدّة، فإذا عمل سيّئةً يدفعها بحسنة مباشرةً، وهذا عطاءٌ عظيمٌ وخيرٌ كبيرٌ للمجتمع وللنّاس جميعاً، فإتباع السّيّئة الحسنة تمحو السّيّئة وتعطي الخير للمجتمع بشكلٍ عامٍّ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: عقبى من العقِب؛ أي ما يعقُب الشّيء، فالعاقبة والنّتيجة هي دار الآخرة، وهي الجنّة.

**(الآية ٢٣) -** ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾:

عقبى الدّار هي جنّات عدنٍ.

﴿جَنَّٰتُ﴾: أي بساتين.

﴿عَدْنٍ﴾: أي إقامة دائمة.

المقصود بالجنّات البساتين، وفي آياتٍ أخرى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التّوبة: من الآية ٧٢]، فللإنسان هذه الأشجار وهذه البساتين، وفيها مساكن طيّبة، والجنّة كما بيّن النّبيّ ﷺ في الحديث الصّحيح: «**فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ**»[2]، وهنا عندما نناقش القضايا

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الحديث رقم (٢٥٨٦).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، الحديث رقم (٢٨٢٥).

الغيبيّة والعقائديّة المتعلّقة بالجنّة والنّار وما تحويه، وما فيها من أنهار...، فكلّها تخضع لمعيارٍ واحدٍ، هذا المعيار هو قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرّعد: من الآية ٣٥]، ﴿مَّثَلُ﴾؛ أي أنّ العقل البشريّ لا يستطيع تصوّر ما في الجنّة، فهي ﴿مَّثَلُ﴾؛ أي تقريب للأذهان بمثل ما يعرف الإنسان؛ لأنّ الشّيء إن لم تكن تعرفه فلا تستطيع تسميته، فمثلاً عندما اخترعوا التّلفاز سُمّي كذلك بعد إنشائه، وكلّ ما يتعلّق بالجنّة يخضع لهذا المعيار، فالجنّات والبساتين والأنهار والمساكن الطيّبة... كلّ هذه الأمور هي للتّقريب للعقل البشريّ، بدليل قول نبيّه صلى الله عليه وسلم: «**فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ**»، فإذا لم يخطر على بالك، ولم تره عيناك، ولم تسمع عنه أذُناك، فكيف ستتصوّره؟! لذلك يقرّب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذلك للأذهان البشريّة.

﴿يَدْخُلُونَهَا﴾: يدخل هذه الجنّات أولو الألباب الّذين اتّصفوا بالصّفات التّسع الّتي تحدّثنا عنها.

﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾: الجنّة ليست لك فقط، وإنّما لمن تحبّ في هذه الحياة الدّنيا أيضاً، وهذا من رحمة وعطاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن بشرط أن يكون صالحاً، بما أنّه قال: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ فالمراد العائلة كلّها، فكلمة الآباء تُطلق على الأمّهات والآباء، بدليل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة يوسف: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: من الآية ١٠٠]؛ أي أمّه وأبيه، وهنا يدخل الإنسان الصّالح جنّات عدنٍ ومن صلح من الآباء والأزواج والذّريّات، والإنسان يحنّ بعاطفته الّتي خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى ذرّيّته وإلى أمّه وأبيه وزوجته،

فهؤلاء جميعاً يكونون مع بعضهم بإذن الله ﷻ بشرط الصّلاح.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾: أي أبواب الطّاعات، أبواب الجزاءات.

**(الآية ٢٤) - ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾:**

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾: معنى سلام: الأمن والاطمئنان وعدم القلق والرّضا، هذا هو المعنى العامّ لكلمة سلام، لذلك تقول عند الانتهاء من الصّلاة: السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والإسلام مشتقٌّ من كلمة السّلام وهذا عكس كلّ الإرهاب والتّطرّف والإكراه.

الملائكة يقولون: سلامٌ عليكم؛ أي عليكم الأمن والاطمئنان والرّضا؛ لأنّ الجنّة ليس فيها أغيار، لن تكون صحيحاً فتمرض، أو غنيّاً فتفقر، أو حيّاً فتموت، هذا معنى السّلام العامّ، ونحن نجد ملحظاً رائعاً في اللّغة العربيّة مرّت معنا عندما دخلت الملائكة على سيّدنا إبراهيم ليُبشّروه وهم في طريقهم إلى قوم لوط: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ﴾ [هود: من الآية ٦٩]، في اللّغة العربيّة يجب أن تكون حسب عقلنا اللّغويّ (قالوا سلاماً قال سلاماً)، المفروض أن تكون منصوبة، لكن هو قال: ﴿سَلَٰمٌ ۖ﴾؛ لأنّ السّلام بالنّسبة إلى الملائكة دائماً مبتدأ، وهو ثابتٌ.

﴿بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ﴾: الآن لم يعد هناك صبرٌ، فالمؤمن في الجنّة ليس في عالم أغيار، بل في نعيمٍ مقيمٍ بما صبر، ولنلحظ هنا أنّ الصّفات الّتي مرّت ودخل الإنسان بسببها -بعد رحمة الله ﷻ- الجنّة هي تسع صفات مرّت معنا، لكنّ الملائكة حدّدوا صفةً واحدةً وهي الصّبر، لما له من أهميّةٍ، وأنّه دليلٌ على

الإيمان، وهو الأساس في مواجهة طبيعة الحياة الّتي هي أكدارٌ وابتلاءات.

﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: هذه هي العاقبة الّتي هي نعيمٌ مقيمٌ.

**(الآية ٢٥)** - ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: العهد الّذي بينهم وبين الله تعالى هو عهد الفطرة المركوزة في الإنسان، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ﴾ [الأعراف: من الآية ١٧٢]، وبعد أن جاءت الرّسل وآمن بها الإنسان وأعطى ربّه عهداً على الإيمان، هناك ميثاقٌ آخر وهو ميثاق الفطرة داخل الإنسان، فالإنسان يولد على الفطرة كما قال النّبيّ ﷺ: «**ما من مولودٍ إلّا يولَد على الفطرة**»(١)، فالإنسان نقض هذه الفطرة ونقض عهد الله ﷻ.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: أي يقطّعون الأرحام ويقطّعون الصّلات؛ لأنّ علاقاتهم كلّها تشوبها المصالح، ولا تشوبها الأخلاق والكوابح، هذا هو الفارق الكبير، فالإنسان الّذي ليس عنده أخلاق لن يبرّ والديه، ولن يصل إخوته وأقاربه، وإن كان هناك ميراثٌ فسيقاتل من أجل ميراثه؛ لأنّ المصلحة هي الّتي تحرّكه وليس الإيمان.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصّبيّ فمات هل يُصلّى عليه؟ وهل يُعرض على الصّبيّ الإسلام؟ الحديث رقم (١٢٩٢).

﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: الفساد هو إفساد كلّ شيءٍ عن حاله الّذي خلقه الله ﷻ عليه، فالله ﷻ خلق الكون والإنسان والكائنات كلّها على هيئة الصّلاح لتؤدّي مهمّتها، فهذه المهمّة الّتي تؤدّيها إذا أفسدها الإنسان وغيّر من صلاحها فسيأتي الفساد بأنواعه كلّها، الماليّ والأخلاقيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ، بدليل أنّ الله ﷻ قال: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الرّوم: من الآية ٤١]، الأصل هو الصّلاح، لذلك لا يوجد إيمانٌ من غير عملٍ صالحٍ، وإنّ ترك الأمور على حالها يُبقيها صالحةً كما خلقها الله ﷻ، لكن الإنسان يفسد المياه والجوّ والأخلاق والعلاقات... والله ﷻ يحبّ الصّلاح، فنجد في آيات القرآن الكريم قوله: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ۝١٠٧﴾ [الكهف]، فدليل الإيمان هو العمل الصّالح، وهو عكس الفساد، فإذا أردت الصّلاح فيجب عليك أن تسير بالاستقامة الّتي هي عنوان هذا الدّين، يقول تبارك وتعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة]، فالاستقامة هي الصّراط المطلوب، قال ﷻ: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: من الآية ١١٢]، وقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝١٣﴾ [الأحقاف: من الآية ١٣]، فلا يمكن للإنسان أن يقول: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، ثمّ يكذب أو ينمّ أو يرتشي أو يسرق أو يقتل أو يزني...

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: اللّعنة؛ أي الطّرد من رحمة الله ﷻ، فلهم سوء الدّار، فيكون المأوى جهنّم وبئس المصير.

**(الآية ٢٦) -** ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦﴾:

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾: البسط هو مدّ الشّيء، فالله ﷻ يوسّع على من يَشاء من خلقه في رزقه، فيبسط له منه.

والرّزق لا يقتصر فقط على المال، وإنّما هو كلّ ما يُنتفع به، فالصّحّة رزقٌ، والعلم رزقٌ، والأخلاق رزقٌ، والمال هو جزءٌ من هذا الرّزق، والله ﷻ طمأن النّاس بكفالة الرّزق، فقال ﷻ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ [الذّاريات]، دخل سيّدنا عمر بن الخطّاب ﷺ إلى المسجد فوجد رجلاً يرفع يديه إلى السّماء ويدعو بالرّزق، فقال ﷺ: "لَا يَقْعُدُ أحدكم عن طلب الرّزق يقول: اللَّهُمَّ ارزقني، فَقَد عَلِمْتُم أَنَّ السَّمَاءَ لَا تُمطِر ذهباً ولا فضّة"، فالرّزق مضمونٌ، ولكن لا بدّ من الحركة والعمل للحصول عليه، والأخذ بالأسباب أساسٌ في هذه الحياة الدّنيا، وقد أراد الله ﷻ لهذه الحياة أن تكون مجال اختبارٍ وابتلاءٍ؛ لذلك لا بدّ من ارتباط الأسباب بالمسبّبات، لكنّ الفاعل الحقيقيّ هو الله ﷻ، وكلّ ما سوى الله ﷻ فقد جرى عليه فعل الفاعل.

﴿وَيَقۡدِرُۚ﴾: يضيّق.

فهناك أناسٌ رزقهم ضيّقٌ، ولكن هل ترك الله ﷻ الخلق هكذا، أو أنّه جعل في مال الأغنياء حقّاً للفقراء؟ هل ضمن الرّزق للبشر كلّهم؟ الجواب: نعم، إنّ الله ﷻ فرض في أموال الأغنياء ما يسع الفقراء، فلو أخرج الأغنياء

زكاة أموالهم لما وُجِد فقراء، فهذا سيّدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ وزّع الأموال وبقي في بيت المال فقال: وزّعوا على الفقراء وزّعوا على المساكين وزّعوا على من يريد الزّواج وزّعوا... وبقيت الأموال كثيرة، فقال: انثروا الحبّ على رؤوس الجبال حتّى لا يُقال: بأنّه جاع طيرٌ في عهد عمر، فلو أنّ الأغنياء أدّوا حقّ الله تعالى فيما عليهم للفقراء ما جاع فقيرٌ، وهذا هو الحقّ المعلوم: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾ [المعارج].

﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: الفرح بطبيعته ليس أمراً غير مرغوبٍ فيه، بدليل أنّ الله ﷻ قال: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس]، فالفرح غير مذمومٍ إذا لم يكن ببطرٍ وتكبّرٍ واستغناءٍ عن عطاء الله ﷻ، بدليل قوله ﷻ: ﴿۞إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص]، فهذه المعايير الأخلاقيّة القيميّة الّتي تضمن المجتمعات، فالفرح مقبولٌ عندما يكون بحقّ، أمّا هنا فهو فرحٌ بباطل؛ لأنّ المولى ﷻ قال: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، فقد فرحوا بهذه الدّنيا، ويجب أن تكون الفرحة هي الفرحة الحقيقيّة: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾، برضا الله ﷻ، والرّضا بقضائه وهذا فارقٌ كبيرٌ بمعنى الفرح.

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾: المتاع: هو الشّيء الزّائل، شيءٌ لا يبقى، مُتعة قليلة وزائلة، فلا تُقارن هذه الدّار الّتي أنت راحلٌ عنها بالدّار الّتي

أنت قادمٌ إليها، لا تُقارن هذه الدّار الّتي مدّة لبثك فيها لا تتجاوز اليسير إلى الخُلد والبقاء الدّائم، لذلك كان سيّدنا عمر بن عبد العزيز يقول: يا ساكن القبر غداً، ما غرّك من الدّنيا، هل تعلم أنّك تبقى أو تبقى لك؟! جاء الأمر من السّماء، جاء غالب القدر والقضاء، جاء من الأمر الأجل ما يمتنع منه، هيهات يا مغمض الوالد والولد والأخ ومكفّنه، يا مغسّل الميت ومخلّيه، يا تاركه وذاهباً عنه ماذا تقول لملك الموت؟

فالموت حقٌّ، والإنسان زائلٌ، ذاهبٌ إلى ربّه، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فلا يكون الفرح بمتاعٍ زائلٍ كالحياة الدّنيا، وإنّما بالآخرة الباقية.

**(الآية ٢٧) -** ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ٢٧﴾:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾: قالوا عندما نزل القرآن الكريم، وهو أكبر وأعظم آية: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصّلت: من الآية ٢٦]؛ أي شوّشوا على القرآن، وقد قالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ٣١﴾ [الزّخرف: من الآية ٣١]، وقالوا: ﴿فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ٥٣﴾ [الزّخرف]، فالقضيّة عندهم ليست قضيّة إيمانٍ، وإنّما هي قضيّة تعجيزٍ.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾: من أناب؛ أي من يعود إليه، فلا بدّ من أن يُعمل الإنسان عقله، ويفتح صدره وقلبه لدعوة الحقّ حتّى يستطيع أن يتلقّى هذا العطاء الإلهيّ من القرآن الكريم أو من دعوة الرّسالات

السّماويّة والأنبياء الّذين جاؤوا، فالقضيّة هنا ليست قضيّة إنزال آياتٍ ومعجزاتٍ على الرّسول الكريم، فهم لن يؤمنوا مهما جاءتهم من آيات، كما جرى مع الأنبياء السّابقين.

وهنا قضيّةٌ مهمّةٌ، تُثير إشكالاً لدى بعض النّاس أحياناً، فيقول: الله ﷻ لم يشأ أن يهديني، فما ذنبي أنا بهذا الموضوع؟ والمولى ﷻ يقول: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص]، هنا يجب أن نبيّن بأنّ الهداية تكون عامّةً للبشر كلّهم وهي هداية الدّلالة، فإذا أخذ بها الإنسان فالله ﷻ يؤيّده بهداية المعونة، مثال: وُضِعَت لافتةٌ مكتوبٌ عليها: اذهب من هذا الطّريق، ولافتةٌ أخرى مكتوبٌ عليها لا تذهب من هذا الطّريق، فتكون أنت من اخترت، وكذلك عندما اخترت طريق الإيمان فالنّتيجة كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمّد]، وعندما يقول ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾؛ أي أنّك لن تخرج عن قدرة الله ﷻ، فلو شاء لجعلك مؤمناً، وهذه من صفات الله ﷻ الّتي لا يستطيع الإنسان أن يستوعبها، فأنت لست مخوّلاً أو مطلوباً منك أن تقول: لماذا هداني الله ﷻ؟ أو لم يهدني؟ فقد بيّن لي الطّريق وقال: إذا اخترت هذا الطّريق فهو صواب... والله ﷻ يُحاسب الإنسان على اختياره، فالهداية الّتي أُحاسب عليها هي الّتي تبيّنت لي، والإنسان هو الوحيد الّذي أُعطي العقل ليختار بين البدائل، وهذا هو مناط التّكليف، وعلى هذا يكون الثّواب والعقاب، فطريق الهداية بالنّسبة إلى الإنسان هو طريق الاختيار بين طريق الهداية وبين طريق الضّلال، فإذا اخترت هذا الطّريق فستُحاسب، ولكنّك لا تُحاسَب على إرادة الله ﷻ أو على

قضاء الله ﷻ أو على قدره ﷻ، وليس لك شأنٌ فيه، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران]، فهذه من صفات الله ﷻ، والإنسان غير مطالبٍ بها.

﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾: رجوع الإنسان إلى الله ﷻ والاستغفار أساس الإيمان، وليس أن يؤمن الإنسان لمجرّد رؤية معجزةٍ ثمّ تذهب هذه المعجزة، والنّبيّ ﷺ جاءت معه معجزات كبرى، كمعجزة الإسراء والمعراج وتسبيح الحصى بين يديه وتفجير الماء بين يديه... إلخ، لكن بما أنّ القرآن الكريم خالدٌ بخلود الدّهر الّذي خُلق فيه الإنسان فهو المعجزة الباقية الخالدة لرسولنا الكريم، وهو الآية، لذلك قال ﷻ عن القرآن الكريم: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢﴾ [الشّعراء]، فسمّيت أحرف وكلمات وآيات القرآن الكريم آيات؛ أي أنّها معجزات، ففي كلّ حرفٍ وفي كلّ كلمةٍ وفي كلّ جملةٍ هناك آيةٌ تدلّ على وجود الله ﷻ وعلى صدق رسول الله ﷺ.

**(الآية ٢٨) - ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾:**

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: قال العلماء: هي بدل عمّن أناب، فالّذين خصّهم الله تعالى بالهداية والّذين أنابوا لربّهم هم الّذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر الله ﷻ، هذا المعنى العامّ بالنّسبة إلى هذه الآية، وأمّا مدلولات وعطاء هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ فمن عناوين الإيمان اليقين، وعندما يكون

اليقين والرّضا يغمران قلب الإنسان فلا بدّ أنّه عامرٌ بذكر الله ﷻ.

﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: أوّلاً: القرآن الكريم هو ذكرٌ، قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الشّعراء]، فما هو التّعريف العام للذّكر؟

الذّكر هو عكس النّسيان؛ أي أن يخطر الخاطر بالبال، أن يكون معك، لذلك الذّكر هو أن تكون مع الله ﷻ باستمرار، كما قال ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(١)، فالذّكر ليس استحضاراً لغائب، إنّما حضورك أنت من غيبةٍ؛ لأنّ الله ﷻ موجودٌ، ولكنّك أنت الّذي غبت، فإذا ذكرت الله ﷻ فهذا ليس استحضاراً لغائبٍ، وإنّما هو حضورٌ من قِبَلك، فعندما يكون الإنسان مع الله ﷻ ويذكره في عمله وقوله، في لسانه ويده وعينيه.. وفي كلّ شأنٍ من شؤونه، فإنّه يخاف الله ﷻ، والله ﷻ أمر الإنسان بالإحسان والعدل والاستقامة، فكيف سيكون حال هذا الإنسان الذّاكر؟!

الله ﷻ خصّ الذّاكرين بكثيرٍ من الآيات القرآنيّة، وقد يسأل بعضهم: هل يحتاج الذّكر إلى مجالس؟ الجواب: هي طيّبةٌ ومباركة؛ لأنّها حلقاتٌ للذّكر، لكنّ الذّكر يكون في الأحوال كلّها؛ لأنّ الله ﷻ يقول: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: من الآية ٢٠٠]، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النّساء: من الآية ١٠٣]، فالذّكر أن تكون مع الله ﷻ في كلّ أمرٍ من أمورك، وفي كلّ عملٍ من

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النَّبيَّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، وعلم السّاعة، الحديث رقم (٥٠).

أعمالك، فعندما تكون مع الله ﷻ فهذه هي الوسيلة الوحيدة لاطمئنان القلب، والاطمئنان هو اليقين والرّضا والسّكينة، وهو القبول في هذه الحياة الدّنيا بما قسمه الله ﷻ للإنسان.

وذكر الله ﷻ هو أمرٌ مهمّ؛ لأنّ الله ﷻ يقول: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: من الآية ١٥٢]، فكم نحن محتاجون ألّا ننسى الله ﷻ حتّى لا ينسانا من رحمته، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران]، والذّكر يكون مع الفكر، كما كانت السّيّدة رابعة العدويّة تقول:

تصاعد أنفاسي إليك عتابُ ... وكلّ إشاراتي إليك خطابُ
وإن لاحت الأسرار فهي رسائل ... فهل لرسالات المحبّ جوابُ
فليتك تحلو والحياة مريرةٌ ... وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الّذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحّ منك الودّ فالكلّ هيّنٌ ... وكلّ الّذي فوق التّراب ترابُ

فما أجمل أن يعيش الإنسان مع الله ﷻ مطمئنّ القلب، وهنا عندما يقول المولى ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾، لم يقل اطمأنّت أو ستطمئنّ، بل استخدم الفعل المضارع، فقرن الإيمان وحقيقة الإيمان بالاطمئنان، فإذا كنت مؤمناً فإنّك تعلم بأنّ الفاعل الحقيقيّ في هذا الكون هو الله ﷻ، وأنّ كلّ ما سِوى الله ﷻ فقد وقع عليه فعل الفاعل، تعلم أنّه لا يضرّ ولا ينفع ولا يخفض ولا يرفع ولا يعطي ولا يمنع ولا يعزّ ولا يذلّ ولا يحيي ولا يميت سوى الله ﷻ،

فتعيش في حالةٍ من الاطمئنان والسّكون والهدوء وراحة البال؛ لأنّ الحياة أغيار؛ ولأنّ الحياة فيها من الأكدار والمصائب والبلايا، كما قال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة]، فالذّكر عُمدةٌ بالنّسبة إلى العبادات، وهو من أسهل العبادات ومن أصعبها بالوقت ذاته، من أسهلها؛ لأنّك تذكر الله ﷻ باللّسان كيفما كنت وفي أيّ حالٍ، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: من الآية ١٩١]، ولكن ليس الأمر مجرّد أن تقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، أستغفر الله، اللّهمّ صلّ على سيّدنا محمّد، لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظّالمين، فصيغ الذّكر كثيرة جدّاً، ولكن تحقّق الذّكر في القلب والوجدان هو أن تعيش مع الله ﷻ، وعندما تعيش مع الله ﷻ فإنّك تعيش حالةً من الاطمئنان، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾، لم يقل: (الّذين آمنوا تطمئنّ قلوبهم)، وإنّما عطف الاطمئنان على الإيمان؛ أي أنّه من عناصر الإيمان أن تُرضي الرّحمن، وبذلك تسعد كإنسانٍ وتذهب عنك الأحزان، هذا معنى من معاني الذّكر، وعندما نقول للإنسان: الذّكر أن تعيش مع الله ﷻ، لا نقصد أنّك في حالة عباداتٍ مستمرّة، وإنّما أعمال؛ لأنّ الإيمان مقترنٌ بالعمل الصّالح، فأنت إذا عملت وأنت تذكر الله ﷻ؛ أي أنّك تخشى الله ﷻ، فلا مال حرام يدخل عليك، ولا أذيّة إنسانٍ يتطرّق إليك، ولا.. فتكون إنساناً فاعلاً ومصلحاً وصالحاً في هذا المجتمع.

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾: ألا: هي حرف تنبيهٍ، أراد أن ينبّه النّاس جميعاً، فلن يطمئنّ قلب أيّ إنسانٍ إلّا إذا ذكر الله ﷻ؛ لأنّه في هذا يتّكل على القويّ، والقادر، والمعطي، والمانع، والرّزّاق، والمحيي، والمميت، فيا أيّها الإنسان الهلع، أيّها الإنسان الجزع، أيّها الإنسان الّذي يتمنّى الرّزق، أيّها الإنسان الّذي يتمنّى زوال المصائب عنه، أيّها الإنسان الّذي يتمنّى الشّفاء، أيّها الإنسان الّذي يخاف من الأمراض، أيّها الإنسان الّذي يخاف من الموت، أيّها الإنسان الّذي يخاف من الظّلم، أيّها الإنسان الّذي يخاف من غيره، هناك سبيلٌ واحدٌ لا سِواه على الإطلاق: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾، فاذكروا الله تعالى، وكونوا معه ﷻ، ولا تنسوه ﷻ، يقول الله ﷻ عن هؤلاء النّاس: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: من الآية ٦٧]، فالإنسان عندما ينسى الله ﷻ فإنّه ينسى نفسه؛ أي لن يحقّق لنفسه الاطمئنان والرّاحة والسّكينة، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: من الآية ١٩]، فهذه معادلةٌ محقّقةٌ لا محال، فلذلك الآية الكريمة: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾، هي شعار المؤمن، والإيمان ليس مجرّد كلمات، ليس مجرّد إيمانٍ بالتّحلّي ولا بالتّمنّي، ولكنّ الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل، وقر في القلب؛ أي وقر معه الرّضا والسّكينة والرّاحة والاطمئنان، وبعد هذه المقدّمة يمكن أن نفهم لماذا جاءت الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فيها ثلاثة مقاطع كلّها تؤدّي إلى المعنى العظيم، إلى العطاء الوفير من المولى ﷻ لأصحاب الإيمان الّذين وقر الإيمان في قلوبهم، فالإيمان يصنع المعجزات ويحقّق الغايات والآمال والطّموحات؛ لأنّ المؤمن مطمئنّ القلب ثابت الجأش في هذه الحياة وعند المصائب والابتلاءات في هذه

الحياة الدّنيا، وقد قال نبيّنا ﷺ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[1]، فنطلب المعونة من الله ﷻ على ألّا ننسى الله ﷻ.

**(الآية ٢٩) - ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾:**

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: تأتي عبارة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ دائماً مقرونةً بالعمل، قال ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾ [الكهف]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ [الكهف]، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر]، فالإيمان معطوفٌ دائماً على العمل الصّالح، فلا يمكن أن يكون الإيمان من غير تُرجُمان، وترجمان الإيمان هو العمل الصّالح؛ أي ما يفيد الآخرين، وهو عكس الفاسد، إنّ أيّ كلامٍ عن الإيمان يستوجب معه بيان يقدّمه الإنسان وهو العمل الصّالح.

﴿طُوبَىٰ لَهُمۡ﴾: طوبى: من الطّيّب؛ أي فرحٌ وقرّة عين، فهؤلاء لهم الفرح وقرّة العين.

﴿وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾: مآب: مرجع؛ أي مرجع حسن، سيكون مرجعهم إلى الله ﷻ، إلى الجنّة والثّواب عمّا آمنوا به وعملوا من الصّالحات، قال ﷻ: ﴿وَأَن

(١) مسند الإمام أحمد: تتمّة مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل، الحديث رقم (٢٢١١٩).

لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ٤١ ﴾ [النّجم].

**(الآية ٣٠) -** ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ﴾: لقد أرسلناك يا محمّد في أمّةٍ قد خلت من قبلها أممٌ كما حدث بالأمم السّابقة، فلست بِدعاً من الرّسل، وهكذا هي سنّة الله ﷻ في خلقه، فهناك أممٌ كثيرة أرسل الله ﷻ لهم الأنبياء والمرسلين من أجل أن يقدّموا لهم النّصح والرّشاد.

فهذه الرّسالة الّتي أرسلها الله ﷻ هي القرآن الكريم والنّبيّ ﷺ؛ لأنّ القرآن الكريم أُنزل على النّبيّ ﷺ، فلا فصل على الإطلاق ما بين القرآن الكريم وبين هداية النّبيّ العدنان ﷺ، وهناك مَن يحاول إلغاء حديث رسول الله ﷺ، والله ﷻ بيّن في مُحكم التّنزيل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: من الآية ٧]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ ﴾ [الأنفال]، فالإعراض عن رسول الله ﷺ هو إعراضٌ عن القرآن الكريم، والقرآن الكريم نزل على النّبيّ ﷺ، وبيان القرآن من خلال الأسوة السّلوكيّة برسول الله ﷺ، قال ﷻ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ [الأحزاب].

﴿لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾: تتلو؛ أي شيءٌ يتلو شيئاً؛ أي تتابع، فنحن مأمورون بتلاوة القرآن الكريم امتثالاً لأمر ربّنا ﷻ ولهدي نبيّنا ﷺ.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾: لم يقل: بالقادر، بالمنتقم، بالجبّار، بل قال: بالرّحمن، جاء بهذا الاسم من أسمائه الحُسنى، فهم يجحدون بالعطاء والرّحمة، قال بعضهم في سبب نزول هذه الآية: إنّ النّبيّ ﷺ عندما قال لكفّار قريش: «اسجدوا للرّحمن»، قالوا: وما الرّحمن؟ فنزلت هذه الآية.

﴿قُلْ﴾: من أمانة التّبليغ عند الرّسول ﷺ عندما يقول له المولى ﷻ: ﴿قُلْ﴾ تأتي بالقرآن الكريم كما هي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، ﴿* قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزّمر: من الآية ٥٣].

﴿هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: الدّخول بالإسلام هو أن تشهد أنّه لا إله إلّا هو.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: التّوكّل على الله ﷻ جزءٌ لا يتجزّأ من الإيمان به ﷻ؛ لأنّه هو المتصرّف بشؤونك، مثلاً -ولله المثل الأعلى- أنت وكّلت محامياً بقضيّةٍ فهو سيتولّى الدّفاع عنك، ويتولّى كلّ شؤون هذه القضيّة بعد أن تقوم بإجراءات، كأن توكّله عند كاتب العدل ليصبح وكيلك، وأنت تتوكّل على الله ﷻ في هذه الحياة، والتّوكّل عليه ﷻ يعني أن تأخذ بأسبابه، فلا يعتقدنّ أحدٌ بأنّه يتوكّل على الله ﷻ من دون الأخذ بأسبابه ﷻ، وهذا ما فعله نبيّنا ﷺ في كلّ شؤون حياته، ففي الهجرة كان النّبيّ ﷺ يستطيع وبكلّ سهولة أن يهاجر من مكّة إلى المدينة المنوّرة علناً وأمام النّاس جميعاً، وقد تكفّل الله ﷻ بحمايته، فقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: من الآية ٦٧]، وقال ﷻ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطّور: من الآية ٤٨]، فكان يستطيع أن يقف وسط مكّة ويقول: توكّلت على الله وسأهاجر، وما تستطيعون فعله فافعلوه، لكنّه لم يفعل ذلك؛ لأنّه يريد أن يعلّمنا معنى كلمة: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ بأنّه لا يمكن أن نتوكّل عليه ﷻ إلّا بعد أن نأخذ بأسباب الله ﷻ في كونه، فإن لم نفعل فإنّنا نسيء الأدب مع الله ﷻ،

فنجد أنّ النّبيّ ﷺ أخذ بكلّ الأسباب فوضع مخطّطاً مع أبي بكرٍ رضي الله عنه، واستعمل عامر بن فهيرة للطّريق ومن أجل التّعمية على المشركين، وتمّ الاتّفاق مع السّيّدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها من أجل تأمين الطّعام، وتمّ الاتّفاق مع سيّدنا الإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ليبيت في فِراش النّبيّ ﷺ حتّى يوهِم المشركين بوجوده، وبعد أخذه بالأسباب اختبأ ﷺ بالغار مع أبي بكر، فالتّوكّل هو عمل القلب وليس عمل الجوارح، تقوم الجوارح بالعمل والقلب مطمئنّ، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرّعد]، أوّل تفسير لها هو التّوكّل على الله عزّ وجلّ، والتّوكّل يكون بعد أخذ الأسباب، فعندما أخذ النّبيّ ﷺ بالأسباب كلّها، وحاصره المشركون في الغار، عندها قال الصّدّيق: يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا، فقال ﷺ: «**ما ظنّك باثنين الله ثالثهما**»(١).

﴿وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾: متاب: مصدر تبتُ إليه، فهو الّذي نرجع إليه بالتّوبة.

**(الآية ٣١)** - ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٣١﴾:

﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ﴾: هذا ما قاله المشركون عندما طلبوا من النّبيّ ﷺ معجزةً حسّيّةً والقرآن الكريم يتنزّل،

(١) صحيح البخاريّ: كتاب التّفسير، سورة (براءة)، الحديث رقم (٤٣٨٦).

وهو أكبر معجزةٍ خالدةٍ إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

فهم أرادوا تعجيز النّبيّ ﷺ، والله ﷻ قادرٌ على أن يبعث أيّ معجزةٍ، وهناك معجزاتٌ كثيرةٌ لنبيّنا ﷺ، والقرآن الكريم هو معجزةٌ بالكلمة، ولن يكون معجزةً حسّيّةً؛ أي أنّك تريد القرآن الكريم لتدكّ به الجبال، أو لتقطّع به الأرض، أو لتكلّم به الموتى.. وهذا ما طلبوه، أرادوا مَلَكاً من السّماء، وأن يُفجِّر لهم من الأرض ينبوعاً، قال ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ۝٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ۝٩٣﴾ [الإسراء]، فإذاً هذا ما طلبوه، أرادوا معجزةً حسّيّةً، والمعجزة الحسّيّة تنقضي بانقضاء وقتها، أمّا المعجزة الخالدة فهي الّتي تبقى مدى الزّمان وهي القرآن الكريم.

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًا﴾: كلّ شيءٍ بيد الله ﷻ، ولستم أنتم من يقترح على الله ﷻ ما هي المعجزة، فالقرآن الكريم خالدٌ بخلود الزّمان، وهو بالكلمة، والمولى ﷻ يستطيع أن يجعل الجبال تندكّ بيد النّبيّ ﷺ كما فرق البحر بعصا موسى عليه السلام، ويستطيع ﷺ أن يكلّم الموتى كسيّدنا عيسى عليه السلام، ولكنّها معجزاتٌ حسّيّةٌ تنقضي.

﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ﴾: الّذين آمنوا يجب أن يعلموا بأنّ الله ﷻ لو أراد لهدى النّاس جميعاً، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٩٩﴾

[يونس]، فلا تتأمّلوا أن يهتدي هؤلاء؛ لأنّ الله ﷻ قد بيّن لهم طريق الهداية، وهم اختاروا طريق الضّلال، لكنّ الله ﷻ بعلمه الكاشف يعلم بأنّهم لن يهتدوا.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ﴾: قارعة: نازلة شديدة أو أمرٍ عظيم.

﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ﴾: فإذاً لكلّ أجلٍ كتابٌ، وليس من صفات الله ﷻ العجلة، فالعجلة من طبع الإنسان، والله ﷻ كلّ شيءٍ عنده بمقدار، وعندما يأتي الموعد فلا يُخلف الله ﷻ الميعاد، ووعد الله ﷻ في الكتاب وفي الأجل، انظر إلى دقّة هذه الآية: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩﴾ [الكهف]؛ أي أنّه صدر الأمر وانتهى، لكن هناك موعدٌ يخرج فيه ويحدث؛ لأنّ الله ﷻ لا يخلف الميعاد، ولكلّ أجلٍ كتابٌ.

**(الآية ٣٢) - ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢﴾:**

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾: فلست بِدعاً من الرّسل يا محمّد، فالرّسل من قبلك استُهزئ بهم، وهذا الاستهزاء من شيم أعداء الحقّ، فهم عندما يفشلون في الحجّة والبرهان يستخدمون أساليب الاستهزاء، وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥﴾ [الحجر]، فالمولى ﷻ تكفّل بهذا الأمر.

﴿فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: الإملاء: الإمهال؛ أي أمهلتهم مدّة حتّى ظنّوا أنّهم غير معذّبين، والمولى ﷻ يمهل ولا يهمل، قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ [الفجر].

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: ثمّ: حرف عطفٍ على التّراخي، لم يقل تبارك وتعالى: (وأخذتهم)، أو (فأخذتهم)، بل على التّراخي؛ أي أنّ هناك إمهالٌ، وبعد الإمهال يأتي الإهلاك من الله ﷻ، ويأخذ الّذين ظلموا والّذين كفروا بأنواع العذاب.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾: ترك للمستمع أن يتخيّل كيف كان هذا العقاب، وقد قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود].

**(الآية ٣٣)** - ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾:

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾: القائم على كلّ نفس؛ أي يدير ويدبّر كلّ نفسٍ بشريّة، والمولى ﷻ يترك الجواب ليُعمِل الإنسان فكره، فالقرآن الكريم ليس كتاباً وِفق الصّيغ البشريّة، فمن هو قائمٌ على كلّ نفسٍ يدبّر الأمر، من الطّبيعيّ أنّه ليس كغير القائم.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾: هؤلاء الشّركاء لله ﷻ لا يملكون أن يكونوا قائمين على كلّ نفس.

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: قل يا محمّد: سمّوهم، والإله لا يُسمّى، هو يسمّي نفسه، وهم سمّوهم باللّات والعُزّى وهُبَل ومناة الثّالثة.. إلخ.

﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: علم الله ﷻ كاشفٌ، وعلمه لا يُقارن بعلم البشر، فعلمه أزليّ أبديٌّ؛ أي يعلم الماضي والحاضر والمستقبل بالوقت ذاته، لذلك يتحدّاهم المولى ﷻ فهو يعلم كلّ نفسٍ ما كسبت، ويعلم ظاهر القول وباطن القول، ويعلم ما في الأرض وكلّ ما يجري على سطح الأرض وفي الأكوان جميعاً.

﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: بل: للإضراب.

﴿زُيِّنَ﴾: مبنيٌّ للمجهول، فتحتمل أنّ الشّيطان زيّن لهم هذه الأعمال المنكرة، وتحتمل أنّ أهواء النّفس هي من زيّنت: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: من الآية ٥٣].

﴿مَكْرُهُمْ﴾: المكر: هو التّبييت بخفاء، فهم يبيّتون لك يا محمّد بالخفاء.

﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي عن الطّريق المستقيمة الموصلة إلى الله تبارك وتعالى.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: علم الله ﷻ كاشفٌ، وهو لا يضلّ إلّا من اتّبع طرق الضّلالة، قال ﷻ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: من الآية ١٢٣]، وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه]، فالهداية والضّلال بعمل الإنسان واختياره، والله ﷻ لا يُضلّ من أراد الهداية، فقد جعل للإنسان خياراً، وهو يُحاسبه على اختياره، وعندما يقول ﷻ: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ ليس معنى هذا بأنّ الله ﷻ أراد أن يُضلّه، ولكنّ الله ﷻ كتب بأنّ هذا طريق الهداية وهذا طريق الضّلال، وبما أنّه ﷻ بإرادته وبقَدَره وبمشيئته جعل الإنسان مختاراً ولم يجعله مُجبراً، كما

قال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس]، فالإنسان إذاً هو الّذي يختار الهدى أو الضّلال، وعندما اختار هذا الخيار فهو لم يخرج عن مشيئة الله ﷻ الّذي جعل له القدرة على الاختيار، فالّذين اختاروا الهداية يزيدهم هداية، قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمّد]، والّذين اختاروا طريق الكفر والضّلال فإنّهم يزدادون فيه ويُزيّن لهم الشّيطان العمل، كما قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصّف]، وهنا يزداد ضلال الإنسان، وهنا تنطبق الآية الكريمة: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

**(الآية ٣٤) - ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾:**

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾: لهم عذاب في الدّنيا قد لا ترونه، وقد لا تعتقدون به، فلا تنظر إلى ظاهر الأمور، وإنّما هذا الإنسان المشرك بالله ﷻ أو الّذي كفر بالله ﷻ، هو مُعذَّب دائماً، ونحن لا نرى هذا العذاب، فهو مُعذَّب؛ لأنّه مُبتلىً والإنسان لا يستطيع أن يردّ المرض والموت والفقر والآفة والابتلاء عن نفسه، أمّا الإنسان المؤمن فليس مُعذَّباً في الدّنيا؛ لأنّه يرضى بقضاء الله ﷻ، قال ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه خير، وليس ذاك لأحدٍ إلّا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له**»(١).

(١) صحيح مسلم: كتاب الزّهد والرّقائق، باب المؤمن أمره كلّه خير، الحديث رقم (٢٩٩٩).

(الآية ٣٥) - ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾:

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾: عندما يريد المولى سبحانه وتعالى أن يتحدّث عن الجنّة فإنّه لا يصف الجنّة وإنّما مَثَل الجنّة، فالألفاظ توضع لمعانٍ نعرفها، فكيف إذا كانت المعاني لا نعرفها؟! كيف سيكون لها ألفاظٌ؟ أنت لا تعرف شيئاً عن الجنّة، ولا تتوقّعه، بدليل أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «**فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ**»(١)، فلا يوجد لغة يمكن أن تصف ما لا يخطر على البال، لذلك قرّبها المولى سبحانه وتعالى إلى الأذهان فقال: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾، ونلاحظ التّرقّي في حديث النّبيّ صلى الله عليه وسلم في الكلمات: «**فيها ما لا عينٌ رأت**»، فالعين لها مدى في الرّؤية، «**ولا أذنٌ سمعت**»، السّمع هو ما تسمعه من غيرك، فلا سمع ولا بصر ولا حتّى بالخاطر، لذلك نأخذ الكلام عن الجنّة كمثال وليس كحقيقة.

﴿ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: وُعِد مبنيٌّ للمجهول، من الّذي وعد؟ والجواب يحتمل أن يكون: الله جل جلاله، أو الرّسل عليهم السلام أو الكتب السّماويّة، لذلك جاءت مبنيّة للمجهول.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أحياناً يقول سبحانه وتعالى: ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: من الآية ١٠٠]؛ أي تنبع الأنهار من تحت هذه الجنّة، وتأتي أحياناً كهذه الآية:

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، الحديث رقم (٢٨٢٥).

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ أي تمرّ بها.

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ﴾: أي الأكل فيها دائمٌ مستمرٌّ لا ينقص، لذلك بإمبراطوريّة الرّوم طلب الرّومان من أحد المسلمين أن يُفسّر لهم هذه الآية، واعتقدوا أنّ لديهم حُجّة على القرآن الكريم، فقالوا: الشّيء عندما تأخذ منه فإنّه ينقص، فكيف يكون أُكُلها دائمٌ لا ينقص؟ فأتى لهم بمصباح مُضيء، ثمّ قال لهم: أحضروا مصابيح مطفأة، فأوقد مصابيحهم كلّها من هذا المصباح، ثمّ سألهم: هل نَقُص هذا المصباح عندما أوقد المصابيح؟ قالوا: لا، قال: وذلك مَثَل الجنّة.

﴿وَظِلُّهَاۚ﴾: الظّلّ ولا نعرف هل يوجد فيها شمس، لكن يوجد فيها ظلٌّ، وهذا الظّلّ دائمٌ؛ أي أُكُلها دائمٌ وظلّها دائمٌ، فهي تُريح البشر.

﴿تِلۡكَ عُقۡبَى﴾: عاقبة.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ﴾: المتّقي هو الّذي يجعل بينه وبين النّار وِقايةً، والوقاية تكون بالإيمان بالله ﷻ والعمل الصّالح، والعاقبة هي الجنّة.

﴿وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾: عاقبة الكافرين النّار، كلمةٌ واحدةٌ هنا من غير وصفٍ زائدٍ عليها، وكفى بهذه الكلمة رُعباً بالنّسبة إلى الكافرين.

**(الآية ٣٦)** - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾: عندما نزل القرآن الكريم

كان هناك أهل كتابٍ من النّصارى وأهل كتابٍ من اليهود، فمنهم مَن فرح بنزوله؛ لأنّه يؤيّد الكتب الّتي معهم، كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وسلمان الفارسيّ وكثيرٌ من الّذين فرحوا بهذا القرآن، على عكس المشركين.

﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: من أحزاب المشركين؛ أي من أقسامهم.

﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾: مِن المشركين مَن قال: نؤمن ببعض ونكفر ببعض، حتّى من أهل الكتاب منهم من آمن ببعض وكفر ببعض.

﴿قُلْ﴾: قل يا محمّد، وهذه من صدق الأمانة في البلاغ عن الله ﷻ.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾: الأمر الّذي جاءني هو أن أعبد الله تعالى من غير أيّ شريك، لا من أوثانٍ ولا من إنسانٍ ولا من قِوىً ولا من أيّ شيءٍ، والعبادة تكون خالصةً لوجهه ﷻ، وهذا هو أساس الدّين، وأساس كلّ ما جاء من رسالاتٍ سماويّة.

﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟﴾: أدعو إلى الله ﷻ، ولستُ داعياً لنفسي.

﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾: سيكون المآب والرّجعة إليه ﷻ.

**(الآية ٣٧) - ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾:**

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾: كما أرسلنا الرّسل بالرّسالات، أنزلنا القرآن الكريم، واستخدام لفظة: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ أي نزل من علوٍ، من اللّوح المحفوظ.

﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: كلام الله ﷻ الخاتم الّذي خُتمت به رسالات السّماء كان حُكماً عربيّاً، وقد وصف الله ﷻ القرآن الكريم بأنّه حكمٌ عربيٌّ، كما

نقول ولله ﷻ المثل الأعلى: هذا قاضٍ عادل، ومن كثرة عدله نقول: هذا القاضي عدلٌ، فهذا القرآن هو فيصلٌ وحكمٌ لبيان الحقّ والباطل وكلّ ما يتعلّق بأمور النّاس، ونجد اللّغات على وجه الأرض قد تشتّتت وتوزّعت، فاللّغة اللّاتينيّة توزّعت إلى فرنسيّة وإنجليزيّة وإيطاليّة و... إلخ، وغيرها من اللّغات إلّا اللّغة العربيّة، فالقرآن الكريم حفظها، قال ﷻ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف]، والنّبيّ ﷺ يقول: «**أحبّوا العرب؛ لأنّي عربيٌّ، والقرآن عربيٌّ، وكلام أهل الجنّة عربيٌّ**»(١)، فتمكين اللّغة العربيّة بالنّسبة إلى لساننا أمرٌ حاسمٌ، وعندما نتحدّث عن العروبة أو عن العربيّة فنحن لا نتحدّث عن عنصريّة، وإنّما عن لسانٍ عظيمٍ ولغةٍ عظيمةٍ تجمع هذه الثّقافة وتجمع أحوال النّاس، هذه اللّغة الّتي فيها من الميّزات والخصائص ما جعلها الله ﷻ وعاءً لكلماته العظيمة، وقد قلنا سابقاً: بأنّه في هذه اللّغة الكلمة الواحدة تُعطي مجموعةً من المعاني، نحو كلمة (العين)، فتعني العين الّتي نرى بها، وتعني الجاسوس، وتعني عين الماء، ونحن نعتزّ بعروبتنا وباللّغة العربيّة ونفخر بها ونحافظ عليها؛ لأنّها جزءٌ لا يتجزّأ من أوامر الله ﷻ، ولولا القرآن الكريم لاندثرت اللّغة العربيّة، أو لأصبحت اللّهجات العامّيّة في الدّول العربيّة لغات منفصلة بدلاً من اللّغة العربيّة، ولكن الّذي منع العامّية من التّغلّب على اللّغة الفُصحى هو القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، فاللّغة العربيّة محفوظةٌ بحفظ كتاب الله ﷻ.

---

(١) شعب الإيمان: باب في حبّ النّبيّ ﷺ، الحديث رقم (١٤٣٣).

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾: بعض المفسّرين يرى أنّ هذه الآية خطابٌ لأمّة النّبيّ ﷺ، وهي ليست إنقاصاً من قَدر رسول الله ﷺ، إنّما هي منعٌ لكلّ متّبعٍ للنّبيّ ﷺ من أن يتّبع أهواء الّذين كفروا والّذين حاربوا وواجهوا الإسلام منذ اللّحظات الأولى.

﴿بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ﴾: لأنّ ما جاء في القرآن الكريم هو العلم، العلم بحقيقة وجود الإنسان، وحقيقة ما يجب أن يعبد الإنسان، وما تكون فيه حياته خالصة وصادقة وأمينة ومستقيمة من خلال أحكام القرآن الكريم، فالّذي يتّبع الهوى بعد ما جاء القرآن الكريم فليس له من الله ﷻ واقٍ؛ أي وِقاية من العذاب، وليس له إلّا الحساب والعقاب.

**(الآية ٣٨) - ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ٣٨﴾:**

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ﴾: الأُسوة تأتي بالجنس القابل للمقارنة، والرّسل الّذين أرسلهم الله ﷻ جاؤوا ليكونوا أسوةً للبشريّة، فأمرٌ طبيعيٌّ أن يكون لهم ذريّةٌ وأزواجٌ، وقد أنكر المشركون ذلك بقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان: من الآية ٧]، فهم يريدون رسولاً مَلكاً، ولكنّ الأسوة السّلوكيّة لا تكون إلّا برسولٍ بشريّ، قال ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: من الآية ١١٠].

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾: لا يستطيع أيّ رسولٍ أن يأتي بآيةٍ أو بمعجزةٍ إلّا بأمر الله ﷻ.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾: كلّ شيءٍ عنده بمقدار، وكلّ شيءٍ عند الله ﷻ مكتوب ومؤجّل بهذا الأجل الموقوت عند الله ﷻ.

**(الآية ٣٩) - ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾:**

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ﴾: هناك أحكام تنزل يكتب الله ﷻ في أمّ الكتاب؛ أي اللّوح المحفوظ، بأنّها مؤقّتة، مثال: تدرّج تحريم الخمر، وكذلك التّوجّه إلى المسجد الأقصى بالنّسبة إلى القبلة، فمحا الله ﷻ هذه وأثبت ما في أمّ الكتاب بأن نتوجّه إلى الكعبة المشرّفة، فالأمر موقوتٌ، إذاً عندما نقول: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ هي أحكامٌ مرحليّة لمدّةٍ محدّدةٍ فقط، هذه المدّة تنتهي وينتهي زمن الحكم السّابق، ويأتي حكمٌ لاحق موجود في أمّ الكتاب، فهذه الأحكام المرحليّة لا يمكن أن تأتي دفعةً واحدةً حتّى يعتاد النّاس عليها.

**(الآية ٤٠) - ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾:**

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: وإمّا نرينّك يا محمّد في حياتك بعض الّذي نَعِد هؤلاء المشركين بالله من العقاب والخزي والنّكال في الدّنيا.

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: أي قبل أن نُريك ذلك.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾: أي إنّما أرسلناك لتبلّغهم رسالة الله ﷻ.

﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾: أي حسابهم وجزاؤهم على الله ﷻ، كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية].

**(الآية ٤١) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾:**

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: أي أولم يعلموا.

﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾: عندما تأتي كلمة الأرض في القرآن الكريم قد تأتي كنايةً عن بقعة أرض، كقوله ﷻ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: من الآية ٨١]، وقوله ﷻ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: من الآية ٢١]؛ أي بقعة من الأرض معيّنة.

﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: أي سينقص عدد المُلحدين والمشركين من الأرض، وبعض المفسّرين قال: الأمر هنا علميٌّ، فالأرض كرويّةٌ، لكن إذا أتيت إلى أطرافها من القطبين ومن خطّ الاستواء فلا تكون مستديرة بشكلٍ كاملٍ، وإنّما غير كاملة الاستدارة هذا معنى: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، والله أعلم، قد يكون هذا وقد يكون ذاك، وقد يأتي زمنٌ يكتشف العلم أكثر حول هذه الآية العظيمة.

﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾: الله ﷻ يحكم ويفصل، وهو ﷻ عندما يقضي أو يحكم بأمرٍ لا يأتي استئنافٌ على حكمه، وليس من ورائه أحدٌ يُسدّد الحكم أو يقول: هذا الحكم ناقص.

﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: النّتيجة بأنّ الحساب سريعٌ، أنت تعتقد أنّ الوقت طويلٌ، وعندما تأتي السّاعة كما قال ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النّازعات].

**(الآية ٤٢) -** ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾:

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي بيّتوا بِخفاء لرسلهم.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ﴾: الله ﷻ يمكر بهم، ولا نقول عن الله ﷻ بأنّه ماكرٌ، ولكنّه ﷻ يُبطل مكر هؤلاء، فهم يبيّتون بخفاءٍ، وهو ليس عنده خفاءٌ.

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ﴾: يعلم ما تكسب كلّ نفسٍ في كلّ دقيقةٍ وفي كلّ سكَنةٍ وفي كلّ ثانية، فعلمه كاشفٌ لأحوال البشر كلّها.

**(الآية ٤٣) -** ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ﴾: القضيّة كلّها أنّهم يحاولون إنكار أنّ النّبيّ ﷺ مرسلٌ من عند الله ﷻ.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: أجبهم يا محمّد أنّه يكفي بأنّ الله تعالى على كلّ شيءٍ شهيد.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: ويكفي بأنّ الله ﷻ يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصّدور، وعنده علم العلوم السّابقة في الكتاب، وكلّ ما يتعلّق بالإنسان من حياةٍ أو موتٍ... إلخ.

# تفسير سورة

# (إبراهيم)

# سورة (إبراهيم)

وردت في كتاب الله ﷻ سورٌ بأسماء الأنبياء عليهم السلام لكن ليس فيها قصص الأنبياء كاملةً، وإنّما مقطعاً واحداً، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، قد يعتقد الإنسان أنّ القرآن الكريم كتابٌ كأيّ كتابٍ مكتوبٍ من قِبَل البشر -وحاشا لله ﷻ- بل هو كلام الله ﷻ المتميّز في مضمونه وعطائه ونوره ولفظه وجمله ومقاطعه وفي تسمية سوره، فبالنّسبة إلى تسمية السّور هناك سورةٌ باسم يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، ومحمّد، ونوح.. فهي سورٌ بأسماء الأنبياء عليهم السلام لكن لا تحوي قصّة كاملة، ولا توجد إلّا سورةٌ واحدةٌ فيها قصّة نبيٍّ كاملةً وهي سورة يوسف، بينما وزّع قصص الأنبياء عليهم السلام بين ثنايا القرآن الكريم، وقد سُمّيت هذه السّورة باسم سيّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام جدّ النّبيّ ﷺ، وهو أبو الأنبياء عليهم السلام وقصّة إبراهيم عليه السلام موزّعة في كثيرٍ من السّور كسورة البقرة وسورة الأنعام وسورة هود وسورة الحجر وسورة مريم وسورة الأنبياء وسورة الشّعراء.. وغيرها من السّور، وهذه السّورة فيها مقطع يتحدّث عن سيّدنا إبراهيم عليه السلام، ويتعلّق هذا المقطع بوجوده عليه السلام في مكّة وعلاقته بذريّته من السّيّدة هاجر، وهو سيّدنا إسماعيل عليه السلام جدّ العرب، الّذي جاء من نسله النّبيّ محمّد ﷺ.

عدد آيات السّورة اثنان وخمسون آيةً، وهي سورةٌ مكيّةٌ على أغلب الأقوال، وقال بعض العلماء: يوجد فيها آيتان فقط مدنيّتان.

**(الآية ١) -** ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾:

﴿الٓرۚ﴾: الأحرف المقطّعة هي من الآيات المتشابهات؛ أي فيها تأويلٌ، ولا يعلم تأويلها إلّا الله ﷻ، وقد يتبيّن لنا جزءٌ من هذا التّأويل، وهي أسرار روحيّة تتعلّق بافتتاح أو بمفتاح هذه السّورة.

وقد قال العلماء في الأحرف المقطّعة أقوالاً كثيرةً فسّرناها سابقاً.

﴿كِتَٰبٌ﴾: إذا أُطلقت كلمة (كتاب) انصرف معناها إلى القرآن الكريم، فهو يسمّى كتاباً وقرآناً وتنزيلاً، وله أسماءٌ كثيرةٌ، وكلمة (كتاب) تدلّ على أنّه مكتوبٌ، وكلمة (قرآن) تدلّ على أنّه مقروءٌ، وهذان الاسمان هما العُمدة في أسماء القرآن الكريم؛ لأنّه كتاب مقروءٌ ومكتوبٌ.

﴿أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾: كلمة ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ تدلّ على أنّه جاء من علوٍّ، وقول الحق: ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ للتّعدّي؛ أي من منطقة اللّوح المحفوظ ليُباشر مهمّته في الوجود.

﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: إنزال القرآن الكريم إليك يا محمّد لتُخرج النّاس من الظّلمات إلى النّور، ولم يقل الحقّ ﷻ لرسول الله ﷺ ما قاله للرّسل السّابقين الّذين كانت رسالة كلٍّ منهم محدّدة بقومٍ معيّن، كقوله ﷻ: ﴿* وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾ [الأعراف]، ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وعن سيّدنا عيسى عليه السلام قال: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: من الآية ٤٩]، أمّا سيّدنا رسول الله ﷺ فقد بعثه الله ﷻ إلى النّاس كافّة، فقال: ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ﴾، ولم يقل: (لتخرج

قومك)، وهذا دليلٌ على عموميّة الإسلام وعموميّة الرّسالة، ويعزّزها قول الحقّ تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: من الآية ١٥٨]، وبذلك تبطل حُجّة من قالوا: بأنّه مرسلٌ للعرب فقط، فهنا لدينا اصطفاءين لسيّدنا رسول الله ﷺ، الاصطفاء الأوّل أنّ الحقّ ﷻ اختاره رسولاً، ومجرّد اختياره رسولاً فهذه منزلةٌ عاليةٌ عظيمةٌ، أمّا الاصطفاء الثّاني والعظيم بأنّه رسولٌ للنّاس كافّةً لكلّ الأزمان والأماكن، ولكلّ النّاس واللّغات والقوميّات، وهذه منزلةٌ عاليةٌ أخرى؛ لأنّها تستوعب المكان والزّمان والألسنة والأقوام.

ثمّ يأتي الإعجاز في قوله ﷻ: ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، ولم يقل: (من الظّلمات إلى الأنوار)، هذا كلام الله ﷻ، والفارق بين كلام الله ﷻ وكلام البشر كالفارق بين الله ﷻ وبين البشر، فقد شاء ﷻ أن يأتي بالظّلمات كجمعٍ ويأتي بالنّور كمفردٍ؛ لأنّ النّور واحدٌ لا يتعدّد، أمّا الظّلمات فمتعدّدة بتعدّد الأهواء، ظلمةٌ هنا وظلمةٌ هناك، وهكذا يشاء الله ﷻ أن يجلّي المعاني بالمُحسّات الّتي يُدركها الجميع، فلا شكّ أنّ الظّلمة تستر الأشياء الّتي قد يصطدم بها الإنسان، أمّا النّور فهو يوضّح الأشياء، بل ونحتاج أيضاً إلى نورٍ يجلّي المظاهر المعنويّة من حقدٍ وحسدٍ وخوفٍ وأمنٍ واطمئنانٍ وأمانةٍ ووفاءٍ وغير ذلك، هذا هو النّور الّذي جاء به سيّدنا رسول الله ﷺ يجلّي الحسّ والمعنى في آنٍ واحدٍ لنتجنّب الأشياء الّتي تطمسها الظّلمة، ولنسير على بيّنةٍ من المعاني، ولذلك يُفسّر لنا الحقّ ﷻ الأمر المعنويّ فيقول: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾، هذا هو الصّراط المستقيم الّذي بدأنا به: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ

﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة]، الّذي يُخرجنا إليه محمّد بن عبد الله ﷺ، ويريد الحقّ ﷻ أن يجلّي لنا الطّريق إلى هذا الصّراط، فجاء بالظّلمات والنّور ليوضّح هذا المعنى، حيث يكون الطّريق المستقيم هو أقصر وسيلةٍ للغاية المرجوّة من الحياة الدّنيا والآخرة، ويكون طريق الظّلمات هو الطّريق غير الآمن.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾: العزيز: هو الّذي يَغلب ولا يُغلب، والحميد: هو من ثبتت له صفة الحمد من غيره، وإن لم يصدر حمد من غيره فهو حميدٌ في ذاته، ويجب أن يُحمد مع أنّك إن حمدته أو لم تحمده فهو حميدٌ، مثلاً، ولله المثل الأعلى، يُقال: بأنّ فلاناً حميد الخصال، فإذا مدحته أم لم تمدحه فهو حميد الخصال، فالله ﷻ خالق قبل أن يخلق الخلق، وهو الرّازق قبل أن يخلق المرزوق، وهو مُعزٌّ قبل أن يوجد من يُعزّه، محمودٌ قبل أن يوجد من يحمده، توّابٌ قبل أن يوجد من يتوب عليه، هذا هو معنى الحميد.

**(الآية ٢) –** ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢﴾:

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾: مُلكيّة ما في السّموات وما في الأرض لله ﷻ، وبما أنّه ﷻ يملك كلّ شيءٍ فلا يجري شيءٌ في هذه الدّنيا أو في الآخرة أو في السّموات أو في الأرض إلّا بأمره وإرادته، فاطمئنّ أيّها الإنسان.

﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: هذا الويل ليس في الآخرة فقط وإنّما في الدّنيا أيضاً.

**(الآية ٣)** - ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ٣﴾:

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ﴾: من عجائب كلمة (حبّ) أنّ الفعل يكون رباعيّاً فيُقال: أحبّ فلان، ويُقال لمن يُحبّه: محبوبٌ، وهذا يعني أنّ هناك تلاقياً بين الاثنين، أمّا في حالة عدم التّلاقي فيُقال: يحبّ فهو حابّ محبّ، والفرق بين أحبّ واستحبّ ملحوظٌ في مجيء السّين والتّاء، وهما علامة على الطّلب، فاستحبّ يعني أنّ من يحبّ لم يكتف بالأمر الطّبيعيّ، بل تكلّف الحبّ وأوغل فيه، وحين ندقّق في الآية الكريمة نجد أنّها لا تمنعك من حبّ الدّنيا، ولكن أن تستحبّها على الآخرة فهذا هو الأمر المذموم، أمّا إذا أحببتها؛ لأنّها تُعينك على حياتك وعلى تكاليف دينك وجعلتها مزرعةً للآخرة، فهذا أمرٌ مطلوبٌ؛ لأنّك تفعل فيها ما يجعلك تسعد في دنياك وآخرتك، ونجد قول الحقّ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤﴾ [المؤمنون]، فهو لا يؤدّي الزّكاة فقط بل يعمل ليأتي لنفسه ولعياله بالقوت ويبذل الجهد ليكون لديه فائضٌ يؤدّي منه الزّكاة للنّاس، ولذلك فهو لا يعمل قدر حاجته بل على قدر طاقته ليحقّق الخير لغيره، وهنا في هذه الآية لا نجد هؤلاء الّذين يستحبّون الحياة من أجل أن يجعلوها مزرعةً للآخرة، بل هم يستحبّونها ويصدّون عن سبيل الله ﷻ؛ أي أنّهم لم يكتفوا بحبّ الدّنيا والشّهوات على الآخرة، ولم يكتفوا بالسّير في طريق الشّهوات والملذّات وتخريب ذواتهم، بل تمادوا في الغيّ وصدّوا غيرهم عن سبيل الله ﷻ، ويقول ﷻ

في موضعٍ آخر: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: من الآية ٩٩].

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: أي يبغون أن تكون شريعة الله ﷻ معوّجة؛ لتحقّق لهم مصالحهم ونزواتهم وشهواتهم، إذاً هنا نجد ثلاث مراتب للضّلال، الأولى استحباب الحياة الدّنيا على الآخرة، الثّانية صدٌّ عن سبيل الله ﷻ، الثّالثة تشويه منهج الله ﷻ كي يكرّهوا النّاس فيه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدِۭ﴾: وهكذا يكونون قد ساروا إلى أبعد منطقة في الضّلال.

**(الآية ٤) –** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾: يخبر الحقّ ﷻ عمّا حدث للأمم السّابقة، فقد كان كلّ رسولٍ يتكلّم بلغة قومه، وهناك فرقٌ بين قوم الدّعوة، وهم أمّة رسول الله ﷺ، وقوم الاستقبال، وهم الأمم السّابقة لأمّة رسول الله ﷺ، فالأمم السّابقة لم تكن مطالبة بأن تبلّغ دعوة الرّسل الّذين بُعثوا فيهم ومَن قبلهم، أمّا أمّة النّبيّ محمّد ﷺ فمطالبة بذلك، قال ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة]، فنحن من هذا المنطلق الأمّة الّتي نزلت عليها الرّسالة الخاتمة الّتي ختم الله تعالى فيها رسالات السّماء، لذلك حملت الرّسالات كلّها وطالبت النّاس بالإيمان بكلّ الأنبياء والختام بخاتم الأنبياء وسيّد المرسلين، فالحقّ ﷻ أرسل

رسوله ﷺ وأبلغنا في القرآن الكريم أنّ من آياته ﷻ أن جعل النّاس على ألسنة مختلفة، ولم يكن من المعقول أن يرسل رسولاً يتكلّم اللّغات كلّها، فبُعِث النّبيّ محمّد ﷺ في أمّة العرب، وحين استقبلوه وأُشرِبت قلوبهم حبّ الإيمان صار عليهم أن ينساحوا برسالة القرآن الكريم لينقلوا معناه حجّةً بعد أن استقبلوه معجزةً، والقرآن الكريم حُجّةٌ؛ لأنّه يسوس حركة الحياة، وحركات الحياة لا تختلف بين النّاس أجمعين، فكلّ حضارة تأخذ من الأخرى منجزاتها العلميّة وتترجمها إلى لسانها الّذي تنطق به، وترجمة المعاني من لسانٍ إلى آخر مسألةٌ معروفةٌ في حضارات العالم كلّها؛ لأنّ المسألة في جوهرها مسألة معانٍ، والمعاني لا تختلف من أمّةٍ إلى أخرى، والقرآن الكريم معانٍ ومنهج يصلح لكلّ البشر، نزل بالعربيّة؛ لأنّ ميّزات هذه اللّغة تستحقّ أن تكون مستوعبةً لكلّ زمانٍ ومكانٍ، وقد دلّلنا على ذلك عندما تحدّثنا عن العروبة وعن تفسير قول الحقّ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف]، وهكذا أصبح على تلك الأمّة مهمّة الاستقبال لمنهج الله ﷻ كمعجزةٍ بلاغيّةٍ وإرسال هذا المنهج إلى بقيّة المجتمعات، ونجد أنّ البلاد فُتحت عن طريق الإسلام فَتْحَ عقولٍ وقلوبٍ بالقدوة الصّالحة، وليس بالسّيف كما ادّعى بعضهم، والّذين نشروا الإسلام في كثيرٍ من أصقاع الأرض اعتمدوا على القدوة الصّالحة وليس على القوّة الباطشة، ونقلوا الدّين بالخصال الحميدة وبتطبيق الأخلاق في تعاملهم مع غيرهم، ولذلك أقبل النّاس على دين الله جلّ وعلا أفواجاً.

فمنهج الإسلام قد حمل معجزةً من المعاني بجانب كونه معجزةً في اللّغة الّتي نزل بها، وهي اللّغة العربيّة، ونجد أقواماً لا يستطيعون قراءة حرفٍ عربيٍّ إلّا

في المصحف، فيحفظون المصحف كاملاً ولا يعلمون شيئاً من العربيّة؛ لأنّهم تعلّموا القراءة من المصحف واعتمدوا على فهم المعاني الموجودة في آياته عبر التّرجمات الّتي قام بها مسلمون أحبّوا القرآن الكريم ونقلوه إلى اللّغات الأخرى، ومن هنا نجد أنّ الله ﷻ يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر]، فالحقّ ﷻ يسّر القرآن الكريم بلسان العرب أوّلاً، ثمّ يسّره بأن جعل من تلك الأمّة الّتي نزل عليها القرآن أمّة نشرٍ للبلاغ عن الله تعالى والتّبليغ بما جاء به رسول الله ﷺ، ووسيلته الكلام وليس السّيف والقتال، ووسيلته الاستقباليّة الثّانية هي الأذن، فلا بدّ من الكلام أوّلاً ثمّ لا بدّ من أُذنٍ تعرف مدلولات الألفاظ لتسمع هذا الكلام وتؤمن به، ومن ثمّ تطبّق سلوكاً، ومن يسمع المتكلّم لا بدّ أن يكون واعياً وعارفاً بمعاني الألفاظ، فما تسمعه الأذن يحكيه اللّسان، فاللّغة بنت السّمع، وكلّ فردٍ إنّما يتكلّم باللّغة الّتي سمعها في بيئته، فالطّفل يولد في بريطانية فيتكلّم الإنجليزيّة؛ لأنّ البيئة من حوله يتكلّمون الإنجليزيّة، وإن وُلد في الشّام يتكلّم العربيّة.. وإذا تتبّعنا سلسلة تعلّم الكلام سنجد أنفسنا جميعاً أمام الجذر الأصليّ الّذي تعلّم منه البشر الكلام وهو آدم عليه السلام، قال ﷻ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: من الآية ٣١]، فاللّغة بدأت توقيفيّة؛ أي أنّ الله ﷻ علّمها لآدم عليه السلام، ثمّ تكلّمها آدم عليه السلام فسمعتها بيئته، فأصبحت اللّغة وضعيّة، بعد ذلك اختلفت اللّغة من مجتمعٍ لآخر.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾: بذلك أوضح ﷻ السّبب في إرسال كلّ رسولٍ بلسان قومه، وقد قال ﷻ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الشّعراء]، وقال أيضاً: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ

ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾﴾ [فصّلت]، فهناك من يستقبل القرآن الكريم كدليل هدايةٍ وينفي عن نفسه الهموم، وينقّي نفسه من الكدر، وهناك من يستقبل القرآن الكريم فيكون عليه عمىً وعلى سمعه غِشاوةً؛ لأنّه ينكره ويكفر به، والسّبب كما نعلم أنّ حدوث الحادث من آمرٍ به يحتاج إلى فاعلٍ وقابلٍ للفعل، نضرب مثلاً للتّقريب: من يشرب الشّاي ينفخ فيه ليبرّده قليلاً، وهذا الإنسان ذاته حين يخرج في صباحٍ شتويٍّ فهو ينفخ في يديه ليدفئهما، وهكذا ينفخ مرّةً ليبرّد شيئاً وينفخ مرّةً مستدعياً الدّفء، والمسألة ليست في أمر النّفخ، ولكن في استقبال الشّاي للهواء الخارج من فمك، فالشّاي أكثر حرارةً من حرارة الجسم فيبرد بالنّفخ، بينما اليد في الشّتاء تكون أكثر برودةً من الجسم فتستقبل النّفخ لها برفع درجة الحرارة لتتساوى مع حرارة الجسم، فهكذا نجد أنّ القرآن الكريم واحدٌ لا يتغيّر، لكنّ المؤمن يسمعه فيفرح به ويؤمن، والكافر يسمعه فيتعب ويشقى منه.

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾: المشيئة لقابليّة الإيمان موجودةٌ والمشيئة لقابلية الضّلال موجودةٌ، وضعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان، فهو يستطيع أن يستدعي مشيئة الإيمان ويؤمن، ويستطيع أن ينكر، وهذا هو الخيار، لذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾﴾ [محمّد]، ويقول جلّ جلاله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: من الآية ٢٦]؛ أي أنّ الفسق قد صدر منهم؛ لأنّهم ملؤوا أفئدتهم بقضايا باطلة، فجاءت قضايا الحقّ فلم تجد مدخلاً، فهنا يتبيّن معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ فمن يُقبل

على الضّلال يزيده الله ﷻ ضلالاً، ومن يؤمن فإنّه يضمن لنفسه زيادة الهداية في الدّنيا، والنّعيم الدّائم في الآخرة.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: العزيز الّذي لا يُغلب، والحكيم الّذي قدّر لكلّ أمرٍ ما يشاء.

**(الآية ٥) -** ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥﴾:

قصّة سيّدنا موسى عليه السلام أكثر قصةٍ وردت في كتاب الله ﷻ موزّعةً في كثيرٍ من السّور، وليس هناك سورةٌ تحمل اسم النّبيّ موسى عليه السلام، فقد عانى سيّدنا موسى عليه السلام مع شعب بني إسرائيل الّذين نزلت عليهم المعجزات، فعذّبوا الأنبياء وقتلوهم ومكروا بهم وحملوا رسالة الحقد على الإسلام في ثنايا جيناتهم، وقد قال ﷻ عنهم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾[المائدة]، فهم الّذين كذّبوا وقتلوا وأجرموا بحقّ الأنبياء عليهم السلام.

وعندما يُخاطب المولى ﷻ هؤلاء يقول: (يا بني إسرائيل)؛ أي اذكروا يا من أنتم من نسل إسرائيل -وهو يعقوب عليه السلام- بأنّه كان مؤمناً وتقيّاً وصالحاً، وأنّه كان نبيّاً، وأنتم على عكسه، فهو تقريعٌ، مثال: عندما تريد أن تقرّع الابن تقول: يا ابن فلان، يكون أبوه معروفاً بالصّلاح، ولنفرض أنّ الأب اسمه محمود ومشهور بين النّاس، فتقول له: يا ابن محمود، هل يُعقل هذا الكلام؟ يا ابن

محمود، تعني أنّني أُقرّعك لا أمدحك، فعندما يقول الله ﷻ (يا بني إسرائيل)، من كثر ضلالاتهم وانحرافاتهم كما ذكر في القرآن الكريم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: أرسلنا موسى عليه السلام ومعه آياتٌ؛ أي معجزاتٌ كثيرةٌ، وكثرة المعجزات تبيّن أنّ القوم الّذين أُرسل لهم قوم لُجِجٍ وجدلٍ ومشكلات، وحين عدّد العلماء المعجزات الّتي جاءت مع موسى عليه السلام وجدها بعضهم تسع آيات، كما ورد في القرآن الكريم، ووجدها بعضهم الآخر ثلاث عشرة معجزة، وبعضهم أربع عشرة.. بالتّحقيق لمعرفة الأمر نجد أنّ القرآن الكريم ذكر تسع آيات، ونفرّق بين الآيات الّتي كانت مع سيّدنا موسى عليه السلام؛ أي المعجزات الّتي كانت لفرعون، والمعجزات الّتي جاءت لبني إسرائيل، فالعصا الّتي انقلبت حيّةً تسعى، واليد الّتي تضيء هي لفرعون، وعدّد القرآن الكريم الآيات الّتي جاءت مع موسى عليه السلام لفرعون بتسع آياتٍ، بقول الحقّ ﷻ: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ [النّمل: من الآية ١٢]، أمّا بقيّة الآيات الّتي جاء بها موسى عليه السّلام لبني إسرائيل فهي كثيرةٌ، مثل: ﴿* وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: من الآية ١٧١]، ومثل: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: من الآية ٥٧]، لذلك أجمَلَ الحقّ ﷻ الآيات الّتي جاءت مع موسى عليه السلام لقومه.

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾: أي أعِد إلى بؤرة شعورهم ما كان من الذّاكرة، أيّام الله: المراد ما حدث في تلك الأيّام، ومثل هذه الأيّام الّتي كان فيها انتصارٌ لسيّدنا رسول الله ﷺ، وانتصارٌ لسيّدنا موسى عليه السلام على فرعون، وهنا التّذكير بتلك الأيّام الخاصّة بالوقائع الّتي حدثت للأقوام السّابقين؛ أي يذكّرهم موسى

بقوم نوحٍ وعادٍ وثمود، فالحقّ ﷻ أعلمهم بقصص الأقوام السّابقة، وما حدث مع كلّ قومٍ تجاه الرّسول المُرسَل من الله ﷻ، أو أن يكون التّفكير في الأيّام الّتي أنعم الله ﷻ فيها على بني إسرائيل بنعمه، أو ابتلاهم فيها بما يؤلمهم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: الصّبّار: هو من يُكثر الصّبر على الأحداث، وهي كلمةٌ توحي بأنّ هناك أحداثاً مؤلمةً وقعت وتحتاج إلى الصّبر عليها، كما توحي كلمة شكور بحدوث نِعمٍ تستحقّ الشّكر، ونجد أنّ المؤمن يحتاج إلى أمرين: صبر على ما يؤلم، وشكر على ما يرضي، وحين تجتمع هاتان الصّفتان في مؤمنٍ يكون مكتمل الإيمان، وقد قال الحقّ ﷻ: أنّ تلك الآيات هي أدلّةٌ توضّح الطّريق أمام المؤمن، وتعطي له العبرة؛ لأنّه حين يعلم تاريخ الأقوام السّابقة ويجد أنّ من آمن منهم قد عانى من بعض الأحداث المؤلمة، لكنّه نال رضى الله ﷻ ونِعَمه، ومن كفر منهم قد تمتّع قليلاً ثمّ تلقّى نقماً وغضباً من الله ﷻ، فهكذا يُقبل المؤمن على تحمّل مشاقّ الإيمان؛ لأنّه يثق بأنّ الله ﷻ لا يُضيع أجر مؤمنٍ، ولا بدّ لموكب الإيمان أن ينتصر، ولذلك فالمؤمن يصبر على المِحن، ويشكر على النّعم.

**(الآية ٦)** – ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾:

هكذا نجد أنّ الله ﷻ جاء بنموذجٍ من معاناتهم من جبروت فرعون،

وكيف خلّصهم الله ﷻ من هذا الجبروت، فقد كان فرعون يسلّط عليهم أقصى ألوان العذاب.

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: سام الشّيء؛ أي طلب الشّيء، سام سوء العذاب؛ أي طلب العذاب السّيّء الشّديد، فقد ذبح فرعون أبناءهم الذّكور، وترك الإناث؛ ليُذلّ شعب بني إسرائيل، فتركهم ليستبيحهنّ، وفي هذا تنكيلٌ بهم.

﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: وقف بعض المستشرقين عند هذه الآية، وقالوا: لقد تعرّض القرآن من قبل لهذه الآية في سورة البقرة، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾[البقرة]، فقالوا: هل هذه الآية في سورة إبراهيم هي البليغة؟ أو الآية الّتي في سورة البقرة؟ خصوصاً أنّ الفرق بينهما هو مجيء الواو كحرف عطفٍ على ذبح الأبناء واستباحة النّساء، وأضاف مستشرقٌ منهم: لن نتنازل عن النّظر إلى ما جاء في سورة الأعراف حين قال ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف]، فما الفارق؟ بطبيعة الحال هذا المستشرق وبعض النّاس لا يأخذ فهم القرآن الكريم عن مَلَكةٍ باللّغة العربيّة، ولو كان للإنسان مَلَكةٌ في اللّغة العربيّة وقدرةٌ على الفهم لعلم أنّ الكلام لم يصدر في الآيات عن مصدرٍ واحدٍ، بل صدر عن مصدرين، مثلاً الآية في سورة البقرة كان المتكلّم هو الله تعالى، لذلك قال: ﴿نَجَّيْنَاكُم﴾، أمّا هنا قال: ﴿أَنجَىٰكُم﴾؛ لأنّ موسى عليه السلام هو من يتكلّم، ولم يقل عليه السلام: بأنّه هو الّذي أنجاهم، بل يعدّد النّعم الّتي منّ

الله تبارك وتعالى بها عليهم، وعلّل ذلك أنّ العظيم حين يمتنّ على غيره لا يمتنّ إلّا بالعظائم، أمّا دون العظيم فقد يمتنّ بما دون ذلك، نأتي بمثلٍ للتّقريب والإيضاح وليس للتّشبيه، ولله المثل الأعلى، هب أنّ إنساناً غنيّاً له أخٌ فقيرٌ، وهذا الغنيّ يمدّ أخاه الفقير بأشياء كثيرةٍ ويعتني بأولاده ويقوم برعايته رعايةً كاملةً، فيأتي ابن الفقير ليقول لابن الغنيّ: لماذا لا تسألون عنّا؟ فيقول ابن الغنيّ: ألم يأت أبي لك بهذا القلم وتلك البذلة إضافة إلى المنزل الّذي تسكنون فيه، لكن العمّ الغنيّ يكتفي أن يقول: أنا أسأل عنكم، بدليل أنّني أحضرت لكم المنزل الّذي تسكنون فيه، فالكبير حقّاً هو الّذي يذكّر ويذكر الأمور الكبيرة، أمّا الأقل فهو من يعدّد الأشياء.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾: وهكذا نرى مظهريّة الخير الّتي منّ الله ﷻ بها عليهم، وهي الإنجاء من ذبح الأبناء، واستباحة النّساء، وكان ذلك نوعاً من مظهريّة الشّرّ، وهذا ابتلاءٌ صعبٌ، وسبق أن أوضحنا أنّ البلاء يكون بالخير أو بالشّرّ، قال ﷻ: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ [الأنبياء: من الآية ٣٥].

**(الآية ٧) - ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾:**

في الآية الّتي سبقتها بدأ الحديث عن سيّدنا موسى عليه السلام وعن شعب بني إسرائيل، وعن ما عاناه عليه السلام من شعب بني إسرائيل، فالخطاب هنا: صحيحٌ أنّ هناك خصوصيّةَ سببٍ لشعب بني إسرائيل، لكن هنا عموميّة المعنى لكلّ النّاس.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: تأذّن المادّة الألف والذّال والنّون مأخوذة الأُذن، والأُذن آلة السّمع، والأذان: إعلامٌ، وأذِّن؛ أي أعلِم، تأذّن؛ أي أعلِم بتوكيد، فيكون معنى الآية: أنّي أُعلمكم بتوكيدٍ من ربّكم أنّكم إذا شكرتم ليزيدنّكم من نعمه وعطائه؛ لأنّ الشّكر دليل ارتباطٍ بالواهب ﷻ، وأنّكم سلختم أنفسكم من الاعتزاز بما أُوتيتم، وعلمتم أنّ الوهّاب هو الله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق].

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾: علينا أن نعلم أنّ هناك فارقاً بين الكفر والكفران، ولكنّ لفظ الكفر جاء هنا ليُغلّظ عدم شكر الله ﷻ، وجاء الكفر مقابل الشّكر، ولا بدّ من عذابٍ على الكفر، وعذاب الله ﷻ لا بدّ أن يكون شديداً؛ لأنّ العذاب يتناسب مع قدرة المعذِّب، والله ﷻ هو القادر. بينما الإنسان الشّاكر لنعم الله ﷻ هو المحافظ عليها، والنّبيّ ﷺ كان يقول عندما تراه السيّدة عائشة ﵂ يقوم من اللّيل حتّى تتفطّر قدماه، قالت: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: «**أفلا أحبّ أن أكون عبداً شكوراً**»(١)، فالشّكر على نِعَم الله ﷻ يكون بالمحافظة عليها، وعدم الإسراف بها، وتحرّي الحلال في هذه النّعم، فهذه الآية تفتح آفاقاً واسعة أمام الإنسان المؤمن بأنّ عدم الشّكر معناه وكأنّك جحدت بالله ﷻ وكفرت به ﷻ، وهنا معرض الحديث عن قوم بني إسرائيل بأنّهم كانوا دائماً يجحدون بالنّعم الّتي أنعم الله ﷻ بها عليهم.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب التّفسير، باب سورة الفتح، الحديث رقم (٤٥٥٧).

**(الآية ٨) –** ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨﴾:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾: وقد قال موسى ذلك لكي لا يظنّ ظانٌّ من قومه أنّ الله ﷻ في حاجةٍ لشكرهم، فأراد أن ينسخ هذا الظّنّ من أذهان من يسمع، وأوضح لهم أنّ الله ﷻ لن يزيده إيمانهم شيئاً، وفي الحديث القدسيّ: «**يا عبادي، لو أنّ أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم، كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً**»(١).

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾: الله ﷻ غنيٌّ عن البشر، لا يحتاج إليهم ولا إلى غيرهم، فهو مستغنٍ عن عبادتهم وعن شكرهم، والحميد: الّذي يقع عليه الحمد قبل أن يوجَد من يحمده.

**(الآية ٩) –** ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩﴾:

هذا القول لموسى عليه السلام مع شعب بني إسرائيل، وهذه الآية أعطتنا تفسيراً لقول الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر: من الآية ٢٤]، وكذلك قول الحقّ ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم، الحديث رقم (٢٥٧٧).

عَلَيۡكَۚ﴾ [غافر: من الآية ٧٨]، فلا توجد أمّةٌ أو قومٌ أو قريةٌ إلّا وأرسل الله ﷻ لهم نبيّاً وأنذرهم، وقد أوحى الله ﷻ لموسى عليه السلام أن يبلّغ قومه قصص بعض الأنبياء السّابقين، وهذا واضحٌ في قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾: هناك كثيرٌ من الرّسل والأنبياء لم يقصّ الله ﷻ علينا أو عليهم قصصهم.

﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: الرّسل حملوا منهج الله ﷻ وكذلك المعجزات الدّالّة على صدقهم لمن جاؤوا من بعد ذلك، والبيّنات هي المعجزة الدّالّة على صدقهم، أو هي الآيات المشتملة على الأحكام الواضحة الّتي تنظّم حركة حياتهم لتُسعدهم.

﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾: وضع الكافرون أيديهم على أفواههم، بمعنى أنّهم قالوا للرّسل: اسكتوا أو اصمتوا لا تتكلّموا بما جئتم به من بلاغٍ، أو أنّهم عضّوا على الأيدي بالنّواجذ؛ لأنّهم لم يطيقوا تطبيق منهج الله تبارك وتعالى، ولم يستطيعوا التّحكّم في أنفسهم، والثّراء في القرآن الكريم يحتمل هذه المعاني كلّها.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾: يكشف لنا غباءهم، فهم يعترفون بأنّ هؤلاء الرّسل عليهم السلام من السّماء، وبالوقت ذاته ينكرون المنهج.

﴿وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾: أي أنّهم أعلنوا رأيهم في المنهج وقالوا: إنّهم محيّرون ومحتارون ويشكّون في هذه المناهج الإلهيّة.

(الآية ١٠) - ﴿۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠﴾:

﴿۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾: هو لونٌ من الخطاب يترك لمن توجّه إليه الكلام أن يجيب، وأنت لا تفعل ذلك إلّا إذا كنت واثقاً من أنّ من توجّه إليه الكلام سيجيب إن استحضر الحقّ في ذهنه كما تريد أنت، لذلك لم يأت الخطاب هنا بقوله: (لا شكّ في الله)، وإنّما جاء الخطاب في صيغة السّؤال ﴿۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾، وبذلك يكون الكلام خبريّاً، فالكفّار عندما يديرون الكلام في رؤوسهم سيعثرون على الإجابة الّتي لا يمكن أن ينكروها، وهي أنّه ليس في الله عز وجل شكٌّ، حتّى لو كذّبوا، فهذه هي الفطرة الّتي فطر الله سبحانه وتعالى النّاس عليها.

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: ليس في الله سبحانه وتعالى شكٌّ، ويأتي لهم بالدّليل الّذي لا يحتمل أيّ شكٍّ، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، هذا هو الدّليل، والفاطر: هو الّذي خلق خلقاً على غير مثالٍ سابقٍ، كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة: من الآية ١١٧]، فلا أحد قادرٌ على أن يخلق مثل السّموات والأرض، وهي مخلوقةٌ على غير مثالٍ سابقٍ لها، والله جل جلاله هو من شاء أن يكون الإنسان سيّداً للكائنات المخلوقة كلّها، وأن تكون تلك الكائنات مسخّرةً لخدمته، وقد يتخيّل الإنسان أنّ خلقه أكبر من خلق السّموات

والأرض، لذلك ينبّه المولى ﷻ بقوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر]، فمثلاً: لو نظرت إلى الشّمس وسألت نفسك: كم من النّاس استمتعوا بدفئها واستفادوا منها؟ فمن المؤكّد أنّك لن تعرف الجواب؛ لأنّ الشّمس مخلوقةٌ من قبل خلق البشر، وكلّ إنسان يستمتع بالشّمس ويستفيد منها عدد سنوات حياته، ثمّ يموت، ونجد المفسّر الفخر الرّازي يضرب المثل الّذي لا يمكن أن ينكره أحدٌ، ويدلّل على فطرة الإيمان بطفلٍ صغيرٍ تسلّل وضرب شقيقه، هنا لا بدّ أن يلتفت الشّقيق ليكتشف من الّذي ضربه؛ لأنّ الإنسان من البداية يعلم ألّا شيء يحدث إلّا وله فاعلٌ، وهبْ أنّ طفلاً جاء ليجد شقيقه جالساً على كرسيٍّ، وهو يريد أن يجلس على الكرسيّ ذاته، هنا سيقوم الطّفل بشدّ وجذب أخيه من على الكرسيّ ليجلس هو مكانه، وكأنّه اكتشف بالفطرة أنّ اثنين لا يمكن أن يستوعبهما حيّزٌ واحدٌ، وهكذا يتوصّل الإنسان بالفطرة إلى معرفة أنّ هناك خالقاً واحداً.

﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾: هذا يدلّ على الرّحمة والقدرة والحكمة والحنان، وهنا يقول ﷻ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، ولم يقل: (ليغفر لكم ذنوبكم)؛ لأنّه يُخاطب الكفّار، بينما يقول ﷻ حينما يخاطب المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الصّف]، هكذا

لا يساوي الله ﷻ في خطابه بين المؤمنين والكافرين، أو أنّ المقصود من قوله ﷻ: ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾، هو غفران الكبائر؛ لأنّ صغائر الذّنوب إنّما يغفرها أداء الفرائض والعبادات، فنحن نعلم أنّ الرّسول الكريم قال: «**الصّلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّراتٌ ما بينهنّ إذا اجتنب الكبائر**»(١).

﴿وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾: كلنا نعرف أنّ الأجل هو الزّمن المضروب والمقرّر للحدث، وإن شاء الحقّ ﷻ الإبادة فنجد ما يدلّ على قوله: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١﴾ [القصص]، كما فعل ﷻ مع قارون، أو أنّ قول الحقّ ﷻ: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ مقصودٌ به يوم القيامة.

﴿قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾: هكذا يعلن أهل الكفر لرسلهم أنّهم يفضّلون أن يكونوا أهل تقليد للآباء، ولو أنّهم فكّروا لعلموا أنّ التّقليد لو شاع في المجتمعات لما ارتقى أحدٌ عن آبائه وأجداده، ولكان كلّ جيلٍ يكرّر نفسه، والعالم يتطوّر من جيلٍ إلى جيلٍ، فلماذا يصرّ هؤلاء الكافرون على أن يحتفظوا بتقليد الآباء والأجداد؟! وإذا كان الأبناء يتطوّرون في كلّ شيءٍ، فلماذا يحتفظ هؤلاء الكفّار بتقليد الآباء في العقائد؟!، ولا يكتفي أهل الكفر بذلك، بل يطلبون

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الطّهارة، باب الصّلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات لما بينهنّ ما اجتنبت الكبائر، الحديث رقم (٢٣٣).

أن يأتي لهم الرّسل بسلطانٍ مبينٍ، والسّلطان يطلق مرّةً على القهر على الفعل، فيكون الفاعل مقهوراً كارهاً للفعل، ويطلق مرّةً على المعجزة، على الحجّة الّتي تُقنع بالفعل، ويكون الفاعل محبّاً لما يُقدم عليه، والدّين لا يمكن أن ينتشر قهراً: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٦]، لا بدّ أن يُقبِل الإنسان على الدّين بقلبه حبّاً وعقلاً، ولا يأتي قهراً، وهذا ينفي أفكار المتطرّفين والتّكفيريّين والإرهابيّين، وما دام الرّشد قد ظهر، فلا مجال للإكراه؛ لأنّ الّذي يُكرَه على شيءٍ لا يمكن له أن يعتنق ما يكره، وإذا ما دخل الإنسان الدّين فعليه أن يلتزم بما جاء به، ولا يمكن للإنسان أن يدخل إلى الدّين مكرهاً، بل لا بدّ أن يدخله على بصيرةٍ.

**(الآية ١١) –** ﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١﴾:

﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾: أوضح الرّسل عليهم السلام لأقوامهم بأنّهم بشرٌ مثلهم.

﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾: السّلطان الّذي نملكه هو المعجزة الّتي خصّ بها الحقّ سبحانه وتعالى كلّ رسولٍ، ولا يمكننا أن نتجاوزها، والله تعالى هو الّذي يتفضّل على عباده فيختار منهم الرّسول المناسب لكلّ قومٍ، ويرسل معه المعجزة الّتي يريد والدّالّة على الرّسالة، ويقوم الرّسول بتبليغ ما يؤمر به من ربّه جلّ جلاله، وكلّ رسولٍ يفعل ذلك ويُقبل عليه بكلّ ثقةٍ في أنّ الله سبحانه وتعالى لن

يخذله وسينصره، فسبحانه القائل: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصّافّات]، ويخبرنا تعالى بطمأنة الرّسول الكريم ومن معه لحظة الزّلزال، عندما تكون الأحداث الجسام، وتبلغ القلوب الحناجر، حيث يتساءلون متى نصر الله؟ فتأتي أخبار نصر الحقّ ﷻ لرسله السّابقين لطمأنة المؤمنين.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾: هكذا أعلن كلّ رسولٍ لمن آمن به من قومه، فعلى الله ﷻ وحده يتوكّل المؤمنون، ويفوّضون أمورهم كلّها إليه، صبراً على معاندة الكافرين، وثقةً بأنّه ﷻ ينصر من أبلغوا وبلّغوا وساروا برسالته ومنهجه، وينصر معهم الإيمان.

**(الآية ١٢) –** ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢﴾:

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾: صفة الإيمان تدخل في صفة التّوكّل ضمناً، ونحن نعلم أنّ هناك فارقاً بين التّوكّل والتّواكل، التّوكّل يعني أن تستنفد كلّ الأسباب الممدودة إليك، وهو عمل القلوب وليس عمل الجوارح، بعد أن تؤدّي الجوارح ما عليها من عملٍ، وتأخذ بالأسباب كلّها، تعمل القلوب فتتوكّل على الله ﷻ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾؛ لأنّ الله ﷻ بيّن لنا السّبُل المنجية، ودلّنا على أنّ الفرج مع الصّبر.

﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾: هنا توكّلٌ مع صبرٌ، والصّبر عنوان الإيمان، لذلك قال لهم الرّسل عليهم السلام: سنصبر على ما آذيتمونا.

**(الآية ١٣) - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾:**

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾: هكذا نرى أنّ الخير حين ينتشر في النّاس يغضب منه المستفيدون من الفساد، ويتجّه تفكير المفسدين إلى ضرورة إخراج خمائر الخير من الأرض الّتي يعيش المفسدون على الاستفادة منها ومن أهلها.

﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ﴾: وإن عزّت الأرض على خمائر الخير عليهم أن يعلنوا عودتهم إلى ديانتهم السّابقة، ولا يُقال: عدت إلى الشّيء إلّا إذا كنتُ في الشّيء ثمّ خرجتُ عنه، وعدتُ إليه، ارجعوا؛ أي كانوا قبل ذلك على ملّتهم، فهل كان الرّسل الّذين تمّ تهديدهم أهل كفرٍ من قبل حتّى تقول هذه الآية؟ الجواب: بالتّأكيد لا، لذلك نفهم من قوله ﷻ: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ﴾ بمعنى لتصبحنّ في ملّتنا، أو على القوم الّذين آمنوا مع الرّسل أن يعودوا؛ لأنّ هؤلاء قبل أن يؤمنوا كانوا معهم، لم يقبل الرّسل بتلك المساومة؛ لأنّ الله ﷻ يُنزل جنود التّثبيت والطّمأنينة والسّكينة على قلوب الرّسل والمؤمنين، فلا يتأثّر الرّسل بهذا التّهديد والوعيد، وهذا ما يُعبّر عنه الحقّ ﷻ في آخر الآية:

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: هنا يأتي القانون السّماويّ بالعدل، وهو إهلاك الظّالمين، وتلك قضيّةٌ إيمانيّةٌ باقيةٌ أبد الآبدين.

**(الآية ١٤) - ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾:**

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ﴾: هنا يؤكّد الله ﷻ أنّ من يثبت على

الإيمان، ويخاف مقام الحقّ ﷻ، ويخشى يوم العرض على الحقّ ﷻ والحساب، ولا ينكث عن منهج دعوة الحقّ ﷻ، سيورثه الله تبارك وتعالى الأرض، فتلك سنّة الله ﷻ؛ لأنّه ﷻ قال: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب].

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾: نعلم أنّ من يخاف الله ﷻ ويخشاه ويؤمن بأنّه ﷻ قائمٌ على كلّ نفسٍ، فسيجزيه ﷻ بأن يورثه الأرض، قال ﷻ: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ﴾ [الأعراف: من الآية ١٣٧].

## (الآية ١٥) - ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾:

﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾: أي طلبوا النّصر والفتح من الله ﷻ، وكلمة: (فتح) تدلّ على أنّ شيئاً مغلقاً ينفتح، وأحياناً يكون المقصود بالكلمة أمراً حسّيّاً، وأحياناً يكون الأمر معنويّاً، ومرّة ثالثةً يكون الفتح بمعنى الفصل والحكم، والمَثَل على الأمر الحسّيّ، كقوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ﴾ [يوسف: من الآية ٦٥]، والمَثل على الفتح المعنويّ بمعنى سابقة الخير والعلم: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة]، وكذلك قوله ﷻ: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر]، أمّا المَثَل على الفتح بمعنى الفصل في الأمر، كقول الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: من الآية ٨٩]، ويطلق الفتح أيضاً على أمرٍ آخر وهو النّصر، قال ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر]، وهنا يقول الله ﷻ:

﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥﴾؛ أي طلبوا الفتح، بمعنى طلبوا النّصر، وتلك خيبة من الكفّار، فهم طلبوا النّصر مظنّة أنّ عندهم من ينصرهم، لذلك يُخيّب الله ﷻ ظنّهم ويحكم عليهم بمصير كلّ جبّارٍ في الأرض متكبّرٍ عن عبادة ربّه ﷻ.

﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾: الجبّار: هو من يقهر النّاس، والمقصود هنا المتكبّرون عن عبادة الله ﷻ، الّذين يعاندون في مسألة الإيمان به ﷻ، فإذاً خاب وخسر كلّ جبّارٍ عنيدٍ معاندٍ للإيمان بالله ﷻ.

**(الآية ١٦) - ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦﴾:**

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾: أي من خلف الجبّار المتعنّد بالكفر جهنّم؛ أي من خلفه وما فيها من عذابٍ، كلمة وراء في اللّغة لها استخدامات متعدّدة، فمرّة تأتي بمعنى بعد، والمثل في قوله ﷻ عن امرأة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾[هود]؛ أي جاء يعقوب من بعد ابنه إسحاق، ومرّةً تأتي بمعنى غير، كقوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧﴾ [المؤمنون]؛ أي من ابتغى غير ذلك، وهنا يقول الله ﷻ: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾، نعلم أنّ جهنّم ستأتي مستقبلاً؛ أي أنّها أمامه، ولكنّها تنتظره وتلاحقه.

﴿وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ﴾: الصّديد: هو الماء الرّقيق الّذي يخرج من الجرح، وهو القيح الّذي يسيل من أجساد أهل النّار، حيث تُشوى جلودهم، ولنا أن نتصوّر حجم الألم حين يحتاج أحدهم أن يشرب فيُقَدّم له الصّديد النّاتج من

حرق جلود هؤلاء في النّار، والصّديد أمرٌ يتأفّف من رؤيته أيّ إنسانٍ، فكيف وهو يشرب منه؟!

**(الآية ١٧) –** ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾:

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: أي يأخذ هذا الماء جرعةً جرعةً من شدّة مرارته، والإنسان لا يأخذ الشّيء جرعةً جرعةً إلّا إذا كان لا يقدر على الاستمرار في الجرعة الواحدة دفعةً واحدةً.

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾: هذا المشروب من الصّديد لا يكاد يستسيغه من يتجرّعه.

استساغ الشّيء: أي ابتلعه بسهولةٍ؛ أي لا يكاد يبتلعه بسهولةٍ، فطعمه وشكله غير مقبولَين.

﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: أي ينظر حوله فيجد الموت يحيط به من كلّ اتّجاهٍ، لكنّه لا يموت.

﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: ويُفاجَأ بأنّ العذاب يحيط به من كلّ جانب، وإذا قسنا العذاب الغليظ بأهون عذاب يلقاه الإنسان من النّار لوجدنا أنّه عذابٌ فوق الاحتمال، فها هو ﷺ يقول: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ، تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ، يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ**»(١)، من الجمرة يغلي دماغه، فما باله بالعذاب الغليظ؟!

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الرّقاق، باب صفة الجنّة والنّار، الحديث رقم (٦٥٦١).

(الآية ١٨) -﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ﴾: قد يأتي في أذهان بعضهم ما يشوّه عقائد الإيمان، فيقول قائلٌ: كيف يدخل فلانٌ النّار وهو من أعطى البشريّة هديّة المخترعات الهائلة الّتي غيّرت مسارات الحضارة وأسعدت النّاس؟ فكيف يعذّب الله ﷻ هؤلاء الّذين بذلوا الجهد ليطوّروا العلوم والفنون؟ أيُعذّبهم بمجرّد أنّهم كفّارٌ به؟ الجواب: إنّ العذاب يتعلّق بالإيمان والكفر، والله ﷻ يعذّبهم مع أنّه تعالى لا يضيع عنده أجر من أحسن عملاً: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾[الكهف: من الآية ٣٠]، وهو قادرٌ على أن يجزيهم في الدّنيا بما قدّموه من مجدٍ وشهرةٍ ليكوّنوا النّتيجة والثّروة، وهم قد عملوا من أجل ذلك، وانطبق عليهم الحديث الشّريف: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ**

عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[1]، وأخذوا أجورهم ممّا عملوا، وعندما عملوا لم يكن الله ﷻ في بالهم، والقرآن الكريم يصوّر مسألة الجزاء، فهؤلاء الكفّار إذا كانوا يتلقّون العذاب الغليظ على الكفر، فالحقّ ﷻ لا يغمط أجر ما فعلوه من خيرٍ، فينالون ذلك في الدّنيا، وقد قال النّبيّ ﷺ: «فمن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو إلى امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[2]، أمّا في الآخرة فالعذاب جزاؤه؛ لأنّه عاش كافراً بالله ﷻ، فالقرآن الكريم واضحٌ لا يقبل لبساً في هذا الأمر.

﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: فلا يقولنّ قائلٌ: إنّ الأعمال الّتي صنعوها في الدّنيا، وظنّوا أنّها أعمالٌ إنسانيّةٌ وأعمال برٍّ ستأتي يوم القيامة، بل ستصبح يوم القيامة رماداً تهبّ عليها الرّيح الشّديدة في يومٍ عاصفٍ لتذروه بعيداً، ولن تكون لديهم فرصةٌ لاستئناف الحياة ليستفيدوا من التّجربة، بل من أمامهم ومن حولهم العذاب، ولسان حالهم يقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ﴾ [المؤمنون: من الآية ٩٩-١٠٠]،

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب مَن قاتل للرّياء والسّمعة استحقّ النّار، الحديث رقم (١٩٠٥).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، الحديث رقم (١).

لكنّه لو ردّ إلى الحياة الدّنيا لعاد لما نُهي عنه، مصداقاً لقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: من الآية ٢٨]، وهذا الكفر هو الضّلال البعيد الّذي جعل أعمالهم الّتي ظنّوا أنّها صالحة مجرّد أعمالٍ محبطةٍ، فلا أجر ولا ثواب لها، فضلّوا بالكفر عن الطّريق الموصل إلى الغاية، وكلّ ما اكتسبوه وما أخذوه وما قاموا به مثّله المولى ﷻ بقوله: ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾، والسّبب واحدٌ، وهو كفرهم بالله ﷻ.

فالأنبياء عليهم السلام جاؤوا بمهمّةٍ تبدأ بقوله ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمّد: من الآية ١٩]، فلم يأت رسولٌ لقومٍ من الأقوام، من لدن آدم عليه السلام إلى لدن سيّدنا رسول الله ﷺ إلّا وكانت دعوته: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: من الآية ٥٩]، فهي دعوة الأنبياء عليهم السلام الأساسيّة، ومن يُشرك بالله ﷻ فمن الطّبيعيّ أن يكون جزاؤه هو الّذي تحدّثت عنه الآيات السّابقة.

**(الآية ١٩) –** ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾: يُعلِمنا ﷻ ويُعلّمنا أنّه خلق السّموات والأرض بميزان الحقّ الّذي هو أساس الخلق، فلا تنطبق السّماء على الأرض كما قال ﷻ: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحجّ: من الآية ٦٥]، وأنت كلّما سرت وجدت الشّمس من فوقك، وهي مرفوعةٌ بنظامٍ هندسيٍّ دقيقٍ، فقد أراد الله ﷻ أن يؤكّد قضيّةً كونيّةً مشهودةً، وبدأ بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ مع أنّه لا يوجد مع العين أين، ذلك أنّ الشّمس واضحةٌ أمام البشر

كلّهم، معنى ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾؛ أي ألم تعلم؟ وعندما يقول الله ﷻ فقوله أصدق من الحواسّ، فإذا قال ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ فاعلم أنّه علمٌ موثوقٌ به، وحين يلفتنا الحقّ سبحانه هنا إلى رؤية السّموات والأرض فكان لا بدّ لنا أن نعلم أنّها لم تكن لتوجد إلّا بخلق الله ﷻ لها، وهو الّذي أخبرنا أنّه هو الخالق، ولم يأت أحدٌ ويدّعي أنّه خلق السّموات والأرض، وبذلك تثبت له قضيّة الخلق إلى أن يقول آخرٌ: أنا خلقت السّموات والأرض، وبالعلم يقول الله ﷻ: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [غافر]، البشر لا يعيشون مثلما تعيش السّماء، فالفرد قد يعيش ثمانين أو مئة عامٍ، ثمّ يموت ويولد غيره، كلّ البشر يأتون ويذهبون والشّمس باقيةٌ، وكذلك الأرض، ومن عجيب الخلق الرّحمانيّ أنّ الله ﷻ خلق كلّ شيءٍ تسخيراً لأمر الإنسان، فلا يشذّ كائنٌ من تلك المسخّرات عن أمر الإنسان أبداً، وأنت طُلب منك بالاختيار إن شئت آمنت وإن شئت كفرت، إن شئت أطعت وإن شئت عصيت، ولكنّ المخلوق المسخّر لخدمتك، كالشّمس ليست له هذه المشيئة، وقد أعلمنا الله ﷻ بأنّ الرّحمانيّة سبقت لنا نحن البشر، وأنّ الله ﷻ هيّأ لنا الكون، يتركّز في أشياء لا دخل لنا فيها، ولا تتغيّر أبداً، وهي الأشياء العُليا كالشّمس والقمر والأرض، وهناك أشياء أخرى يكون التّغيير فيها على نوعين، نوعٌ يتغيّر ويأتي بدلاً منه شيءٌ آخر، كالنّبات الّذي يذهب ويصبح حصيداً، كذلك الحيوانات الّتي نأكلها أو الّتي تموت، وهناك خلقٌ يتغيّر مع إبقاء عناصره وإن تغيّرت مادّته، كالجمادات الّتي نراها الجبال والأرض وعناصرها... إلخ، فالمخلوقات الّتي استقبلت الوجود الإنسانيّ نوعان: نوعٌ لا يتغيّر، ونوعٌ

آخر يتغيّر مع بقاء مادّتها، وهي الجمادات، ونوعٌ تتغيّر أنواعه وأجناسه، هذه الأشياء كلّها تدلّنا على أنّ الحقّ ﷻ له صفتان: صفة القدرة وصفة القهر، فهو ﷻ يقهر ما يشاء على ما يشاء ولا يتغيّر، وصفة القدرة الّتي سخّر بها الأشياء لخدمة الإنسان، فلا تستطيع أن تخالف، فالاختيار للإنسان وليس للشّمس ولا للقمر ولا لهذه المخلوقات المسخّرة، لذلك أراد الله ﷻ للإنسان أن يأتيه محبّاً متّبعاً لتكاليفه الإيمانيّة، فالّذي يطيع الله ﷻ وهو قادرٌ على أن يعصيه إنّما يدلّ بذلك على أنّه محبٌّ لله ﷻ، وتثبت له صفة المحبوبيّة، وهنا يقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ ولنا أن نلحظ أنّ كلمة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ وردت في مواقع كثيرةٍ في القرآن الكريم، على سبيل المثال نجد في القرآن الكريم قول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: من الآية ٨٥]، وقول الحقّ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٩﴾ [الدّخان]، وهذا يدلّ على أنّ السّموات والأرض مخلوقةٌ على هيئةٍ ثابتةٍ، ومدارس الفلسفة استقبلت تلك القضيّة استقباليَن مختلفين: استقبال من يريد أن يؤمن، واستقبال من يريد أن يكفر، وانقسم من أراد الكفر إلى فريقين: الفريق الأوّل أخذ من ثبات قوانين الشّمس والقمر والأرض دليلاً على أنّه لا يوجد خالقٌ لهذا الكون، وقالوا: لو كان هناك خالقٌ للشّمس والقمر والسّموات والأرض لغيّر من هيئة السّموات والأرض، ولكن كلّ من تلك الكواكب تدير نفسها بآليّةٍ ذاتيّةٍ محكمةٍ، والفريق الثّاني قالوا: إنّ الشّذوذ في الكون ووجود خلل وعيوب خلقيّة في بعض المخلوقات والأنواع دليلٌ على أنّه لا يوجد إلهٌ، فكيف يخلق الإله مخلوقاً أعمى؟

وآخر أعرج؟ وثالثاً بعينٍ واحدةٍ؟ وهكذا أخذ هذا الفريق من أهل الكفر وجود الشّذوذ في الكون كدليلٍ على عدم وجود إلهٍ، ومن العجيب أنّ الفريق الّذي أراد التّغيير في هيئة السّموات والأرض، أراد ذلك كدليلٍ على وجود خالقٍ، والفريق الّذي رأى بأنّ هناك شذوذاً في بعض المخلوقات أخذ ثبات الخلق على هيئةٍ واحدةٍ كدليلٍ على وجود إلهٍ، وهذا يدلّنا على أنّ الفريقين قد أخذا من قضيّتين متعارضتين دليلاً على الكفر، ولم يتّفق الفريقان على قضيّةٍ واحدةٍ، وهذا يوضّح التّناقض بينهما، ولو أمعن كلٌّ من الفريقين النّظر لَعَلِم كلٌّ منهما أنّ الإيمان ضرورةٌ أساسيّةٌ لفهم هذا الكون على ثبات ما فيه، إضافة إلى وجود بعض الشّذوذ فيه، فأنت أيّها الإنسان، يا من تنتظر ثباتاً في الأكوان، خذ ثبات آليّة الحركة في السّموات والأرض والشّمس والقمر دليلاً على الإيمان بوجود خالقٍ قادرٍ، وأنت يا من تأخذ التّغيّر في الخلق دليلاً على وجود خالقٍ، فها أنت ترى اختلاف بعض المخلوقات، ممّا يجعلك تعثر على عدم التّماثل في المخلوقات دليلاً على وجود إلهٍ خالقٍ له طلاقة القدرة، وقد أوضح الله ﷻ أنّه لم يخلق السّموات والأرض لعباً، بل خلقهما بالحقّ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الدّخان]، وهناك فارقٌ بين اللّعبة وبين الحقّ، فاللّعبة قد يتوصّل إليها من يعبث بشيءٍ فتخرج له صدفةً، فيستخدمها هو أو غيره كلعبةٍ، يقول الله ﷻ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾ [النّحل]، أمّا الخلق بالحقّ فهذا يعني أنّ من يخلق إنّما يفعل ذلك بموازين دقيقةٍ محكمةٍ يصنعها على نظامٍ ثابتٍ، له قضيّةٌ تحكمه، من الحكمة، والحقّ ﷻ وما دام الكون الأعلى ثابتاً، فإنّ الحقّ ﷻ هو الّذي خلق السّموات والأرض، وما دمت تريد ثباتاً في

حركتك الاختياريّة، فخذ المنهج الّذي أنزله الله ﷻ بالحقّ، فبذلك تثبت القضيّة كما تثبت القضايا العُليا، وعندما تخرج عن منهج الحقّ ﷻ تجد أنّ الفساد قد عمّ، وإذا أردنا ألّا يوجد فسادٌ في المجتمع من أيّ لونٍ فلنبحث عمّا أراده الله ﷻ، وعمّا ضيّعه الإنسان من أحكام الله ﷻ ومن أوامره ومن الأخلاقيّات والقيم الضّابطة للمجتمعات، وسنجد أنّ سبب وجود الفساد هو الخروج عن القيم الأخلاقيّة، وقد قال ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرّحمن]، وهكذا نرى الشّمس منضبطةً في شروقها وغروبها وكسوفها، وكذلك القمر في سطوعه ومحاقّه وخسوفه، وكما رفع الله ﷻ السّماء ووضع الميزان، فعلينا أن نزن كلّ أمرٍ بالميزان الصّحيح لتنصلح أحوالنا وأمورنا، فإنّ اعتدال الموازين المادّيّة والمعنويّة والقيميّة والأخلاقيّة هي استقرارٌ لحركة الحياة، أمّا إن استمرّ الإنسان على العِوج فليعلم بأنّ الله ﷻ قادرٌ على أن يُذهبنا وأن يأتي بخلقٍ جديد كما قال هنا:

﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾: الله ﷻ خلق الخلق، ووهبهم الاختيار ليُقبلوا عليه ﷻ، مع أنّه ﷻ أعطاهم الحقّ في أن يقبلوا أو لا يقبلوا، فهنا بيّن الله ﷻ بأنّه إن يشأ يذهب بالبشر ويأت بخلقٍ جديدٍ، ولكنّه ترك الاختيار لهم في اختيار الإيمان أو النّكوث عن الإيمان والكفر بالله ﷻ.

**(الآية ٢٠) – ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ۝٢٠﴾:**

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾: فلا يعزّ على الله ﷻ ولا يصعُب عليه ﷻ،

وهو العزيز القادر على أن يذهب بكلّ النّاس ويأتي بخلقٍ جديدٍ، فطلاقة قدرة الله ﷻ هي الأساس في ذلك.

**(الآية ٢١)** - ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾:

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: البروز أن يظهر شيءٌ كان خفيّاً، يُقال مثلاً: رجلٌ بارزٌ؛ أي مرموقٌ، ويقول الله ﷻ في آياتٍ أخرى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: من الآية ٤٧]؛ أي سنرى الأرض كلّها في اليوم الآخر وهي مكتملةٌ، لا جزء منها فقط كما يحدث في حياتنا الدّنيا.

وبالتّأكيد فالله ﷻ منزّهٌ من أن تخفى عنه خافيةٌ في الأرض أو السّماء أو الكون، والمقصود هنا أنّهم يبرزون لأنفسهم وليس لله ﷻ؛ أي يرون وجودهم أمام الله ﷻ ويستخفون من النّاس.

﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾: معنى هذا الكلام أنّ الضّعفاء التفتوا إلى الأغنياء والكبراء، وإلى الّذين كانوا لهم القدوة السّيّئة.

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: أي أنّنا اتّبعناكم في هذا الطّريق، فقمتم بإغوائنا وإضلالنا، وكنتم السّبب بما جرى معنا.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾: فكان الجواب:

﴿قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾: نسبوا عدم اهتدائهم إلى الله ﷻ،

لنلحظ هنا هذه المغالطة، فهم الّذين لم يريدوا الهداية، وهم الّذين سلكوا طريق الغواية، وكانوا السّبب، عندها يقولون: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨﴾ [الأحزاب]، فالإنسان الّذي ضلّ وأضلّ غيره لا شكّ بأنّه يتحمّل مسؤوليّةً مزدوجةً، وهذا لا يُعفي الّذي اتّبعه على غير هدايةٍ، ومن اتّبع سبيلاً غير سبيل الله ﷻ.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾: أي على كلّ الجهات، سواءٌ جزعنا أم صبرنا، ليس لنا مخرجاً وليس لنا محيصاً، ولا يمكن لنا أن نخرج ممّا وصلنا إليه من عذاب الله ﷻ، وهنا يُلقي كلٌّ منهم التّبعة والتّقريع على الآخر: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧﴾ [الأحزاب]، ففي هذه السّاعة يتبرّأ الّذين اتَّبعوا من الّذين اتُّبعوا، وهي ساعة الحقيقة وساعة الحساب.

﴿مَّحِيصٖ﴾: ليس لنا من مخرجٍ.

**(الآية ٢٢) –** ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾:

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: هنا نجد تصعيداً للحوار، ففي الآية السّابقة كان الحوار بين المتبوعين والتّابعين، وهنا الارتقاء بالحوار ليكون مباشرةً بين الشّيطان وبين البشر، ونلحظ أنّ الله ﷻ من خلال هذا الحوار يبيّن بأنّ الأمر

قد انقضى، فلا نقاش في أيّ أمرٍ ولا فرصة للتّراجع عمّا حدث، وقضاء الأمر يعني أن يذهب كلّ إنسانٍ إلى مصيره، فمن كان من أهل الجنّة دخلها، ومن كان من أهل النّار دخلها، فوصلت الأمور إلى حدّها النّهائيّ الّذي لا تغيّر معه أو بعده أبداً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾: وعد الله ﷻ حقٌّ؛ لأنّه وعدٌ ممّن يملك، أمّا وعد الشّيطان فقد اختلف وتغيّر؛ لأنّه وعدٌ ممّن يكذب، فهو وعدٌ كاذبٌ، والحقّ ﷻ هو الأمر الثّابت الّذي لا يتغيّر، وأنت حين تعدُ إنساناً ما بخيرٍ قادمٍ، فهل تضمن أن تكون الظّروف مناسبة لتحقّق له هذا الأمر؟!، الجواب: إنّك لا تضمن، لذلك يوصّينا المولى ﷻ أن نقول: إن شاء الله، لنحمي أنفسنا من الاتّهام بالكذب، فنردّ الوعد لله ﷻ، فهو وحده الّذي يمكنه أن يعد وينفذ ما يعد به، وهنا نجد الشّيطان يعترف في الآخرة أنّ وعده باطلٌ. والله ﷻ يوضّح لنا المسافة بين الحقّ والباطل فيقول: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرّعد: من الآية ١٧]، وهنا يحاول الشّيطان أن يبرّئ نفسه بهذا الحوار، فمع علم الشّيطان أنّه قد وعد، لكنّه لا يملك إنفاذ ما وعد به، فيحاول أن يلصق التّهمة بالّذين اتّبعوه.

﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾: السّلطان كما نعلم إمّا سلطان قهرٍ أو سلطان إقناعٍ، سلطان القهر يعني أن يملك أحدٌ من القوّة ما يقهر به غيره على أن يفعل شيئاً وهو كارهٌ له، أمّا سلطان الحجّة فهو الإقناع، بأن تملك منطقاً وحجّةً ودليلاً وبرهاناً وتعمل وفق هذا الأمر،

فهنا الشّيطان يعترف للبشر يوم الحشر الأعظم بأنّه لم يكن له سلطانٌ قهريٌّ يقهرهم به، ولم يكن له سلطان إقناعٍ يُقنعهم به لاتّباع طريقه، فيقول: لا تتهمّوني، فقد أغويت من النّاس مَن قَبِل منكم الغواية، وخالفت أمر ربّي، ولم يكن لي عليكم سلطانٌ سوى أن دعوتكم فاستجبتم لي، وكلّ ما فعلته أنّي حرّكت فيكم نوازع أنفسكم، فأقبلتم على المعصية، فالشّيطان إمّا أن يحرّك نوازع النّفس، أو يترك النّفس تتحرّك بنوازعها إلى المعصية، وسبق أن بيّنا كيف يحاول الشّيطان أن يتتبّع الإنسان بالمعاصي، فيوسوس له بمعصيةٍ، فإن تركها الإنسان فإنّه يلف ويأتي بمعصيةٍ أخرى، فلا يصرّ على معصيةٍ واحدةٍ، فالإنسان عندما يطلب معصيةً بذاتها ويصرّ عليها، تكون من نفسه، أمّا نزغ الشّيطان فهو يتنقّل من معصيةٍ إلى معصيةٍ أخرى، فإن وجدك رافضاً لمعصيةٍ ما انتقل لغيرها؛ لأنّ الشّيطان يريد الإنسان عاصياً على أيّ لونٍ، فهو يحاول أن يدخل إلى الإنسان من نقطة ضعفه، فإن وجده قويّاً في ناحيةٍ اتّجه إلى أخرى.

﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾: الملوم هنا هو من أقبل على المعصية لا من أغوى بها، هكذا يقول الشّيطان للنّاس يوم القيامة، ويستمرّ الله تعالى في فضح ما يقوله الشّيطان لمن أغواهم في اليوم الآخر، يقول الشّيطان للإنسان: لا تأتي بالملامة عليّ، وإنّما ألقي الملامة على نفسك أيّها الإنسان.

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾: هذا قول الشّيطان الّذي سبق وتعالى على آدم عليه السلام في لحظةٍ من اللّحظات، عندما طلب الله سبحانه وتعالى منه أن يسجد له مع الملائكة، لكنّ الموقف هنا مختلفٌ، الموقف هنا هو يوم الحساب، الموقف هنا التّساوي بين الّذين أغواهم وبينه، فهو يعلن أنّه لن ينفعهم ولن

ينفعوه، والمُصرخ من مادّة الصّراخ، صرخ: رفع الصّوت بغرض أن يسمعه غيره، ولا يطلب أو يُطلب ممّن يصرخ شيئاً آخر إلّا المعونة، فلو أنّ أحداً عثر على كنزٍ تحت قدميه فلن يصرخ، بل سيلتفت حوله ليرى أهناك من رآه أم لا؟ فهو يريد أخذه وحده، أمّا إن هاجمه وحشٌ فسيصرخ طالباً النّجاة، وهكذا يكون الصّراخ لطلب المعونة.

مُصرِخ: يدلّ على فعل: أصرخ، وهو فعل دخلت عليه ما يسمّى في اللّغة همزة الإزالة، والمَثل في ذلك ما يدلّ على معنى اللّفظ الّذي يزيل الإبهام، مثال أعجم الكتاب؛ أي أزال إبهامه، وهذه الهمزة الّتي دخلت توضّح إزالة العُجم عن الكلمة، وكذلك كلمة عتب؛ أي لامه، حين تدخل عليها الهمزة تصبح أعتب؛ أي أزال عتبه، ونجد في دعائه ﷺ يقول: «**لك العتبى حتّى ترضى**»[1]؛ أي إذا كنت يا ربّ تعتب عليّ في أيّ شيءٍ فأنا أدعوك أن تزيل هذا العتب عنّي، وهكذا نجد أنّ الإزالة تأتي مرّةً بإضافة الهمزة ومرّة تأتي بالتّضعيف، كقولنا: مرّض الطّبيب مريضه؛ أي أزال عنه المرض، فمُصرِخ هو من يزيل صراخ الآخر، فكأنّ هناك من استغاث فجاءه من يغيثه، فيتبيّن لنا أنّ الشّيطان يلعن في اليوم الآخر ويتبرّأ من كلّ شيءٍ، ويعلن إعلاناً عامّاً أنّه ومن أغواهم في مأزقٍ، وأنّه غير قادرٍ على إزالة سبب هذا المأزق، ولا هم بقادرين على إزالة سبب ما هو فيه، ولن يغيث أحدهما الآخر.

---

(١) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب العين، ما انتهى إلينا من مسند عبد الله بن جعفر، الحديث رقم (١٨١).

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾: فأنتم أشركتموني مع الله ﷻ في الطّاعة حيث استسلمتم لغوايتي، ولم تكونوا من عباد الله المخلصين الّذين أقسمتُ بعزّة الله ألّا أُغويهم: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص]، فالمشكلة مشكلتكم، ناديتكم واستجبتم، وناداكم الله ﷻ فعصيتم وكفرتم وأصبحتم مثلي، فقد سبق لي أن أمرني الله ﷻ وعصيتُ.

﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: قضيّة الكفر في القمّة، فكما أطعتم الشّيطان وجعلتموه شريكاً لله ﷻ، فها هو الشّيطان يخبركم بتقدير هذا الموقف: بأنّ الشّرك بالله ﷻ هو الّذي يستوجب عذابه ﷻ، والله ﷻ قال له: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٨١﴾ [ص]، وكان الشّيطان من قبل اليوم المعلوم؛ أي اليوم الآخر يندسّ ويوسوس وينزغ، أمّا في هذا اليوم فقد برز كلّ شيءٍ من إنسٍ وجنٍّ وكائنات أمام الواحد القهّار، ولم يعد هناك ما يخفى عن العين، وظنّوا أنّهم قادرون على إخفاء معاصيهم عن مولاهم ﷻ، لذلك جاء في بعض كتب الله ﷻ المنزلة قول الله ﷻ: «**إن كنتم لا تعلمون أنّي أنظر إليكم فالخلل في إيمانكم، وإن كنتم تعلمون أنّي أنظر إليكم، فلم جعلتموني أهون النّاظرين؟**»[1]، وفي الحياة اليوميّة لا تجد من يسرق بيت أحدٍ أمام عينيه، فإن كنتم يا معشر البشر لا تفعلون ذلك مع بعضكم بعضاً، فكيف تفعلون ذلك مع خالقكم ﷻ وتعصونه؟ لذلك يقول الشّيطان معترفاً ومقرّاً: بأنّ الظّالمين لهم عذابٌ أليمٌ،

(١) شرح البخاريّ للسّفيري: المجلس السّابع عشر، ص ٣٦٧.

وقمّة الظّلم الشّرك بالله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: من الآية ١٣]، وحين نقرأ ذلك إمّا أن نأخذه على أنّه إقرارٌ من الشّيطان، أو أن نفهمه على أنّ الشّيطان قد قال: ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ﴾ ويقول الله ﷻ بعد القضيّة العامّة: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فتكون هذه العبارة هي الحكم النّهائيّ من الله ﷻ.

**(الآية ٢٣) –** ﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ٢٣﴾:

﴿وَأُدۡخِلَ﴾: فعلٌ مبنيٌّ للمجهول، ويمكن نسبة الفعل إلى ثلاث جهات، مرّة يُنسَب الفعل إلى الله ﷻ، فهو الّذي أدخل النّاس إلى الجنّة، ومرّة يُنسب الفعل إلى الملائكة الّذين يتلقّون الأمر من الله ﷻ بإدخال المؤمنين الجنّة، ومرّة إلى المؤمنين الّذين يدخلون الجنّة بإذن الله ﷻ، فالله ﷻ أدخلهم إذناً، والملائكة الموكّلون فتحوا أبواب الجنّة لهم، والمؤمنون دخلوا بالفعل.

﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ﴾: الجنّة في اللّغة: المادّة الجيم والنّون تأتي بمعنى السّتر، والجنّة تستر من فيها بما فيها من أشجارٍ كثيرةٍ بحيث من يمشي فيها لا يظهر؛ لأنّ الأشجار تستره، أو أنّ من يدخل الجنّة يجلس فيها ولا يراه أحدٌ، وتطلق الجنّات على بساتين الدّنيا أيضاً، قال ﷻ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٦]، ولنا أن نعرف أنّ الجنّة غير المساكن الّتي فيها؛ لأنّ الله ﷻ يقول: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ [التّوبة: من الآية ٧٢]، والجنّة هي الحديقة الواسعة، وهذا الاتّساع موزّعٌ على

مرأى عين، والإنسان بتكوينه يحبّ أن يتخصّص في مكانٍ مرّةً، وأن ينتشر في مكان مرّةً أخرى، فيستأجر شقّةً، أو يبني لنفسه بيتاً مستقلّاً، وفي البيت يحبّ أن يكون له حجرة خاصّة لا يدخلها أحدٌ سواه، والإنسان يقيم ويقيّم الأشياء على هذا الأساس، فينظر من يرغب بشراء قطعة أرضٍ ليبني عليها بيتاً، أتطلّ على حارةٍ ضيّقةٍ، أم على شارعٍ أم على بحرٍ...؟ وهل يستطيع أن يعلو بالبناء لعدّة أدوار أو لا؟ وهل سيخصّص قطعةً من الأرض كحديقةٍ أو لا..؟، إلى كلّ ما هنالك، فإن كانت الأرض تطلّ على الفضاء فحساب المتر ليس بالثّمن المدفوع فيه، ولكن بقيمة ما يتّجه وما يتيحه من اتّساع أفقٍ وفضاءٍ من مزارع أو بحرٍ أو... فجنّاتٌ بهذا الشّكل التّقريبيّ هي أماكن متّسعةٌ، وكلّ من يدخلها له فيها مساكن طيّبةٍ.

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: تلك الجنّات تجري من تحتها الأنهار، ومن يدخلها يُخلّد فيها، فلا يموت.

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ﴾: ذلك بأنّ الإنسان يحبّ التّنعّم، ولكن كلّ نعيمٍ في الدّنيا هناك من ينغّصه؛ لأنّه لا يدوم، وكلٌّ منّا رأى أناساً عاشوا في نعيمٍ ثمّ نُزع منهم بحكم الأغيار، أو تركوه بحكم الموت، أمّا جنّة الله ﷻ ونعيمها فالأمر مختلفٌ تماماً، ذلك أنّ النّعيم هناك لا يفوتك ولا تفوته.

﴿تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞ﴾: التّحيّة هي ما يواجه به الإنسان أخاه إثباتاً لسروره بلقائه، لذلك تأتي التّحيّة على مقدار السّرور، فمرّةً تكون التّحيّة برفع اليد من غير مصافحةٍ، وفي حال ازدياد مكانة الشّخص عندك تصافحه، وقد تأخذه في أحضانك، وهكذا ترتقي بالتّحيّة، وتحيّة الجنّة هي السّلام؛ لأنّ السّلام أمنٌ

لكلّ إنسانٍ، سلامٌ مع نفسك فلا تتكدّر نفسك هناك ولا ندمٌ على ما فات، فالسّلام في الجنّة ليس فيه منغّصات من الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وتنسجم مع كلّ ما حولك من الكون، لذلك قال ﷻ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ وهذه أفضل نعمةٍ، وهي الحياة في سلامٍ وأمنٍ، وبعد ذلك تدخل الملائكة عليهم مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرّعد]، ثمّ يلقون السّلام الأعلى ويتلقّون السّلام الأعلى من الله ﷻ وهو القائل ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس]، وبعد أن شرح الله ﷻ أحوال أهل القرب والسّعادة وأهل البعد والشّقاء، أراد ﷻ أن يضرب لنا مثلاً يوضّح فيه الفارق بين منهج السّعداء الّذين عاشوا على منهج الله ﷻ، وبين منهج الأشقياء الّذين اتّبعوا غير سبيل الإيمان.

**(الآية ٢٤) - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾:**

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: المثل هو الشّيء الّذي يوضّح الخفيّ بالجليّ، والله ﷻ يضرب لنا الأمثال هنا بالأمور المُحسوسة، كي ينقل المعاني إلى أذهاننا؛ لأنّ الإنسان له إلفٌ بالمُحَسّ، وإدراكات الحواسّ تعطيه أموراً حسّيّةً أوّلاً، ثمّ تأتي المعاني، يقول ﷻ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦]، وسبحانه ضرب الأمثال الكثيرة ليوضّح الأمر الخفيّ بأمرٍ جليٍّ، ومن بعد ذلك ينتشر المثل بين النّاس.

﴿ضَرَبَ﴾: مثل ضرب العملة، فقد كان النّاس قديماً يأتون بقطعٍ من الفضّة أو الذّهب ويشكّلونها بِقَدرٍ وشكلٍ محدّدٍ لتدلّ على قيمةٍ ما، وتصبح بعد ذلك عملةً متداولةً، ويُقال: ضُرب في كذا، إذا اعتُمد وصار أمراً واقعاً، وكذلك المثل حين ينتشر ويصبح أمراً واقعاً فهو يُضرب به المَثَل.

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: الشّجرة الطّيّبة تعطيك طيّباً تستريح له نفسك، إمّا منظراً أو رائحةً أو ثماراً، أو كلّ ذلك مجتمعاً، فقول الله ﷻ: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ يوحي بأنّ الحواسّ كلّها تجد فيها ما يريحها.

﴿طَيِّبَةً﴾: مأخوذة من الطّيب، وهذا أمر مُحَسٌّ، والشّجرة الطّيّبة لها أربع خصائص: الخاصّيّة الأولى أنّها شجرةٌ طيّبةٌ، الخاصّيّة الثّانية أنّ أصلها ثابتٌ كإيمان المؤمن المحبّ، والثّالثة أنّ فروعها في السّماء، وهذا دليلٌ على ثبات الأصل وطيب المنبت، أمّا الخاصّيّة الرّابعة فهي أنّها تؤتي أُكُلها كلّ حينٍ بإذن ربّها؛ أي فيها عطاء المدد الّذي لا يعرف الحدّ ولا العدد، وهي تدلّ على صفات المحبّين من المؤمنين، وبما أنّها شجرةٌ طيّبةٌ فهي كائنٌ نباتيٌّ لا بدّ لها من أن تتغذّى لتحفظ مقوّمات الحياة، ومقوّمات حياة النّبات توجد في الأرض، فإن كانت الشّجرة مخلخلة وغير ثابتة فهي لن تستطيع أن تأخذ غذاءها، ولذلك يقول الله ﷻ عن تلك الشّجرة:

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: كلنّا نظنّ أنّ الشّجرة تأخذ غذاءها من الجذور فقط، لكنّ الحقيقة العلميّة تؤكّد أنّ الشّجرة تأخذ خمسة بالمئة من غذائها عبر الجذور والباقي تأخذه من الهواء، وكلّما كان الهواء نظيفاً نمت الشّجرة بأقصى ما فيها من طاقةٍ حتّى تكاد فروعها أن تبلُغ السّماء، أمّا إن

كانت البيئة ملوثةً فالهواء يكون غير نظيف بما لا يسمح للشّجرة أن تنمو النّمو المناسب، فلا تستطيع أن تخلّص الغذاء ولا أن تكون كهذه الشّجرة الّتي أصلها ثابتٌ وفرعها في السّماء، إلّا إذا نزل عليها المطر فغسل أوراقها، وقول الله ﷻ: ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾؛ أي أنّها تأخذ غذاءها من الأرض، وقوله ﷻ: ﴿وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي أنّها تأخذ من أعلى.

**(الآية ٢٥) –** ﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥﴾:

﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا﴾: الأُكُل: هو ما يؤكل ويُتمتّع به، ولكنّا لا نأخذ المعنى هنا على ما يؤكل بالفم فقط، ذلك أنّ هناك أشجاراً ونباتات طيّبة؛ لأنّ مزاج الكون العامّ يتطلّبها، فالظّلّ مثلاً يُستفاد منه، وكذلك هناك أشجارٌ يتفاعل وجودها مع الأثير ويأخذ منها رائحةً طيّبةً.

فنحن الآن أمام المَثل الطّيّب، والشّجرة الطّيّبة هي المَثل الّذي ضربه الله ﷻ للكلمة الطّيّبة، قال العلماء: بأنّها كلمة لا إله إلّا الله محمّد رسول الله؛ لأنّ الكلمة الطّيّبة ثابتةٌ ثبوت الإيمان بالله ﷻ، وهي تعطي النّتائج عبر الأزمان، وهذه الكلمة الطّيّبة هي الكلمة الّتي ما زالت مستمرّةً مع مرور الأزمان، فالنّبيّ ﷺ رفع الله ﷻ ذكره، وهذه الكلمة الطّيّبة ما زالت تتردّد في كلّ لحظةٍ في الأذان من مكانٍ إلى مكانٍ، ومن ساعةٍ إلى ساعةٍ، قال ﷻ: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾ [الشّرح]، والمعنى العامّ بأنّ الإسلام انتشر بالكلمة الطّيّبة، وليس بالسّيف ولا الجبروت ولا القوّة، تؤتي أُكُلها.

﴿كُلَّ حِينٍ﴾: الحين يُطلق على اللّحظة، كقول الحقّ ﷻ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الواقعة]، وقال بعض المفسّرين: إنّ الحين يُقصَد به الصّباح والمساء؛ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الرّوم]، فالحين هو الوقت الّذي يحين فيه المقدور، فإذا كان الحين هو لحظة بلوغ الرّوح إلى الحلقوم، فهذه اللّحظة هي المُراد بها الحين هنا، وإذا كان المقصود بها زمنٌ أطول، صباحاً أو مساءً، فهذا الزّمن ينسحب عليه معنى الحين، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة: من الآية ١٧٧]، البأس؛ أي الحرب، ومدّة الحرب قد تطول، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: من الآية ٣٦]، هكذا يكون معنى الحين هو الأجل غير المسمّى الّذي يمتدّ إلى أن تتبدّل الأرض غير الأرض والسّماء، فلا يوجد توقيتٌ محدّدٌ للمدّة الّتي نحدّد بها معنى حين.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: ضرب المثل معناه إيقاع شيءٍ صغيرٍ ليدلّ على شيءٍ كبيرٍ، أو جليٍّ ليدلّ على شيءٍ خفيٍّ، ليقرّب المعنويات إلى وسائل الإدراكات الأولى، فالنّبيّ ﷺ كان يأمر بحفظ اللّسان، وأن يكون الكلام طيّباً، وعدّ الغيبة كأكل لحم الميّت، وهذا كلّه من الكلام الخبيث والسّيّء، وقد قال ﷺ: «**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»(١)، فالكلمة الطّيّبة تكون بالكلام المباشر أو بالفعل والعمل

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، الحديث رقم (٥٦٧٢).

الطّيّب الّذي يؤدّي إلى الثّمار والإيمان، والإسلام اتّجه بهذا الاتّجاه، وليس باتّجاه القَصر والعنف، فدين الإسلام هو دين لطفٍ وليس دين عنفٍ ولا إرهابٍ.

**(الآية ٢٦) -** ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾:

الكلمة الخبيثة كالشّجرة الخبيثة، والإسلام لم يبح للإنسان في يومٍ من الأيّام أن يقول إلّا الخير، وأن يتعامل إلّا بالّتي هي أحسن، قال ﷻ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المؤمنون]، فالكلمة الطّيّبة هي المطلوبة والكلمة الخبيثة هي المرفوضة، وهنا المولى ﷻ يعطي المثل للكلمة الخبيثة كالشّجرة الخبيثة الّتي اجتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قرار؛ أي ليس لها ثباتٌ، وخبثها يؤدّي إلى النّتائج الخبيثة، وحين نقارن الكلمة الخبيثة بالكلمة الطّيّبة سنكتشف الفارق الشّاسع، فالكلمة الخبيثة مجتثّة من فوق الأرض، والجثّة هي الجسد الّذي خرجت منه الرّوح، ومن بعد أن يصبح جثّةً يصبح رمّةً ثمّ يتحلّل إلى عناصره الأولى، فالاجتثاث هو استئصال الشّيء من أصله وقلعه من جذوره، أمّا المقابل في الشّجرة الطّيّبة فأصلها ثابتٌ لا تخلخله ظروفٌ أو أحداثٌ، والكلمة الخبيثة بلا جذور؛ لأنّها مجتثّةٌ وليس لها قرارٌ تستقرّ فيه، وحين تكلّم المفسّرون عن الشّجرة الطّيّبة منهم من قال: إنّها النّخلة؛ لأنّ كلّ ما فيها خيرٌ، فورق النّخلة لا يسقط ويبقى دائماً كظلٍّ، وكلّ ما فيها يُنتَفع به، وقالوا عن الشّجرة الخبيثة: إنّها شجرة الحنظل.. وقد خلق الله ﷻ الشّجرة الطّيّبة في ظروفٍ نحتاج لها؛ لأنّنا حين ننظر إلى الكون سنجد أنّ الكون بحاجةٍ

إلى الطّيّب وكذلك الإنسان، فهو يحتاج الخُلُق الطّيّب، والعمل الطّيّب، والكلام الطّيّب، وأوّل الأخلاق الطّيّبة هي الكلمة الطّيّبة الّتي أصلها ثابتٌ وفرعها في السّماء، الّتي تؤتي أُكُلُها كلّ حينٍ، أمّا الكلمة الخبيثة فما لها من قرارٍ.

**(الآية ٢٧) -** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ﴾: التّبات على الإيمان وعلى الحقّ هو الأساس، فالّذين آمنوا بالله ﷻ واختاروا طريق الإيمان يأتيهم التّثبيت من الله ﷻ، وتوحي كلمة: ﴿يُثَبِّتُ﴾ بأنّ الإنسان ابن أغيار، تطرأ عليه الأحداث الّتي هي نتيجة لاختيار المكلّفين في نفاذ حكمٍ أو إبطاله، فالمكلّف منّا حين يأمره الله ﷻ بحكمٍ قد ينفّذه وقد لا ينفّذه، وكذلك قد يتعرّض المكلّف لمخالفةٍ لمنهج الله ﷻ، فلا ينفّذ هذا المنهج ويؤذي من يتّبع التّعاليم الإلهيّة، وهنا يثق المؤمن أنّ له إلهاً لن يخذله في مواجهة تلك الظّروف، وسينصره قريباً أو بعيداً، وهكذا يطمئن الله ﷻ المؤمن على الأحداث.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾: فهم قد آمنوا بوجوده وبقدرته وبأنّ له طلاقة مشيئةٍ يثبّتهم بها مهما كانت جسامة الأحداث، ذلك أنّ المؤمن يعلم عن يقينٍ أنّ الحقّ ﷻ قد قال وصدق: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرّعد: من الآية ٢٨]، وما دام المؤمن قد ثَبُت قلبه بالإيمان وبالقول الثّابت فهو لا يتعرّض لزيغ القلب، ولا يتزعزع عن الحقّ، والتّثبيت

يختلف في أعراف النّاس باختلاف المثبّت، فحين يخلخل أو يتخلخل عمودٌ في جدار البيت يأتي صاحب البيت بالمهندس الّذي يقوم بعمل دعائم لتثبيت هذا العمود، ويتبادل النّاس الإعجاب بقدرات هذا المهندس، ويتحاكى النّاس بقدراته على تثبيت الأعمدة الّتي كادت أن تنهار وتقع، هذا ما يحدث في عُرف البشر، فما بالنا بما يفعله خالق البشر عندما يثبّت، فهو ﷻ لن يخذل المؤمن وسيثبّته مهما كانت الأحداث، وهذا يدلّ على أنّ الإنسان في هذه الحياة سيتعرّض للابتلاءات، فالمؤمن يجب ألّا يخور عزمه؛ لأنّ له ربّاً لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، يثبّت الّذين آمنوا بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا، والقول الثّابت؛ لأنّه من الحقّ الثّابت الّذي لا يتغيّر، هذا القول موجّهٌ للمؤمنين الّذين يواجههم الأشرار الّذين اختاروا أن يكونوا في مواجهتهم في الأزمان كلّها، هذا القول يوضّح للمؤمنين ضرورة أن يهدؤوا ويجعلوا أنفسهم في معيّة الله ﷻ، وأن يعلموا أنّ الظّالم لو علم ما أعدّه الله ﷻ للمظلوم من ثوابٍ وحُسن جزاءٍ لضنّ الظّالم بظلمه على المظلوم، والّذين اضطُهِدوا وعُذِّبوا من أصحاب سيّدنا رسول الله ﷺ ولم يُفتنوا في دينهم، كلّما قسى عليهم الكفّار كسيّدنا بلال ضرباً وتعذيباً تذكّروا حنان الحقّ ﷻ فتحمّلوا وصبروا، فلهم حُسن الجزاء إمّا في الدّنيا الّتي يُثبّت الله ﷻ فيها المؤمن بمشيئته، وهي بنت أغيار، وإمّا في الآخرة، فأنت ترتقي بأثر مجهودٍ ما، وكلّ متعةٍ تحصل عليها إنّما هي نتيجةٌ لمجهودٍ جادٍّ منك، وأنت تحاول أن تقلّل المجهود بالأسباب لتزيد من متعتك، فما بالك بالآخرة الّتي لا تكليف فيها ولا أسباب، وكلّ ما فيها جهّزه الله ﷻ للإنسان ثواباً لمن آمن جنّة عرضها السّموات والأرض، فيها كلّ ما تشتهيه الأنفس،

وعذاباً في جهنّم لمن كفر وعصى، فإذا كان الحقّ ﷻ يثبّت الّذين آمنوا في الدّنيا بالقول الثّابت، فالتّثبيت لهم في الآخرة هو حياةٌ من غير أسباب، ذلك بأنّ الارتقاءات الطّموحيّة في الحياة تكون مناسبةً لما يبذله الإنسان في الحياة، أمّا في الآخرة فهي على قدر طلاقة مشيئة الله ﷻ.

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: يضلّ الله ﷻ الظّالم؛ لأنّه اختار أن يكون ظالماً، والله ﷻ جعل للإنسان حقّ الاختيار، فمن اختار أن يظلم غيره فلا بدّ له من عقابٍ، وإذا كان ﷻ قد خلق الخلق وجعل الكون مسخّراً لهم وأعطى المؤمن والكافر من عطاء الرّبوبيّة، فإن اختار الكافر الكفر ولم ينفّذ التّكاليف الإلهيّة فالله ﷻ يزيده ضلالاً؛ لأنّه اختار أن يظلم نفسه ويظلم الآخرين.

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: هذه طلاقة القدرة لله ﷻ، فهو فعّال لما يريد، يفعل ما يشاء، ذلك أنّه لا يوجد إله غيره ﷻ، والحقّ ﷻ أكرمنا بالعبوديّة له وحده، فعبوديّة الإنسان للإنسان هي ذلٌّ، أمّا عبوديّة الإنسان لله ﷻ فهي عزّ، وقد قال الشّاعر:

حسبُ نفسي عزّاً بأنّي عبدُ  يحتفي بي بلا مواعيد ربُّ
هو في قدسه الأعزّ ولكن  أنا ألقاه متى وأين أحبّ

**(الآية ٢٨) - ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨﴾:**

﴿۞أَلَمۡ تَرَ﴾: حين يقول الله ﷻ: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ﴾، فهذا يعني أنّ الله ﷻ إذا أخبرنا بشيءٍ فهو أصدق من أن نراه بأعيننا.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾: تشير الآية إلى عمليّة مبادلةٍ بين اعترافٍ بالنّعمة ثمّ إنكار هذه النّعمة، كأنّ هناك شيئاً قد استبعدناه وأتينا ببديلٍ له، والله ﷻ يقول: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: من الآية ٦١]، والحقّ ﷻ قد أعطانا النّعمة ولم يطلب منّا أن نقوم بأيّ تكليفٍ إيمانيٍّ قبل البلوغ، وهكذا نجد أنّ النّعمة هي الأصل والتّكليف إنّما يأتي بعد ذلك، وكان من الواجب ألّا يعصي العبدُ مَن أنعم عليه بهذه النّعم، وأن يتجّه إلى التّكليف بمحبّةٍ كي لا يقلب النّعمة كفراً، أو أنّ المقصود هم قوم قريش الّذين أفاء الله ﷻ عليهم الخير، وجعل لهم الحرم آمناً، كما قال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: من الآية ٥٧]، وكذلك أنعم الله ﷻ عليهم بأن يكون نبيّ الإسلام الخاتم منهم، وهو النّبيّ محمّد ﷺ، فتلك النّعمة كافيةٌ لمقابلتها بعميق الشّكر وحُسن العبادة، فهذا النّبيّ ﷺ يقول الله تعالى عن رسالته: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزّخرف]، وهذا شرفٌ لهم، والله ﷻ يقول عن نعمه عليهم: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾﴾ [قريش]، فكيف يبدّلون نعمة الله ﷻ كفراً؟ وكيف يسيئون معاملة الرّسول ﷺ وصحبه حتّى قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ**»[1]؟، واضطّر أن يخرج في بدر لقتالهم وهم الّذين صنعوا ذلك بأنفسهم نتيجة تبديلهم لنعمة الله ﷻ.

(١) مسند الإمام أحمد: مسند المكثرين من الصّحابة، مسند أبي هريرة ﷺ، الحديث رقم (٧٢٦٠).

﴿وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾: الإحلال: هو إيجاد حالٍّ في محِلٍّ، ونعلم أنّ الظّرف ينقسم إلى قسمين، ظرف مكانٍ وظرف زمانٍ، فإذا أحللت حدثاً مكان حدثٍ فهذا يخصّ ظرف الزّمان، وحين تحلّ شيئاً مكان شيءٍ فهذا يخصّ ظرف المكان، وهنا يقول الله ﷻ: ﴿وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾، هذا يعني ظرف مكانٍ، ولقائلٍ أن يقول: كيف يأخذون قومهم وأهلهم ليحلّوهم دار البوار؟ نقول: لقد حدث ذلك نتيجة غشّهم وخداعهم لهم، ولم يستعمل هؤلاء الأهل عقولهم ولم يلتفتوا إلى أولي الأمر منهم الّذين سلكوا السّلوك السّيّء، وكان عليهم ألّا يقلّدوهم بشكلٍ أعمى، فجرى عليهم ما جرى، وتزيّنت الفتن في قلوبهم، لذلك أراد الله ﷻ لأمّة سيّدنا محمّد ﷺ أن تكون بها مناعات من الفتن.

﴿ٱلۡبَوَارِ﴾: أي الهلاك، ذلك بأنّهم أهلكوا قومهم وأهلكوا أنفسهم.

فهذه الآيات تتعلّق بكفّار قريش، وهؤلاء الّذين أنعم الله ﷻ عليهم بنعمة وجود سيّدنا رسول الله ﷺ فيهم، فأحلّوا قومهم دار البوار بدلاً من أن يتّبعوا الرّسول ﷺ، ويتنعّموا بنعمة وجوده.

**(الآية ٢٩) - ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩﴾:**

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾: وبئس المكان، وبئس الاستقرار.

وإذا قسنا جهنّم بالمقرّات فلن نجد من يرغب في أن تكون جهنّم هي المقرّ؛ لأنّ الإنسان يحبّ أن يستقرّ في المكان الّذي يجد فيه راحةً، وإن لم يجد فيه راحةً فإنّه يتركه، فجهنّم هي المقرّ، ويصفها الله ﷻ بأنّها بئس القرار،

فكأنّهم ممسوكون بكلاليب فلا يستطيعون منها فكاكاً، وهي تقول: هل من مزيد؟، أو أنّهم قد عشقوا النّار فعشقتهم النّار، هذا معنى: وأحلوا قومهم دار البوار.

**(الآية ٣٠) –** ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾:

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ﴾: النّدّ: هو المثل والمشابه، فقد جعلوا لله ﷻ شركاء، وأيّ شريكٍ اتّخذوه لم يقل لهم عن النّعم الّتي أسبغها عليهم، ولم يُنزّل عليهم منهجاً، فهؤلاء الشّركاء كانوا أصناماً أو أشجاراً أو الشّمس أو القمر أو النّجوم، ولم يقل أحدٌ من هؤلاء ماذا أعطى من نِعَمٍ ليعبدوه، فالعبادة تقتضي أمراً ونهياً، ولم يُنزّل منهجاً للنّاس ليتّبعوه، ولا ثواباً على العبادة ولا عقاباً على عدم العبادة، لذلك نجد أنّ مثل هؤلاء إنّما اتّجهوا إلى عبادة شركاء؛ لأنّهم لا يلتزمون بشيءٍ، والله ﷻ يقول هنا: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ﴾؛ أي ليُضلّوا غيرهم عن سبيل الله ﷻ.

﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: وهذا أمرٌ من الله ﷻ لمحمّدٍ رسول الله ﷺ أن يقول لهم: تمتّعوا، وهذا أمرٌ تهكّميٌّ؛ لأنّ الله ﷻ يقول بعدها: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، فأيّ متعةٍ إذا كان المصير إلى النّار؟!

**(الآية ٣١) –** ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾:

﴿قُل﴾: صدق البلاغ من الرّسول الكريم، قُل يا محمّد.

﴿لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: من يُطع الأمر هو من حقّق شرط الإيمان، فهو أمرٌ صادرٌ من الله ﷻ للرّسول الكريم، والمؤمنون ينفّذون هذا الأمر، والمؤمن يحبّ أن ينفّذ ما يأمره به الله ﷻ، وما دمت يا محمّد قد أبلغتهم هذا الأمر فهم سيقيمون الصّلاة.

﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: حُذفت منها لام الأمر: (ليقيموا)، وذلك تأكيداً على أنّهم سينفّذون هذا الأمر فور سماعه، ونجد إقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة في آيات القرآن الكريم متتابعتين مع بعضهما، فإقامة الصّلاة تتطلّب حركةً وطاقةً وتأخذ وقوداً، والوقود يتطلّب حركةً ويأخذ زمناً، والزّكاة تعني أن تُخرج بعضاً من ثمرة الزّمن وبعضاً من أثر الحركة في الوقت، ونجد أنّ الكسالى عن الصّلاة يقولون: إنّ العمل يأخذ كلّ الوقت، وأنا مشغولٌ ولا وقت لديّ لأداء الصّلاة، وبعضهم يؤدّي الصّلاة قضاءً، وهم لا يلتفتون إلى أنّ كلّ فرضٍ حين يُؤدّى في ميعاده لن يأخذ الوقت الّذي يتصوّرونه أنّه وقتٌ كبيرٌ، فظاهر الأمر أنّ الصّلاة تقلّل من ثمرة العمل، لكنّ الحقيقة أنّها تُعطي شحنةً وطاقةً تحفّز النّفس على المزيد من الإتقان في العمل، والمصلّي يُقبل على العمل بنفسٍ راضية؛ لأنّه في الصّلاة قد وقف في حضرة من خلقه ورزقه وكفله، فيخرج الإنسان من الصّلاة هادئاً مطمئنّاً منتبهاً راضياً؛ لذلك كان رسول الله ﷺ يقول: «**يا بلال، أقم الصّلاة، أرحنا بها**»[1]، وليس: (أرحنا منها يا بلال)، والصّلاة في كلّ فرض لن تأخذ أكثر من خمس دقائق، ومع الوضوء عشر

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، الحديث رقم (٤٩٨٥).

دقائق، فإذا قست هذا الوقت بالأوقات الّتي تتلهّى فيها أو تعمل فيها أو تلعب فيها، فستجد أنّ وقت الصّلاة بسيطٌ جدّاً، كذلك الزّكاة قد تأخذ جزءاً من المال، لكنّها تحقّق أماناً اجتماعيّاً فوق ما يتخيّله الإنسان، لذلك نجد الصّلاة مرتبطةً دائماً بالزّكاة في آيات القرآن الكريم، فإقامة الصّلاة هي جِماع القِيم كلّها، وإيتاء الزّكاة هو جِماع قيام الحركات الّتي يقوم بها الإنسان كثمرة، وتُعالج الصّلاة شيئاً وتُعالج الزّكاة شيئاً آخر، وكلاهما يُصلح مكوّنات ماهيّة الإنسان، فمقوّمات الرّوح في الصّلاة، ومقوّمات الجسد في الزّكاة، لذلك قال النّبيّ ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصّلاةِ»(١)، وحين تنظر إلى الصّلاة والزّكاة تجد مصالح الحياة مجتمعةً تتفرّع منهما، ذلك أنّ مصالح الحياة قد جمعها ﷺ في الأركان الخمسة للدّين عندما قال: «الإسلامُ أن تشهدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وَتَصومَ رمضانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»(٢).

ونلاحظ هنا أنّ الله ﷻ لم يقل: (ويؤتون الزّكاة)، وإنّما قال: ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾؛ لأنّ الإنفاق يشمل الزّكاة والصّدقات والعطاء والإنفاق العلنيّ والخفيّ، فهو يشمل نواحي الخير كلّها الّتي تحقّق الأمان للمجتمع، وتكون ضمانةً للعدالة الاجتماعيّة فيه.

---

(١) المستدرك على الصّحيحين للحاكم: كتاب النّكاح، الحديث رقم (٢٦٧٦).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة السّاعة، الحديث رقم (٨).

وما أحوج النّاس الآن إلى الصّلاة والزّكاة، ففي الصّلاة صلةٌ مع الله ﷻ، وفي الصّلاة تتحسّن الأخلاق، وتُفرّغ الهموم والآلام الّتي اعترتك في الوقت الّذي لم تكن فيه في الصّلاة، فعندما تدخل إلى الصّلاة فأنت تقول: الله أكبر، الله أكبر من كلّ شيءٍ، الله أكبر من نفسي ومن غيري ومن صديقي ومن عدوّي ومن همّي ومن مرضي ومن فقري ومن عجزي ومن مالي ومن غناي.. فتدخل إلى الملكوت بأن تكون في معيّة الله ﷻ، فعندما تدخل في الصّلاة فأنت في اتّصالٍ مع الخالق الأعلى ﷻ، مع المُعطي والمانع والمُحيي والمميت والرّزّاق ومن بيده مقاليد كلّ شيءٍ، وأنت تبحث في حياتك عن كلّ شيءٍ، ومفاتيح كلّ شيءٍ في هذه الصّلة، في هذه الصّلاة، في الإحسان في صلاتك، فأنت عندما تقف بين يدي الله ﷻ لا تتعجّل في صلاتك لتلتفت إلى أشغال الدّنيا، فتلتفت عن مالك الشّيء إلى تفاهة الشّيء، فالصّلاة لا تسقط في حالٍ من الأحوال؛ لأنّها عطاءٌ لروح الإنسان وحياته يستمدّ القوّة من خالقه تبارك وتعالى، بينما بقيّة الأركان كالزّكاة تحتاج أن يكون لديك نصابٌ حتّى تؤدّيها بعد مرور حولٍ، والحجّ لمن استطاع إليه سبيلاً، والصّيام كما قال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٤]، فالرّكن الوحيد الّذي يدور مع الإنسان كيفما دار هو ركن الاتّصال هذا؛ لذلك جاءت هذه الآية: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، وقال رسول الله ﷺ عن الإنفاق: «**والصّدقة برهان**»(١)، فقد تقول

(١) صحيح مسلم: كتاب الطّهارة، باب فضل الوضوء، الحديث رقم (٢٢٣).

لإنسانٍ: صلّ مئة ركعةٍ، فيصلّي، لكن إن قلت له: تصدّق، تراه يتلجلج في ذلك، فالبرهان على صدق الإيمان هو الإنفاق العامّ، وقال النّبيّ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**»(١)، لذلك قال ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصّدقة، وحصّنوا أموالكم بالزكاة، وأعدّوا للبلاء الدّعاء**»(٢).

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾: عليك أن تنتهز الفرصة وتنفّذ على الفور؛ ذلك لأنّ اليوم الآخر لن يكون فيه بيعٌ أو شراءٌ، ولا يستطيع أحدٌ أن يزكّي فيه أو أن يصلّي، فليست هناك صداقةٌ أو شفاعةٌ تُغنيك عمّا كان يجب أن تقوم به في الحياة الدّنيا، والشّفاعة هي فقط الّتي أذِن الرّحمن بها، لذلك يأتي الأمر هنا بسرعة القيام لإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة والإنفاق سرّاً وعلانيّة من قبل أن يأتي اليوم الّذي لا بيعٌ فيه ولا خلال.

البيع: هو معارضةٌ متقابلةٌ، فهناك من يدفع الثّمن، وهناك من يأخذ السّلعة.

الخلال: هو المخالّة؛ أي الصّديق الوفيّ الّذي يلزمك وتلزمه.

**(الآية ٣٢) -** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: السّماء والأرض هما ظرفا الحياة

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الزّكاة، الحديث رقم (١٤٤٢).

(٢) سنن البيهقيّ الكبرى: كتاب الجنائز، باب ١٤، الحديث رقم (٦٣٨٥).

للجميع، والله ﷻ هو الّذي خلق السّموات والأرض، ولم يقل لنا هنا ما قاله في مواضع أخرى من القرآن الكريم: بأنّها من غير عمدٍ، وليس فيها فطور، ولم يذكر هنا أنّه خلق في الأرض رواسي كي لا تميد بنا، ولم يذكر كيف قدّر في الأرض أقواتها.. فهنا لمحةٌ عن خلق السّموات والأرض، وحين يتكلّم الله ﷻ عن خلق السّموات يأتي بشيءٍ لم يستطع أحدٌ أن يدّعيه لنفسه على كثرة المدّعين من الملاحدة، ذلك لتكون ألزم بالحجّة للخصم، وبذلك كشف لهم حقيقة عدم إيمانهم، وجعلهم يرون أنّهم كفروا، وأنّ هذا الكفر نتيجة لددٍ غير خاضعٍ لمنطق، وهو كفر بلا سببٍ، ويوضّح لنا كلمة ﴿ٱللَّهُ﴾ هنا؛ لأنّها مناط التّكليف، ولم يقل: (الرّبّ)، بل قال: ﴿ٱللَّهُ﴾؛ أي المُكلِّف، فكلمة ﴿ٱللَّهُ﴾ تعني المعبود الّذي ينزّل الأوامر والنّواهي، وتعني أنّ هناك مشقّات، لذلك ذكر لنا أنّه خلق السّموات والأرض.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: حين نسمع كلمة السّماء، نفهم أنّها السّماء المقابلة للأرض، ولكن التّحقيق يؤكّد أنّ السّماء هي كلّ ما علاك فأظلّك، والمطر كما نعلم إنّما ينزل من الغيم، من السّحاب، والله ﷻ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النّور: من الآية ٤٣]، وقد عرفنا بالعلم التّجريبيّ أنّ الطّائرة على سبيل المثال تطير من فوق السّحاب، وعلى ذلك فالمطر لا ينزل من السّماء، بل ينزل ممّا يعلونا من غيمٍ وسحابٍ، وحين تنسب النّزول من السّماء، فهذا يوضّح لنا أنّ كلّ أمورنا تأتي من أعلى، فالحديد الّذي تحتضنه الجبال وينضج في داخلها، يقول الله ﷻ فيه: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: من الآية ٢٥]، معنى هذا إمّا أن

يكون قد نزل كعناصر مع المطر، أو لأنّ الأمر بتكوينه قد نزل من السّماء، وهنا هذه الآية التي نفسّرها يتحدّث الله ﷻ عن خلق السّموات والأرض، وكيف أنزل الماء من السّماء.

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾: الثّمرات هي نتاج ما تعطيه الأرض من نباتاتٍ، قد نأكل بعضاً منها وقد لا نأكل بعضها الآخر، فنحن نأكل العنب لكن لا نأكل فروع شجرة العنب.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾: معنى التّسخير: قهر الشّيء ليكون في خدمة شيءٍ آخر، وتسخير الفلك قد يثير في الذّهن سؤالاً كيف يُسخّر الله ﷻ الفلك، والإنسان هو الّذي يصنعها؟ لكن السّؤال الّذي يُسأل لصاحب السّؤال: من أين نأتي بالأخشاب الّتي نصنع منها الألواح الّتي نصنع منها الفلك؟ ثمّ مَن الّذي جعل الماء سائلاً لتطفو فوقه السّفينة؟ ومن الّذي سيّر الرّياح لتدفع السّفينة؟ كلّ ذلك من بديع صنع الله ﷻ، والفلك تأتي مرّةً ويُراد بها سفينةً واحدةً، وتأتي مرّةً ويُراد بها مجموع سفنٍ، فإمّا أن تكون مفرداً أو جمعاً، كقوله ﷻ: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: من الآية ١٦٤]، كذلك في قصّة سيّدنا نوح عليه السلام: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: من الآية ٣٧]، هي سفينةٌ واحدةٌ، بعض العلماء يقولون: إذا عاد ضمير التّأنيث عليه تكون جمعاً، وإذا عاد عليها بالتّذكير تكون مفرداً، ولكن الحقيقة أنّ هذا القول غير غالبٍ، فسبحانه قد قال عن سفينة نوحٍ وهي مفردٌ: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: من الآية ١٤]، ولم يقل: (يجري بأعيننا)، وهكذا لا يكون التّأنيث دائماً دليلاً على الجمع.

ولو فطن النّاس لقالوا عن السّفن: جِمال البحار، كما قالوا: سفينة الصّحراء، عن الجمل، ولكنّهم أخذوا من مجهولٍ لهم بالمعلوم لديهم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾: النّهر عذب الماء، والبحر ماؤه مالحٌ، وسبحانه قد سخّر لنا كلّ شيءٍ بأمره، فهو الّذي خلق الأنهار، وجعل الماء عذباً، وجعل له عمقاً يسمح في بعض الأحيان بمسير الفلك، وأحياناً أخرى لا يسمح العمق بذلك، وجعل البحر عميق القاع لتمرّ به السّفن، وهو القائل سبحانه: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [الشّورى: من الآية ٣٣]؛ أي أنّه سبحانه قد يشاء أن تقف الرّياح ساكنةً فتركد السّفن في البحار والأنهار، ومن عجائب إنباءات القرآن الكريم أنّ الله ﷻ حين تكلّم عن الرّيح الّتي تُسيّر الفلك والسّفن قال السّطحيّون والشّكليّون: لم تعد السّفن تسير بالرّياح، فنحن نسيّرها بالطّاقة، نقول لهم: أنتم لم تقرؤوا قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: من الآية ٤٦]؛ أي قوّتكم، فالرّيح تعني القوّة والطّاقة، فالمراد بالرّيح هنا القوّة المطلقة سواء جاءت من هواءٍ أو من بخارٍ أو من كهرباء أو من ماءٍ، وهذه الآية الّتي نحن أمامها نزلت بعد أن أعلمنا الله تعالى بقصّة السّعداء من المؤمنين والأشقياء من الكافرين، فكانت تلك الآية بمثابة تكريمٍ للمؤمنين الّذين قدّروا نعمة الله ﷻ هذه، فلمّا علموا بها آمنوا به سبحانه، وكرّمتهم الآية لصفاء فطرتهم وتكريم للعقل الّذي فكّر بالكون ونظر فيه نظرة اعتبارٍ وتدبّرٍ ليستنتج من ظواهر الكون أنّ هناك إلهاً خالقاً حكيماً، وفي الآية تقريعٌ للكافر الّذي استقبل هذه النّعم، ومع ذلك يُكابر ويُعاند ويكفر بربّ هذه النّعم، وأوّل تلك النّعم خلق السّموات والأرض، ثمّ إذا نظرت إلى بقيّة النّعم فستجدها قد

جاءت بعد خلق السّموات والأرض، وشيءٌ من تلك النّعم متّصل بالسّماء، مثل السّحاب، وشيءٌ متّصلٌ بالأرض مثل الثّمرات الّتي تخرجها، فالاستقامة الأسلوبيّة موجودةٌ بين النّعمة الأولى والنّعمة الثّانية.

ما هي المناسبة الّتي جعلت هذا الأمر يأتي بين الأمرين؟ الجواب: لأنّ الفلك طريقها البحار ومسارها في الماء، وقد قال الله ﷻ أنّه خلق السّموات والأرض، ومدلول الأرض ينصرف على اليابسة كما ينصرف على المائيّة، ومن العجيب أنّ المائيّة على سطح الكرة الأرضيّة ثلاثة أرباع اليابسة، فتكون بذلك رقعة الماء أوسع من رقعة التّراب في الأرض، ومادام الله ﷻ قد أخرج من الأرض ثمراً هي رزقاً لنا، فلا بدّ من وجود علاقةٍ ما بين ذلك وتلك، فإذا كانت البحار ثلاثة أرباع مساحة الأرض، فلا بدّ أن يكون فيها للإنسان شيءٌ، وقد شرح الحقّ ﷻ ذلك في آياتٍ أخرى، وأوضح أنّه سخّر البحر لنأكل منه لحماً طريّاً، وتلك مقوّمات حياةٍ، ونستخرج منه حليةً نلبسها، وذلك من ترف الحياة، ونرى الفلك مواخر فيه لنبتغي من فضله، سبحانه، وبذلك يكون هناك خيراتٌ أخرى غير السّمك والحليّ، ولكنّها جاءت بالإجمال لا بالتّفصيل، فربّما لم يكن النّاس قادرين في عصر نزول القرآن الكريم على فهم ومعرفة ما في البحار من خيراتٍ، ولا تزال الأبحاث العلميّة تكشف لنا المزيد من خيرات البحار، فقول الله ﷻ: ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر: من الآية ١٢]، قولٌ إجماليٌّ يلخّص وجود أشياء أخرى غير الأسماك وغير الزّينة من اللّؤلؤ والمرجان وغيرها، ونحن حين نرى مخلوقات أعماق البحار نتعجّب من ذلك الخلق أكثر ممّا نتعجّب من الخلق الّذي على اليابسة،

فحين يتكلّم الله ﷻ عن البحار إنّما يوضّح لنا ما يُكمّل ما في الأرض.

وهنا يقول الله ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾، والنّهر ماؤه عادةً يكون عذباً ليروي الأشجار الّتي تنتج الثّمار، وهكذا شاء الله ﷻ أن يكون ماء البحار والمحيطات مخزناً ضخماً للمياه يحتلّ ثلاثة أرباع مساحة الكرة الأرضيّة، وهي مساحة شاسعة تتيح فرصة لعمليّات البَخر الّتي تحوّل الماء بواسطة الحرارة إلى بخارٍ يصعد إلى أعلى ويصير سحاباً، فيسقط من السّحاب الماء، وهذا ما تحتاجه الأشجار، فتنتج لنا الثّمار الّتي نحتاجها، وكأنّ الأملاح الّتي توجد في مياه البحار تكون لحفظ الماء وصيانته من العطب، ونعلم أنّ معظم مياه الأنهار تكون من الأمطار، وهكذا تكون دورة الماء في الكون، مياهٌ في البحر تسطع عليها الشّمس لتُبخّرها فتصير سحاباً، ومن بعد ذلك تسقط مطراً تغذّي الأنهار، ويصبّ الزّائد مرّةً أخرى بالبحار.

**(الآية ٣٣) –** ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: الشّمس؛ أي النّهاريّة، والقمر؛ أي اللّيليّة، والماء له علاقةٌ بالشّمس، فهي الّتي تبخّره من مياه البحار، ونروي به الأرض الّتي تنتج لنا الثّمار، أمّا البحار فحساب كلّ ما يجري فيها يتمّ حسب التقويم القمريّ، وهل كان رسول الله يعلم كلّ ذلك؟ الجواب: بالتّأكيد لم يكن ليعلم لولا أنّ القرآن الكريم أخبره ليضمّ حقائق الكون.

﴿دَآئِبَيْنِ﴾: من الدّأب، والدّؤب هو مرور الشّيء في عملٍ رتيبٍ، تقول:

فلانٌ دؤوبٌ على المذاكرة؛ أي أنّه يبذل جهداً منظّماً رتيباً لتحصيل مواده الدّراسيّة، ولا يبدّد وقته، وكذلك الشّمس والقمر اللّذان أقام الحقّ ﷻ لهما نظاماً دقيقاً، وعلى سبيل المثال: نحن نحسب اليوم بأوّله من اللّيل ثمّ النّهار، نقسّم اليوم إلى أربع وعشرين ساعةً، لذلك قال الله ﷻ: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ [الرّحمن]، وقال أيضاً: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام: من الآية ٩٦]؛ أي أنّك أيّها الإنسان ستجعل من ظهور واختفاء أيّاً منهما حساباً، وقد جعلهما الله ﷻ على دقّةٍ في الحركة تسير وتُيسّر علينا أن نحسب بهما الزّمن، فلا اصطدام بينهما، ولكلٍّ منهما فلكٌ خاصٌّ، وحركةٌ محسوبةٌ بدقّةٍ، فلا يصطدمان أبداً، وبذلك نحسب السّاعات، وتُستخدم الضّغط على أساسها، وكلّما ارتقينا في السّاعة وجدنا اختراعاتنا فيها تقرّبنا من عمق الإيمان بالخالق الأعلى ﷻ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: بما أنّ الشّمس آيةٌ نهاريّةٌ، والقمر آيةٌ ليليّةٌ، والنّهار يسبق اللّيل في الوجود بالنّسبة إلينا، كان مقتضى الكلام أن يقول: سخّر لكم النّهار واللّيل، ولكن الله ﷻ أراد أن يعلّمنا أنّ اللّيل مخلوقٌ للسّكون، لكن هذا السّكون ليس سبباً لوجود الإنسان على الأرض، بل السّبب هو أن يتحرّك الإنسان ويستعمر الأرض، ويكدّ ويكدح بها، لذلك جعل استهلال الشّمس أوّلاً، والقمر يستمدّ ضوءه منها، ثمّ جاء بخبر اللّيل وخبر النّهار، فكأنّ الله ﷻ قد اكتنف هذه الآية من نورين، النّور الأوّل من الشّمس، والنّور الثّاني من القمر، ليعلم الإنسان أنّ حياته مغلّفةٌ تغليفاً يتيح له الحركة على الأرض، فلا تظنّن أيّها الإنسان أنّ الأصل هو النّوم، ذلك أنّه ﷻ

قد خلق النّوم لترتاح ثمّ تصحو لتكدح، ونلحظ هنا أنّ كلمة تسخير تأتي للأشياء الجوهريّة، و تأتي للمُسخّرات أيضاً، فالحيوان مسخّرٌ لنا، وكذلك النّبات والسّماء مسخّرةٌ بما فيها لنا، أمّا اللّيل والنّهار فهما نتيجتان للشّمس والقمر، والتّسخير كما نعلم هو منع الاختيار، وإذا ما سخّر الله ﷻ شيئاً فلنعلم أنّه منضبطٌ لا يتأتّى فيه اختلالٌ أبداً، ولكنّ الكائن غير المسخّر هو الّذي يتأتى فيه الاختلال، ذلك أنّه قد يسير على جادّة الصّواب أو يخطئ، وفي مسألة التّسخير لا يوجد هذا الكلام.

**(الآية ٣٤) –** ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾:

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ﴾: أعطانا الحقّ ﷻ ممّا نسأل من قبل أن نسأل، أعدّ الكون لنا من قبل أن نوجد، فقد استقبل الكون آدم عليه السلام وهو مُعدٌّ لهذا الاستقبال، وإذا نظرنا إلى الإنسان الفرد سنجد أنّ نعم الله ﷻ عليه قد سبقته، والمثال على ذلك الجنين في بطن أمّه، هنا المولى يقول: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ﴾، يعني أنّه قد أعطاك ما تسأل وما لم تسأل، نطقت به أو لم تنطق، ولو بحديث النّفس أو خواطر خافية؛ ذلك لأنّ وراء كلّ عطاء حكمة ووراء كلّ منع حكمة أيضاً، فالمنع من الله ﷻ عين العطاء، والحقّ سبحانه منزّه على أن يكون موظّفاً عندنا، وقد بيّن الحقّ ﷻ أنّ الإنسان قد يدعو بالشّرّ وهو لا يعلم: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء].

﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ﴾: أي بعض ممّا سألتموه، فقد تكون هناك بعض

الأسئلة التي تعود بالضّرّر، فمن عظمته سبحانه أنّه أعطانا ما هو مطابق للحكمة ومنع عنّا غير المطابق لحكمته سبحانه، ولو نظر كلٌّ منّا إلى عطاء السّلب لوجد فيه نعماً كثيرة يقول ﷻ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء]، فلا يقولنّ أحد: قد دعوت ربّي ولم يستجب لي، بل عليه أن يتذكّر قول الله ﷻ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء]، فسبحانه يملك حكمة العطاء كما قلنا وحكمة المنع ولا أحد منّا يستطيع أن يعدّ نعم الله ﷻ.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ﴾: العدّ كما نعلم هو حصر لمفردات جمع أو جزئيّات، ويعلم أهل العلم بالمنطق أنّ هناك كلّي يقابله جزئيّ وهناك كلّ يقابله جزء، ونعلم أيضاً أنّهم قد سمّوا العدّ إحصاءً؛ لأنّهم كانوا يعدّون الأشياء قديماً بالحصى فأُطلقت كلمة الإحصاء على مطلق العدّ حساباً للأصل، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ﴾ سنجد الكثير من المعاني ولكن هناك من يحاول التّصيّد للقرآن الكريم فيقول: هذا أمرٌ غير دقيق، فما دام قد حدث العدّ فكيف لا يتمّ الإحصاء؟ هؤلاء ينسون أنّه ليس المقصود هنا العدّ بذاته ولكن المقصود هو إرادة العدّ، ولو وُجدت الإرادة فليست هناك قدرة على استيعاب نعم الله ﷻ، فلا تعارض في آيات الله ﷻ، وإنّما هو نسقٌ متكامل فأنت لا تُقبل على عدّ أمر إلّا إن كان غالب الظّنّ أنّك قادرٌ على العدّ وذلك إذا كان في إمكان البشر، ونِعم الله ﷻ فوق طاقة مقدور البشر، نجد في هذه الآية استعمال (إن): ﴿وَإِن تَعُدُّواْ﴾، وهي تستخدم في حالة الأمر المشكوك فيه، أمّا الأمر المُتَيَقّن فنستخدم (إذا) كقوله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾

[النّصر]، لم يقل: إن جاء؛ أي يوجد احتمال بأن يأتي أو لا، وكلّ نعمةٍ من الله تعالى مطمور فيها نِعم متعدّدة لا تُحصى؛ لذلك قال بعضهم: كيف يا ربّ تقول: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ وهي نعمةٌ واحدة، والواحد لا يُعدّ؟ إنّما المعنى بأنّ نِعم الله ﷻ تختلف عن نِعم البشر، فنِعم الله ﷻ مطمور فيها أعداد كبيرة جدّاً من النِّعم، وإن أردت أن تُحصي النِّعمة الواحدة فلن تستطيع من كثرة النِّعم الّتي في باطنها.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾: يُبيّن الله ﷻ ظلم الإنسان لنفسه وكفره وجحده للنّعمة، يقول ﷻ: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨﴾ [إبراهيم]، وفي آيات أخرى يقول ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ [النّحل]، فبعضهم يقول: ما هذا التّكرار؟ أي طالما هنا يقول المولى ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾، وهناك في آيةٍ أخرى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ [النّحل]، الفارق بأنّ استقبال الإنسان للنّعم فيه جحود: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ يجحد في استقبال النّعمة هذا من ناحية الإنسان، أمّا عندما يقول المولى ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾؛ أي أنّ الله ﷻ بعطائه ومع جحود الإنسان فإنّه غفور رحيم.

**(الآية ٣٥) –** ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾:

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ﴾: أي اذكر يا محمّد الوقت الّذي وقف فيه إبراهيم عليه السلام

ودعا هذا الدّعاء، فلسان إبراهيم عليه السلام لم يقل: يا الله، بل قال: يا ربّ، فهو يرفع دعاءه للخالق المربّي المعطي المنعم؛ لأنّ عطاء الألوهيّة تكليف.

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾: وردت معنا في سورة البقرة هذه الآيات ذاتها تقريباً: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٦]، وهنا يقول بعضهم: ما الفارق؟ ولأنّنا لا نعرف في اللّغة العربيّة جيّداً يُبهم علينا بعض الأحيان الفرق بين البلد وبلد ويحتاج إلى شرح، عندما قال إبراهيم عليه السلام وطلب من ربّه: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٦]، لم يكن المكان بلداً، بل كان وادياً غير ذي زرع، فطلب أن يكون بلداً آمناً فيه سكّان وتتوفّر فيه متطلّبات ووسائل الرّزق، وشمل الطّلب الأمن؛ لأنّه لا يمكن أن يجتمع النّاس في بلد إلّا إذا كان فيه أمن، فإن كان هناك ما يهدّد طمأنينة النّاس على يومهم العاديّ ووسائل رزقهم فلا يكون اجتماع النّاس، فأجاب الله سبحانه وتعالى دعاء إبراهيم عليه السلام فصار المكان بلداً، وجعله الله سبحانه وتعالى آمناً أمناً عامّاً، وكان الدّعاء بالأمن الثّاني هي دعوة لأمن خاصّ بأن يكون محرّماً؛ أي لا يُقطع فيه شجرة ولا يُصطاد فيه صيد، أمناً لمن يكون فيه؛ لأنّه سيكون مكان عبادة، وبيت الله الحرام يتمتّع بأمن يشمل الكائنات كلّها؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٧]؛ أي عليكم أيّها المتّبعون لدين الله سبحانه وتعالى أن تؤمّنوا من يدخل إلى الحرم، ونحن نعرف الفارق بين الأمر التّكليفيّ والأمر الكونيّ، فعندما يكون الأمر تكليفيّاً فعلينا أن نؤمّن، أمّا إذا كان أمراً كونيّاً فمن الله سبحانه وتعالى مباشرةً، فهذا هو الفارق بين الآيتين.

﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾: هذا نبيّ عظيم تنبّأ بأنّه سيحدث في

البيت الحرام عبادة أصنام في المستقبل، وكما نعرف أنّ عمرو بن لحيّ أدخل عبادة الأصنام إلى الكعبة بعد فترةٍ من الزّمن، وقد يقول قائلٌ: كيف يدعو إبراهيم عليه السلام بذلك وهو النّبيّ المعصوم؟ كيف يطلب من الحقّ سبحانه وتعالى أن يجنّبه عبادة الأصنام؟ هو يطلب لأولاده ولذريّته وللأقوام الّتي ستأتي من بعده، والكفر نوعان: شركٌ خفيّ، وشركٌ جليّ، والشّرك الجليّ: أن يعبد الإنسان أيّ كائن غير الله سبحانه وتعالى، أمّا الشّرك الخفيّ: فهو أن يُقدّس الإنسان الوسائط بينه وبين الله عزّ وجلّ، ويعطيها فوق ما تستحقّ، وينسب لها بعضاً من القدرات الّتي لله تبارك وتعالى.

دعاء سيّدنا إبراهيم عليه السلام يقتضي منّا أن نفهم معنى كلمة أبناء، ذلك أنّ إبراهيم عليه السلام قصد بالدّعاء بنوّة الّذين يصلون إلى مرتبة الرّسالة، وأن نعلم أنّ بعضاً من بنيه قد عبدوا الأصنام والأوثان، وليسوا من أبنائه؛ أي أولاده المباشرين، وإنّما من القوم، وأوضحه الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿* وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة]؛ أي أنّ حيثيّة الإمامة هي أداء سيّدنا إبراهيم عليه السلام للمهمّة بتمامها وبدقّة وأمانة، فهذا هو دستور الله سبحانه وتعالى في الخلق، وعلينا أن نكون دقيقين في هذا المعنى، فسيّدنا إبراهيم عليه السلام طلب لبنيه، ولكنّ الله سبحانه وتعالى استثنى الظّالمين؛ أي الّذين ينكرون وجوده سبحانه وتعالى من قوم سيّدنا إبراهيم عليه السلام.. وبنوّة الأنبياء عليهم السلام ليست بنوّة لحم ودم، بل بنوّة اتّباع واقتداء، وكلّنا يعلم أنّ الله تعالى قال لنوح عليه السلام عن ابنه: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾

[هود: من الآية ٤٦]، ونبيّنا ﷺ قال: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»(١).

**(الآية ٣٦) -﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾:**

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: نحن نعلم أنّ الأصنام بذاتها لا تضلّ أحداً، ذلك أنّها لا تتكلّم ولا تتحدّث، ولكنّ القائمين عليها بدعوة أنّ لتلك الأصنام ألوهيّة يضلّون النّاس، ويجعلون سبب الضّلال هذه الأصنام وهذه الآلهة.

﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: انظر إلى الأنبياء، وهذه تعقيبات في مسألة الغفران والرّحمة بعد العصيان، مرّةً يقول المولى ﷻ: ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾، ومرّةً يقول على لسان سيّدنا عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة]، لم يقل: إنّك أنت الغفور الرّحيم؛ لأنّ نهاية كلّ آية تناسب ما أراده الله ﷻ، فهناك مواقف تناسبها العزّة والحكمة ومواقف تناسبها المغفرة والرّحمة، ولا أحد قادر على أن يردّ لله ﷻ أمر مغفرة أو رحمة؛ لأنّ الله عزيزٌ وحكيم.

عندما قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ﴾؛ أي أنا مسؤول عنه: ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، لم يقل: إنّك منتقم جبّار ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، هذا من رأفة سيّدنا إبراهيم عليه السلام.

---

(١) المستدرك على الصّحيحين: كتاب معرفة الصّحابة رضي الله عنهم، ذكر سلمان الفارسيّ رضي الله عنه، الحديث رقم (٦٥٣٩).

**(الآية ٣٧)** – ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾: نفهم من الآية أنّ المكان لا يصلح للزّرع، ذلك أنّه أرض صخريّة، وليست أرضاً يمكن استصلاحها، فلا أمل في زراعتها بمجهودٍ إنسانيٍّ، وليس أمام وجود الرّزق في هذا المكان إلّا العطاء الرّبّانيّ، والمكان لم يكن من اختيار سيّدنا إبراهيم عليه السلام، فعندما أخذ السّيّدة هاجر والطّفل الرّضيع إسماعيل كان هناك أمرٌ إلهيٌّ بأخذهما وتركهما في هذا المكان.

﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾: لم يكن هناك بيتٌ ولا أيّ شيءٍ، فالبيت قد دُثر بطوفان نوح عليه السلام، لكنّ سيّدنا إبراهيم عليه السلام كان يعلم مكان البيت المحرّم، والله سبحانه وتعالى أمره أن يأتي بهاجر والرّضيع إسماعيل إلى هذا المكان، وأن يتركهما فيه، فقدّم إبراهيم حيثيّات الإقامة في هذا المكان وأسباب إقامته القواعد كما أراد الله سبحانه وتعالى فقال:

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾: أي أنّ مجيء النّاس إلى هذا المكان لإقامة العبادة في المسجد الحرام، فما دام المكان قد أُقيم فيه بيت لله سبحانه وتعالى باختيار الله جلّ جلاله، فلا بدّ أن يُعبد فيه سبحانه، فهنا يتضّح تماماً حيثيّة أخذ الأمر بالوجود في مكان ليس فيه من أسباب الحياة ولا من مقوّماتها شيءٌ، ولكنّه سبحانه وتعالى قد أمر بذلك، فلا بدّ من إقامة حياة، والمقوّم الأوّل

للحياة المأكل والمشرب، لذلك قال سيّدنا إبراهيم عليه السلام:

﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾: الأفئدة: جمع فؤاد، وهي القلوب، والهوى المراد هنا: هوى قلوب لا جيوب، فتجد الإنسان يجمع النّقود ليذهب إلى الحجّ ويحرم نفسه من أشياء كثيرة ليؤدّي تلك الفريضة، كلمة تهوي من هوى، وهي مكوّنة من مادّة: الهاء والواو والياء، ولها معانٍ متعدّدة، فإن قلت: هوى يهوي، تعني السّقوط من مكان عالٍ دون إرادةٍ منه في السّقوط، وكأنّه مقهورٌ عليه، فهذا يعني بأنّ الهوى هنا الحبّ؛ أي ميل القلب لا ميل القوالب، فاجعل ميل القلوب تهوي إليهم.

﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: فهم في مكانٍ لا يمكن زراعته، فتقبّل الله سبحانه وتعالى دعاء سيّدنا إبراهيم عليه السلام، وقال في آياتٍ أخرى: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [القصص: من الآية ٥٧]، وذلك قبل أن يكتشفوا النّفط أو غير ذلك من الثّروات، وكلمة يُجبى تدلّ على أنّ الأمر في هذا الرّزق قادمٌ بأمرٍ من الله عزّ وجلّ.

﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: توضّح أنّ ﴿مِّنَ﴾ تتعلّق بهوى القلوب إلى المكان، ولو قال: (اجعل أفئدة النّاس تهوي إليهم) لكان النّاس كلّهم، ولخربت الدّنيا، لكنّه قال: ﴿أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي بعض النّاس، ومع ذلك نجد الملايين في بيت الله الحرام.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾: النّعم تحتاج إلى شكرٍ، وبالشّكر تدوم النّعم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم]، فإنّ نعمته إذا زالت عن إنسانٍ قلّما تعود إليه كما قال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يَا عَائِشَةُ، أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا قَلَّ مَا تَزُولُ**

عَنْ أَهْلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِمْ»[1]، وجوار نِعم الله ﷻ يكون بالشّكر على هذه النّعم والمحافظة عليها.

**(الآية ٣٨) –** ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾:

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾: بعد أن اطمأنّ سيّدنا إبراهيم عليه السلام أنّ لهذا البلد أمناً عامّاً وأمناً خاصّاً، واطمأنّ على مقوّمات الحياة، وأنّ كلّ شيءٍ من عند الله ﷻ، بعد كلّ ذلك عاودته المسألة الّتي كانت تشغله، وهي مسألة تركه لهاجر وابنه إسماعيل في هذا المكان، بعض المفسّرين قالوا: إنّ الضّمير بالجمع في قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾، المقصود به ما يكنّه من الحبّ لهاجر وإسماعيل، وما يعلنه من الجفاء الّذي يُظهره لهما أمام سارة، وكأنّ المعاني النّفسيّة عاودته لحظة أن بدأ في سلام الوداع لهاجر وابنه إسماعيل، فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾، فما هو الّذي أخفاه؟ أخفى محبّته للسّيّدة هاجر، ولقد كانت هي الأخرى تعيش موقفاً صعباً، ذلك أنّها وجدت نفسها في مكانٍ ليس فيه زرعٌ ولا ماء، وكأنّها كتمت النّوازع البشريّة كلّها طيلة تلك الفترة وصبرت، ولحظة مجيء سيّدنا إبراهيم لوداعها قالت له: أين تتركني يا إبراهيم؟ هل هذا بأمر ربّك؟ فقال لها إبراهيم: نعم هو بأمر الله ﷻ، فقالت: إذاً لن يُضيّعنا، وتأكّدت هاجر بأنّ ما قالته قد تحقّق، فعندما عطش إسماعيل طفلها الوحيد أخذت تجري بين الصّفا والمروة بحثاً عن

(١) المعجم الأوسط للطّبرانيّ: ج٦، باب الميم، من اسمه محمّد، الحديث رقم (٦٤٥١).

الماء، ولكنّ تفجّر الماء لم يكن بين الصّفا والمروة، وإنّما من تحت قدمي ابنها في المكان الّذي تركته، وهنا يبدأ بئر زمزم في عطاء البشر منذ ذلك التّاريخ، فمياهه لا تنضب أبداً، وهكذا يتحقّق قول إبراهيم عليه السلام في أنّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما نسرّ وما نعلن، ذلك أنّ كلّ مُعلَن لا يكون إلّا بعد أن كان مخفيّاً، ومع أنّ الله عزّ وجلّ غيبٌ بالنّسبة إلينا، إلّا أنّ صلته لا تقتصر على الغيب، بل تشمل عالم الظّاهر والباطن، وكلّ ظاهرٍ في السّماء أو الأرض معلومٌ لله جلّ جلاله؛ لأنّ ما تعدّه أنت غيباً في ذهنك هو معلومٌ لله عزّ وجلّ من قبل أن يتحرّك ذهنك إليه، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى في موقعٍ آخر: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه]، فإذا كان السّرّ هو ما أسررت به لغيرك وخرج منك؛ لأنّك استأمنت غيرك فلا تقوله إلّا له، فهذا هو السّرّ، أمّا الأخفى فهو ما أخفيت في نفسك، والله عزّ وجلّ هو العالم بالحالتين، يقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التّحريم: من الآية ٣]؛ أي أنّ السّرّ كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقل إلى بعض أزواجه، والله سبحانه وتعالى يعلم السّرّ وأخفى.

**(الآية ٣٩) - ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٩﴾:**

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ﴾: يشكر ويحمد الله تعالى على الوهب الّذي هو عطاء من معطٍ بلا مقابل منك، والذّرّيّة كلّها هبة، فلو لم تكن هبة لكانت رتيبة بين الزّوجين لكن هي ليست رتيبة: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ

﴿عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾ [الشورى: من الآية ٤٩- الآية ٥٠]، فالذّرّيّة هبة وهو ما شاءه سبحانه مع زكريّا عليه السلام وقد طلب من الله ﷻ أن يرزقه غلاماً يرثه مع أنّه قد بلغ من الكِبر عتيّاً وزوجه عاقر وتعجّب زكريّا عليه السلام من ذلك؛ لأنّه أنجب كما بيّن القرآن الكريم، ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ [مريم]، هذا يعني أنّ الأسباب والقوانين والمسبّبات أوقفها الله ﷻ، ولا بدّ أن نشكر المولى ﷻ على الذّريّة؛ لأنّها هبةٌ سواء أكانت في إنجاب الإناث أم في إنجاب الذّكور، وهناك من يجعله المولى ﷻ عقيماً، فكذلك يجب عليه أن يشكره؛ لأنّ العقم أيضاً هبةٌ منه ﷻ، فقد يكون الابن ضالّاً، وقد يقتل أباه وأمّه ..إلخ، وإبراهيم عليه السلام رُزق الولد على الكبر: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾، فشكر على هذه الهبة وعلى هذا العطاء من الذّرّيّة، وأهل التّفسير يقولون: على الكِبر؛ أي أنّه يشكر الله ﷻ على وهب إسماعيل وإسحاق مع أنّه كبيرٌ بالسّنّ، لكن لماذا يستعمل الله ﷻ (على) وهي ثلاثة حروف بدل (مع)، ولم يقل: (الحمد لله الّذي وهب لي مع الكبر إبراهيم وإسحاق)؟ الجواب: (على) تفيد الاستعلاء، فالكِبر ضعف، ولكنّ إرادة الله ﷻ أقوى من الضّعف، ولو قال مع الكِبر المعيّة هنا لا تقتضي قوّة، أمّا القول: (وهب لي على الكبر) فيجعل قدرة الله ﷻ في العطاء فوق الشّيخوخة، وهنا إبراهيم عليه السلام يشكر الله ﷻ على استجابته لما قاله من قبل: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾؛ أي أنّه دعا أن تكون له ذرّيّة، ويذيّل المولى ﷻ هذه الآية بقوله:

﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: إسماعيل هو جدّ العرب، وهو الّذي تركه سيّدنا إبراهيم عليه السلام مع السّيّدة هاجر، إسحاق هو والد يعقوب، ويعقوب هو والد يوسف، يعقوب هو إسرائيل، ليس إسرائيل الدّولة العنصريّة المجرمة الّتي استخدمت اسم هذا النّبيّ عليه السلام ليكون محِلّاً لعدوانها، فإسحاق جاء من ذرّيّته اليهود، جاء من ذرّيّته يعقوب بعد ذلك يوسف ثمّ الأسباط ومنهم سيّدنا موسى عليه السلام شيخ أنبياء بني إسرائيل، وبعد ذلك سليمان وداود.. إلخ، وسيّدنا إبراهيم عليه السلام يؤكّد على أنّ الله سبحانه وتعالى سميع الدّعاء؛ أي مجيب الدّعاء، فعندما تدعو ويسمع المولى سبحانه وتعالى هذا الدّعاء ليس المقصود فيها سمع الأذن، وإنّما هو سمع القبول، هو سمع الاستجابة للطّلب الّذي طلبه إبراهيم عليه السلام للذّرّيّة بعد كِبر سنّه.

**(الآية ٤٠) - ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾:**

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾: وكأنّ سيّدنا إبراهيم عليه السلام حين دعا بأمر إقامة الصّلاة هذه قضيّة تخصّ منهج الله سبحانه وتعالى، وهو يسأل الله سبحانه وتعالى أن يقبل ذلك؛ لأنّ الطّلبات الأخرى قد طلبها ببشريّته، وقد يكون ما طلبه شرّاً أو خيراً، لكن الطّلب بأن يجعل هذه الذّرّيّة مع ذرّيّته، وقوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾هو طلب خير حيث قال: ﴿مُقِيمَ﴾، وليس: (مؤدّي الصّلاة)؛ لأنّ للصّلاة شروطاً، وهي حضور القلب والطّهارة واستقبال القبلة وستر العورة وتكبيرة الإحرام.. إلخ، وسيّدنا إبراهيم عليه السلام يدعو أن يكون من

ذرّيّته من يقيم الصّلاة.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾: تقبّل منّي هذا الدّعاء يا ربّ؛ أي استجب لي وتقبّله منّي.

**(الآية ٤١) - ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾:**

طلب الغفران هو إيذانٌ بطلاقة قدرة الله ﷻ في الكون، ذلك أنّ اختيار الله ﷻ لأيّ رسول لا يعفي الرّسول المختار من أن يبقى حذراً يطلب المغفرة دائماً، وها هو رسول الله يقول: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»(١)، طلب المغفرة من الله ﷻ ليس بالضّرورة أن يكون لذنب كما في حال الرّسل المعصومين عليهم السلام، لكن بالأدب مع الله ﷻ؛ لأنّ الخالق يستحقّ منّا فوق ما كلّفنا، فإذا لم نقدر على المندوبات وعلى التّطوّعات فلندعو الله ﷻ أن يغفر لنا، وعندما نقيم الفرائض قد لا نستطيع أن نقيم النّوافل؛ فلذلك ندعو الله ﷻ، وحسنات الأبرار سيّئات المقرّبين، والحقّ سبحانه يقول لرسوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح]، ونلحظ هنا أن طلب المغفرة شمل الوالدين والمؤمنين، والإنسان كما نعلم له وجود أصليّ من آدم عليه السلام، وله وجود مباشر من أبويه، وما دام الإنسان قد جاء إلى الدّنيا بسبب من والديه وصار مؤمناً

(١) صحيح مسلم: كتاب الذّكر والدّعاء والتّوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، الحديث رقم (٢٧٠٢).

فهو يدعو لهما بالمغفرة؛ لذلك عندما يدعو الإنسان لوالديه بالمغفرة إنّما هي من برّ الوالدين ومن حقّ الوالد والوالدة على الولد الصّالح بأن يدعو لهما كما بيّن النّبيّ ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقةٌ جاريةٌ، وعلمٌ يُنتفع به، وولدٌ صالحٌ يدعو له**»(١)، فإذاً الدّعاء للوالدين هو أساس في برّ الوالدين، وقد سُئل النّبيّ ﷺ عن الإنسان إذا توفّي والداه كيف يبرّهما، عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا**»(٢)، من هنا تأتي هذه الآية العظيمة الّتي نطق بها سيّدنا إبراهيم الخليل: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ وليكن دائماً التّعميم: ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾.

**(الآية ٤٢) - ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢﴾:**

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾: بعد أن ذكر الله ﷻ وأوضح النّعم العامّة على الكون والنّعم الخاصّة الّتي أنعم بها ﷻ على من توطّنوا في مكّة ومن نسلهم وسيّدنا إبراهيم عليه السلام ومن دعا، بعد كلّ هذه تأتي هذه الآية

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب الأحكام، باب في الوقف، الحديث رقم (١٣٧٦).

(٢) سنن أبي داوود: أبواب النّوم، باب في برّ الوالدين، الحديث رقم (٥١٤٢).

تعزية وتسلية لرسول الله ﷺ على ما لاقى وعلى ما يلاقيه كلّ إنسان في هذا الكون: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، أرضيّة التّصوير الّتي سبقتها تشتمل بداية التّكوين لهذا المكان الّذي وجدوا به، وكيفيّة مجيء النّعم، ثمّ بعد ذلك تواطؤوا على هذا المكان وجاء أبرهة وحمى الله ﷻ هذا المكان، قال ﷻ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾ [قريش]، مع ذلك وقفوا من دعوة رسول الله ﷺ موقف الإنكار والتّعنّت والتّصدّي والجحود، وحاولوا الاستعانة بكلّ خصوم الإسلام ليحاربوا هذا الدّين كما يجري الآن تماماً؛ ولذلك يوضّح الله ﷻ هنا ويسلّي قلب النّبيّ ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ثمّ تأتي الإجابة في النّصف الآخر من الآية يذكّرهم بيومٍ تشخص فيه الأبصار، وقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾؛ أي لا تظنّن، وهي من حسب، قال الله ﷻ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت]؛ أي أظنّ النّاس، من الظّنّ والحُسبان نسبة كلاميّة غير مجزوم بها ولكنّها راجحة، والغفلة الّتي ينفيها الله ﷻ عنه هي السّهو عن أمرٍ لعدم اليقظة والانتباه، وهذا أمرٌ لا يكن منه ﷻ، فهو القيّوم الّذي لا تأخذه سنةٌ ولا نوم، هنا يخاطب الله ﷻ الرّسول الكريم والمؤمنين معه ومن سيأتي بعدهم: إيّاكم أن تعتقدوا أو تظنّوا أنّ الله غافل، فالله ﷻ قيّوم وموجود، وإيّاك أن تظنّ أيّها الإنسان أنّ هذه الحياة هي نهاية المطاف، فقد يؤخّر الله ﷻ البشر في الحساب ليزداد الحساب في الآخرة، لكن اطمئن يا رسول الله فمن يفعل ظلماً سيتلقّى عقاباً عليه، وحين يتأخّر العقاب لا تتساءلوا ولا تتهامسوا أنّه تمّ نسيان الظّلم الّذي ارتكب من

فلان أو فلان، فلا وجود للغفلة، لذلك نفهم كلمة: ﴿غَٰفِلًا﴾ في هذه الآية بمعنى مؤجّل العقوبة، ولمن يتساءل عليه أن يتذكّر قول الله ﷻ: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝١٨٣﴾ [الأعراف]، فالظّلم يعني أخذ حقّ من صاحبه أو إعطائه لغيره أو أخذه للنّفس، وإذا كان الظّلم في أمر عقديّ فهو الشّرك وهو الجريمة العظمى، وإن ظلمت في أمرٍ من الكبائر فهو الفسق، وإن ظلمت في صغيرةٍ فهو الظّلم، والله ﷻ طمأن رسوله الكريم ويطمئن كلّ مظلوم على وجه الأرض بقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وقال ﷻ: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۝٨٤﴾ [مريم]، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء]، فالإنسان سيُحاسب، وإن أفلت من عدالة الأرض فلن يفلت من عدالة السّماء أبداً فاطمئنّوا.

﴿عَمَّا يَعْمَلُ﴾: نجد فرقاً بين (عمل) و(فعل)، الفعل هو أحداث الجوارح ما عدا اللّسان الّذي هو القول، لكن القول والفعل يصبحان عملاً: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ﴾؛ أي المشركين الّذين استقبلوا القرآن الكريم هذا الاستقبال، والّذين أرجفوا بالإسلام وبالرّسول ﷺ، واستهزأوا منه ﷺ.

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: قد يكون هذا التّأخير في ذلك اليوم الّذي تشخص فيه الأبصار من شدّة هوله ومن شدّة ما سيلاقي الظّالم فيه.

وقد حدثت لمشركي مكّة بعضاً من الظّواهر الّتي تؤكّد قرب انتصار رسول الله ﷺ كما جرى في بدر والخندق وفي كثيرٍ من الأمور، لكنّ عذاب الآخرة هو الأكبر، ففي ذلك اليوم تشخص الأبصار، ومعنى تشخص؛ أي

تُفتح بصورة لا يتقلّب بها من هول ما يرى، وقد يكون عدم تقلّب البصر من شدّة الذّعر ومن فرط الخوف.

**(الآية ٤٣) -** ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾:

يتابع المولى ﷻ هنا صفات هؤلاء يوم القيامة:

﴿مُهْطِعِينَ﴾: المهطع: هو من يظهر من فرط تسرّعه وكأنّ رقبته قد طالت؛ لأنّ المهطع هو من فيه طول، وكأنّ الجزاء في العذاب يجذب المجزي ليقرّبه فيُدفع بشدّةٍ وجفوة إلى العذاب: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطّور]، وكأنّ هناك من يدفعهم دفعاً إلى مصيرهم المؤلم.

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾: أي رافعي رؤوسهم من فرط الدّهشة من هول العذاب الّذي ينتظرهم، في موضعٍ آخر يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾ [يس]، وهكذا تكون صورتهم مفزعة من فرط المهانة، فبصر الواحد منهم شاخصٌ إلى العذاب منجذبٌ إليه بسرعة لا يتحكّم فيه، رأسه مرفوعة من فرط الهول ومقمح بالأغلال، لا يستطيع الواحد منهم أن تجفل جفونه، وكأنّها مفتوحة رغماً عنه.

﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾: وفؤاده هواء بمعنى ألّا شيء قادرٌ على أن يدخله، نحن نلحظ ذلك حين نضع زجاجة فارغة في قلب الماء تخرج فقاقيع الهواء مقابل دخول الماء من فوهتها، فقلب المؤمن يكون ممتلئاً بالإيمان، أمّا الكافر الملحد فهو في مثل تلك اللّحظة يستعرض تاريخه مع الله ﷻ ومع الدّين فلا

يجد فيها شيئاً يطمئنّ إليه، وهكذا يكتشف أنّ فؤاده خالٍ فارغ لا يُطمئن ولا يَطمئن إلى ما يواجه فيه يوم الحساب.

**(الآية ٤٤) –** ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ٤٤﴾:

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ﴾: هذا خطاب من الله ﷻ لرسوله أن ينذرهم بضرورة الاستعداد ليوم القيامة، وأنّه قادمٌ لا محالة.

يوم: ظرف زمانٍ، وظرف الزّمان لا بدّ له من حدثٍ يقع فيه، ويوم القيامة ليس محلّ إنذارٍ أو تبشيرٍ؛ لأنّ الإنذار أو البشارة لا بدّ أن يكونا في وقت التّكليف في الحياة الدّنيا، وهكذا يكون المنذِر هو النّبيّ ﷺ، والمُنذَر به هو التّخويف ممّا يحدث لهم في هذا اليوم من العذاب.

﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾: وهنا يقول أهل الظّلم في القمّة العقيديّة، وظلم الرّسالة بمقاومتها، وظلم الكون المسبّح، بعد كلّ ما عملوه يطلبون تأجيل العذاب لمهلةٍ بسيطةٍ يثبتون فيها أنّهم سيجيبون دعوة الرّسل ويطيعون أوامرهم، وهم يطلبون بذلك تأجيل العذاب والقيامة فيكون الجواب من الله ﷻ:

﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ﴾: فأنتم سبق وأقسمتم أنّ الله ﷻ لا يبعث من يموت، كما قال ﷻ: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ [النّحل]،

وحين ترى كلمة (بلى) بعد هذا التّكذيب، فالمولى ﷻ يقرّعهم، فقد ظنّوا أنّهم بعد الموت سيصيرون تراباً، وهم الّذين قالوا: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧﴾ [المؤمنون]، فأكّدوا لأنفسهم أنّه لا بعث من بعد الحياة، ومن بعد البعث يقول الواحد منهم: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابَۢا ٤٠﴾ [النّبأ: من الآية ٤٠].

**(الآية ٤٥) - ﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ٤٥﴾:**

﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: هذه الآية تبيّن بأنّ هذه المساكن الّتي سكنوها كانت لأقوامٍ كافرةٍ ومشركةٍ بالله ﷻ.

﴿وَسَكَنتُمۡ﴾: السّكون هو الاطمئنان إلى عدم وجود إزعاجٍ، ونعلم أنّ المرأة في الزّواج تُعدّ سكناً، والبيت سكناً والرّجل سكناً لها، وهنا يتكلّم الله ﷻ عن مساكن الّذين ظلموا أنفسهم؛ أي إنّكم لم تتّعظوا من السّوابق الّتي ما كان يجب أن تغيب عنكم، فأنتم تمرّون في رحلات الصّيف والشّتاء على مدائن صالح مثلاً، وترون آثار الّذين ظلموا أنفسهم بالشّرك، وتمرّون على الأحقاف وترون ماذا حاق بقوم عاد، كلّ أولئك نالوا العقاب من الله ﷻ سواءً بالرّيح الصّرصر العاتية، أو أنّه ﷻ أرسل عليهم حاصباً من السّماء، أو أنزل عليهم صيحةً، أو أغرقهم كآل فرعون، وأخذ كلّاً بذنبه، وصدق الله ﷻ وعده في عذاب الدّنيا، فلماذا لم تأخذوا عبرةً من ذلك، وأنّه تعالى صادقٌ حين تحدّث عن عذاب الآخرة، وفي آية أخرى يقول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٣٨﴾ [الصّافّات]؛ لأنّكم تمرّون على تلك الأماكن الّتي

أقامها بعض ممّن سبقوكم، وظلموا أنفسهم بالكفر، وأنزل الله ﷻ عليهم العقاب.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾: فحين تمشي بأرض قوم عاد وترى هذه الحضارة الّتي قال عنها الله ﷻ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾ [الفجر]، حضارة لم تُكتشف آثارها بعد، حتّى الآن ما زالت من المطمورات.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾: هنا يبيّن أنّ مشيئته ﷻ في إنزال العقاب قد وضحت أمام الّذين عاصروا رسالة النّبيّ ﷺ في مساكن الأقوام، وسبق أن ضرب لهم الحقّ ﷻ الأمثال بهؤلاء الأقوام وبما حدث لهم، والمثل إنّما يضربه الله جلّ وعلا ليُقرّب بالشّيء الحسّيّ ما يقرّب من الأذهان الشّيء المعنويّ.

**(الآية ٤٦) –** ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۝٤٦﴾:

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾: المكر: هو تبييت الكيد بخفاءٍ مستورٍ ومأخوذٍ من الشّجرة المكمورة؛ أي الشّجرة الّتي تداري نفسها، ونحن نرى في البساتين الكبيرة شجراً بحجم الإصبع، مجدولةً على شجرةٍ أخرى كبيرةٍ لا تستطيع أن تتعرّف على ورقة منها أو تنسب تلك الورقة إلى مكان خروجها، فهي ملتفّةٌ على بعضها، وهذا معنى المكر، ومن يُبيّت فهو جبانٌ وضعيفٌ، ليس له قدرةٌ على المواجهة، فيبيّت الشّرّ بالسّرّ.

﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾: الله ﷻ خبيرٌ وعليمٌ، قال ﷻ: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: من الآية ٤٣]، وهو يقول ﷻ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: من الآية ٣٠]؛ أي أنّه يبطل مكرهم، وقد مكروا مكرهم؛

أي أنّهم قاموا بالتّبييت المناسب لحيلتهم، فأبطلها الله ﷻ، فيناسبها ما هو من قوّة وقدرة الله ﷻ المطلقة في إبطال هذا المكر.

﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾: هذا المكر مكشوف عند الله تعالى، وقد شبّهه الله ﷻ بهذا التّشبيه البليغ، بأنّه من شدّة مكرهم وتآمرهم وحقدهم يكاد هذا المكر أن تزول منه الجبال، ولكن اطمئن يا محمّد فلو كان مكرهم يزيل الجبال فإنّهم لن ينالوك، ولن يزحزحوك عن الهدف الّذي جئت من أجله، والجبال كانت أشدّ الكائنات ثباتاً بالنّسبة إلى العرب.

**(الآية ٤٧) -﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾:**

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ﴾: والله ﷻ هو القائل: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصّافّات]، فوعْدُ الله ﷻ لرسله عليهم السلام لا يمكن أن يُخلَف أبداً، ولنقف هنا عند الوعود في القرآن الكريم، هناك وعد الشّيطان لأوليائه، كما قال ﷻ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٨]، هناك وعدٌ من الله ﷻ للمؤمنين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النّور: من الآية ٥٥]، فإذا كان الله ﷻ لا يُخلف وعده لأتباع الرّسول، فكيف للرّسول ﷺ؟! فالوعد من الله ﷻ موفّى، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر]، والنّصر يقتضي هزيمة المقابل، ويحتاج النّصر لصفاتٍ

تناسبه، والصّفة المناسبة هي صدور هذا النّصر من عزيزٍ لا يُغلَب، والهزيمة لمن كفروا تحتاج إلى صفةٍ، والصّفة المناسبة هي تحقّق الهزيمة بأمر منتقِمٍ جبّارٍ.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: الخطاب هو للنّبيّ ﷺ ولكلّ المؤمنين؛ أي لا تجعل يا محمّد ولا تضع في الحسبان.

يجب أن تثقوا بوعود الله ﷻ، وهي التّمكين والنّصر للرّسل ولمن آمن بهم، وهنا نتوقّف قليلاً عند موضوع الإساءات المتكرّرة الّتي نسمعها منذ ذلك الزّمن، الآية هنا: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ هي خطابٌ لسيّد المرسلين والبشريّة ﷺ، فمنذ اللّحظات الأولى لإعلان النّبيّ ﷺ نزول الوحي على قلبه وهو يواجه المبطلين والجاحدين والمشركين وأعداء الحقّ والفاسدين الّذين لا يريدون التّغيير، هذه المواجهات بدأت بالإساءة للنّبيّ ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [التّوبة: من الآية ٦١]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب]،كلمة الإيذاء لا تصل إلى الرّسول ﷺ؛ لأنّ الله ﷻ مانعه، فقد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: من الآية ٦٧]، فالسّؤال هنا: هل يصل إيذاءٌ لله ﷻ أو لرسول الله ﷺ؟ الجواب: بالتّأكيد لا، لكن عندما نتحدّث عن محاولة الإساءة المتكرّرة للنّبيّ ﷺ عبر الزّمان، نأتي اليوم إلى ما يحدث من رسوم حاول بعضهم من خلالها الإساءة للنّبيّ ﷺ، وبالتّأكيد لا تصل الإساءة للنّبيّ لكنّها إهانةٌ لمشاعر مليارِيّ مسلمٍ على وجه الأرض، يؤمنون بهذا الدّين وبهذا الرّسول الكريم، ونحن قلنا سابقاً: لسنا مضطّرين لتقديم شهادات حسن سلوك لأولئك النّاس الّذين امتهنوا الإساءات والإجرام والإرهاب عبر تاريخهم الطّويل،

من الاستعمار إلى الاعتداء على بلادنا وعلى مقدّراتنا ومصالحنا، إلى تبنّي الحركات المتطرّفة ودعمها وهي الّتي يدّعون الآن ويقولون: بأنّها إرهابٌ إسلاميٌّ، ولا يمكن الجمع بين الكلمتين، فعندما تقول: إرهابٌ، فحتماً سيكون عكس الإسلام؛ لأنّ الإسلام دين سلامٍ للنّاس أجمعين، قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، والإجرام لا دين له ولا عنوان، المجرم يوصف بإجرامه وبإرهابه وبخروجه عن تعاليم دينه، ولا يُلصَق ذلك بدينه، فإذا عدنا إلى نصوص القرآن الكريم وإلى ما جاء به النّبيّ ﷺ نجد أنّه أجاز القتال في ردّ العدوان فقط، ونجد قوله ﷻ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ [النّحل]، فالعنوان: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾ [فصّلت]، فنصوص القرآن الكريم وكلّ ما جاء عن النّبيّ ﷺ وما فعله عليه الصّلاة والسّلام لم يكن فيه اعتداءٌ على الإنسان ولا حتّى على الحيوان، فقد قال ﷺ: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعاً، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ**»(١)، دخلت النّار؛ لأنّها عذّبت هذا الحيوان، هذه في كلّ تعاليم الدّين، فإذا وُجد إرهابيّ أو مجرمٌ قتل أو أهان أو أساء أو سرق أو اغتاب فهذا لا يُنسب إلى الدّين، فلا يُقال: إرهابٌ

(١) صحيح البخاريّ: كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، الحديث رقم (٢٣٦٥).

إسلاميٌّ، بل هو إرهابٌ خارجٌ عن تعاليم الإسلام، والشّعوب الإسلاميّة على مدى تاريخها شعوبٌ مسالمةٌ محبّةٌ للخير، قال ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: من الآية ٢]، فلا تجد نصّاً من نصوص القرآن الكريم إلّا ويعطي الأوامر لأتباعه بالخير والرّحمة والسّلام والأمن والعطاء والبرّ، قال ﷻ: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ [الممتحنة]، وقال ﷻ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النّحل]، فهل يقبل هذا الدّين بالبغي على أحدٍ، أو قتل أحدٍ؟! فالمعايير المزدوجة في أيّ أمرٍ يتعلّق بالإسلام، ومحاولة إلصاق كلّ جريمةٍ أو إرهابٍ بالدّين الإسلاميّ، كلّ هذا منافٍ للحقائق والوقائع والتّاريخ، فالنّبيّ محمّد عليه الصّلاة والسّلام أخرج البشريّة من الظّلمات إلى النّور، ومدّ رواق العلم والسّلام والأمن في ربوع العالم كلّها، فلا يُتّهم ولا يُساء إليه، وهذه ليست حريّة تعبير، وإنّما هي اعتداءٌ على كرامة ومشاعر الآخرين، وهناك قوانين تعاقب على هذا، ومن غير المقبول الإساءة للدّين الإسلاميّ تحت أيّ شعارٍ أو رسمٍ أو تعبيرٍ.

**(الآية ٤٨) –** ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨﴾:

﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾: يخوّفهم الله ﷻ هنا من يوم القيامة، ويوضّح لهم أنّ الكون الّذي خلقه ﷻ، وخلق فيه آدم وبعده الذّرّيّة كلّها، وأعدّه وسخّره لخدمة آدم وذرّيّته من بعده بأنّه سيتبدّل، وسيحدث

انقلابٌ في المفاهيم كلّها الّتي عهدناها في هذه الحياة الدّنيا، وسيحدث عليها تبديلٌ يتعلّق بالأسباب الّتي وُضعت في الحياة على الأرض، فالأرض الّتي نعرفها أرض أسبابٍ، والسّماء الّتي نعرفها سماء أسبابٍ، وفي الآخرة لا يوجد أسبابٌ، لذلك لا بدّ أن تتبدّل الأرض والسّماء بالطّريقة الّتي لا نعرفها.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾: البروز هو الخروج والمواجهة، وإذا برزوا لله تعالى الواحد القهّار فلا مناص في ذلك اليوم من الحساب، فمن أفلت من عدالة الأرض فإنّه لن يفلت من عدالة السّماء.

**(الآية ٤٩) – ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩﴾:**

﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ﴾: المجرم هو من ارتكب ذنباً، والمراد هنا من ارتكب ذنب القمّة، وهو الكفر بالله ﷻ، وبعدها تأتي الذّنوب الأخرى، فالمجرمون هم الّذين كفروا بالله ﷻ، فتراهم جميعاً مجموعين في قرنٍ، وهو الحبل الّذي يقيّدون فيه.

﴿فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾: الأصفاد: جمع صفد، وهو القيد الّذي يوضع في القدم، فهناك من يُقيَّدون في الأصفاد من أرجلهم، وهناك من يُقيّد بالأغلال؛ أي توضع أيديهم في سلاسل وتُعلّق تلك السّلاسل في رقابهم، وأصحاب كلّ جريمةٍ معيّنةٍ يُجمَع أصحابها برباطٍ واحدٍ، ذلك أنّهم كان يجمعهم أثناء الحياة الدّنيا التّعاطف مع الجرائم، وإن كانوا متنافرين، والله ﷻ يقول: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزّخرف]، وكأنّ كلّاً منهم يُعذّب الآخر قبل أن يذوقوا جميعاً العذاب الكبير.

**(الآية ٥٠) - ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾:**

﴿سَرَابِيلُهُم﴾: سرابيل: جمع سِربال، وهو ما يلي الجسد، نسمّيه في عصرنا قميص، وإذا كان السّربال من قطران، فهو أسودٌ لاذعٌ نتن الرّائحة سريع الاشتعال، تلك صفات القطران، فهو شيءٌ يسيل من بعض أشجار البادية، ويستخدم لعلاج النّوق من الجرب، وعادةً يضرب الله ﷻ المَثَل من الصّورة القريبة إلى الذّهن الّتي يراها العربيّ في بيئته.

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾: إذا تعرّض الإنسان لأمرٍ يصيبه بالعطب فأوّل ما يحاول الحفاظ عليه هو الوجه، ذلك أنّ الوجه هو أشرف شيءٍ في الإنسان، ويقول ﷻ في آياتٍ أخرى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝٢٤﴾ [الزمر]، وكأنّ الواحد منهم من شدّة العذاب يحاول أن يدفع هذا العذاب بوجهه، ويقول ﷻ في موقعٍ آخر: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ [القمر]، وهكذا نجد أنّ الوجه قد جاء في أكثر من صورةٍ من صور هذا العذاب.

**(الآية ٥١) - ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٥١﴾:**

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ﴾: الجزاء أمرٌ طبيعيٌّ في الوجود، وحتّى الّذين لا يؤمنون بإلهٍ ويديرون حركة حياتهم بتقنيّات من عندهم وضعوا لأنفسهم قوانين جزاء تحدّد كلّ جريمةٍ والعقاب المناسب لها، فلا يكون أمراً غريباً أن يضع خالق الكون نظاماً للجزاء ثواباً وعقاباً، ولو لم يضع الحقّ ﷻ

نظاماً للجزاء من الثّواب والعقاب لنال كلّ مفسدٍ بُغيته من فساده، ولأحسّ أهل القيم أنّهم قد خُدعوا في هذه الحياة، وبما أنّ هذا الجزاء أمرٌ طبيعيٌّ فلا ظلم فيه، قال ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ﴾ [غافر: من الآية ١٧]، لا يمكن أن يكون هناك ظلمٌ في هذا اليوم؛ لأنّ الله ﷻ يجزي كلّ نفس ما كسبت؛ أي أنّ المؤمن أو الكافر سيلقى جزاء ما فعل من ثوابٍ أو عقابٍ، والكسب كما نعلم أن تأخذ زائداً عن الأصل، ويُقال: كسبَ السّيّئة، ولا يُقال: اكتسبها؛ ذلك لأنّ ارتكابه للسّيّئة صار تربةً سلوكيّةً يفرح بارتكابها، فأصبحت السّيّئة عنده عادةً، ولا بدّ من الجزاء، والجزاء يحتاج حساباً، والحساب يحتاج ميزاناً، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾[القارعة].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: سيحاسب كلّ نفس بما كسبت، قد يظنّ بعضهم أنّ ذلك سيستغرق وقتاً، لذلك فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾، سيُحاسب الخلق من لدن آدم عليه السلام إلى أن تقوم السّاعة بسرعة تناسب قدرته المطلقة، وحين سأل النّاس الإمام عليّ كرّم الله وجهه: كيف سيُحاسب الله ﷻ الخلق جميعاً دفعةً واحدةً؟ أجاب هذا الجواب الشّافي، قال: كما يرزقكم جميعاً.

**(الآية ٥٢) - ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾:**

﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ﴾: هذه الآية هي مسك الختام من سورة إبراهيم؛ لأنّها

ركّزت على أنّ الدّعوة بلاغٌ صدر عن الله ﷻ ليُبلّغه لرسوله ﷺ الّذي أُيّد بالمعجزة ليحمل منهج الحياة للإنسان الّذي هو خليفة الله ﷻ في الأرض، فهذا الإنسان جاءه بلاغٌ من الرّسول ﷺ وإنذارٌ، وهنا إشارةٌ إلى القرآن الكريم كلّه، فهذا هو البلاغ، وقد نزل من عند الله ﷻ، ويعطينا ما يعطيه النّصّ القانونيّ الحديث، ذلك أنّ النّصّ القانونيّ الحديث يوضّح أنّه لا عقوبة إلّا بنصٍّ يجرّم الفاعل، ولا بدّ من إعلان النّصّ للنّاس كافّة، لذلك يُنشر القانون في الجريدة الرسميّة للدّولة كي لا يقول أحدٌ: أنا أجهل صدور القانون، لا يوجد جهل، قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: من الآية ١٥]، فمهمّة الرّسول هي البلاغ عن الله ﷻ بمنهج الحياة الّذي يصون حركة الحياة، والله ﷻ يقول: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرّعد: من الآية ٤٠]، ويقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب]، ويقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ [الأعراف: من الآية ٧٩]، ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ فلا يوجد حجّة لأحدٍ أن يقول: أُخذت بذنبٍ لم أعرف أنّه ذنباً.

﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾: الإنذار هو التّخويف بشرٍّ سوف يقع، وهذا تخويفٌ قبل وقوع الشّرّ؛ ليوضّح لك بشاعة المخالفة، والتّبشير هو تنبيهٌ لخيرٍ قادمٍ لم يأت أوانه، كي تستعدّ لاستقباله، وهذا بلاغٌ للنّاس يتضمّن البشارة، ولكنّه يرتكز على: ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾؛ لأنّ الخيبة ستقع على مرتكب الذّنوب.

﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: هذه هي القضيّة العقائديّة الأولى الّتي تأتي في قمّة القضايا كلّها، فهو إلهٌ واحدٌ، وأمره واحدٌ، والعبادة هي طاعةٌ، وقد

وضع لك الأسس لذلك من خلال الرّسل والرّسالات الّتي جاؤوا بها.

﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: الألباب: جمع لبّ، وهو العقل الخالص من الشّوائب، وقيل: هو ما زكى من العقل، ولبّ الشّيء هو أنفس ما في الشّيء، أولوا الألباب؛ أي أولوا العقول، ليستقبلوا القضيّة الإيمانيّة بعقولهم، يحرّكون عقولهم، لذلك الدّين دين عقلٍ ليتذكّروا دائماً فهذا معنى: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، ليتذكّر أصحاب العقول أنّ الله ﷻ واحدٌ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٨]، هذه شهادة الذّات للذّات، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عمران: من الآية ١٨]، شهادة الملائكة هي شهادة المواجهة الّتي عايشوها، وشهادة أولي الألباب هي شهادة الاستدلال والمنطق والعقل الّذي يثبت لنا بأنّه لا إله إلّا الله فيتّعظ الإنسان ويتذكّر ويُذكّر الآخرين.

# تَمَّ بِفَضْلِ اللهِ تعالى تَفْسِيرُ الجزْءِ الثّالث عشر

الحمدُ لله الّذي جعلَ القُرآنَ نُوراً لا يُطْفَأُ مِصبَاحُهُ، وسِرَاجاً لا يَخْبُو تَوَقُّدُه، ومَنهَجاً لا يَضِلُّ سَالِكُهُ، وفُرقَاناً لا يَخمَدُ بُرهانُهُ، وبُنياناً لا تُهْدَمُ أحكامُهُ، وحَقّاً لا يُخْذَلُ أعوانُهُ.

اللّهمَّ اجعلنَا ممَّن تأدَّبَ بآدابِ القرآنِ الكريمِ، وائتمرَ بأوامرِه، وانتهى بنواهيه، والتمسَ غرائبَ علومِه، وخشَعَ لسماعِه، وخضعَ لكلامِه، وآمنَ بمتشابِهه، وعَمِلَ بمُحكَمِه، واستنَّ بسُنَّتِه، وحافظَ على واجباتِه، وعَمَّرَ بتلاوتِه جميعَ أوقاتِه، ولم يغفَلْ عن تلاوتِه في حالةٍ من حالاتِه.

سبحانَ ربِّك ربِّ العزَّةِ عمَّا يصفونَ، وسلامٌ على المرسلينَ، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

# فهرس

**رقم الآية – نصّ الآية** **رقم الصّفحة**

**تفسير سورة (يوسف) من الآية: (٥٣–١١١):**


٥٣ – ﴿*وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾..... ٩

٥٤ – ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤﴾..... ٩

٥٥ – ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾..... ٩

٥٦ – ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾..... ١٠

٥٧ – ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧﴾..... ١١

٥٨ – ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨﴾..... ١١

٥٩ – ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٥٩﴾..... ١٢

٦٠ – ﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ٦٠﴾..... ١٢

٦١ – ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١﴾..... ١٢

٦٢ – ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٦٢﴾..... ١٢

٦٣ - ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣﴾ ..... ١٣

٦٤ - ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ ..... ١٣

٦٥ - ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥﴾ ..... ١٤

٦٦ - ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٦٦﴾ ..... ١٤

٦٧ - ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾ ..... ١٥

٦٨ - ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨﴾ ..... ١٦

٦٩ - ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩﴾ ..... ١٦

٧٠ - ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠﴾ ..... ١٧

٧١ - ﴿قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ٧١﴾ ..... ١٨

٧٢- ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾ ..... ١٨
٧٣- ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ ... ١٩
٧٤- ﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾﴾ ..... ١٩
٧٥- ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾
..... ١٩
٧٦- ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ ..... ٢٠
٧٧- ﴿* قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾
..... ٢٠
٧٨- ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ ..... ٢١
٧٩- ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۙ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾
..... ٢٢
٨٠- ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ..... ٢٢
٨١- ﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ۖ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ۖ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾ ..... ٢٣

٨٢- ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ..... ٢٣
٨٣- ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ ..... ٢٣
٨٤- ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ ..... ٢٤
٨٥- ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ..... ٢٤
٨٦- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ ..... ٢٥
٨٧- ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ ..... ٢٥
٨٨- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ ..... ٢٦
٨٩- ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ ..... ٢٦
٩٠- ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ ..... ٢٧
٩١- ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ ..... ٢٧
٩٢- ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ ..... ٢٨

٩٣- ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ ..... ٢٨

٩٤- ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ ..... ٢٩

٩٥- ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ ..... ٣٠

٩٦- ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ..... ٣٠

٩٧- ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ ..... ٣١

٩٨- ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ ..... ٣١

٩٩- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ ..... ٣٢

١٠٠- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ ..... ٣٢

١٠١- ﴿* رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ ..... ٣٥

١٠٢- ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ ..... ٣٦

١٠٣ - ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ ..... ٣٧
١٠٤ - ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ ..... ٣٧
١٠٥ - ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾
..... ٣٧
١٠٦ - ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ ..... ٣٨
١٠٧ - ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا
يَشۡعُرُونَ ١٠٧﴾ ..... ٣٨
١٠٨ - ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠
مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ ..... ٣٩
١٠٩ - ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۗ
أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾ ..... ٤٠
١١٠ - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن
نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ ..... ٤٠
١١١ - ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ
ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾
..... ٤١

**تفسير سورة (الرّعد) من الآية: (١-٤٣):**

١ - ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يُؤۡمِنُونَ ١﴾ ..... ٤٥

٢ - ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ٢﴾ ..... ٤٧

٣ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾ ..... ٥٦

٤ - ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤﴾ ..... ٥٩

٥ - ﴿*وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾ ..... ٦٢

٦ - ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٦﴾ ..... ٦٤

٧ - ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ٧﴾ ..... ٦٦

٨ - ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ٨﴾ ..... ٦٧

٩ - ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ٩﴾ ..... ٦٨

١٠ - ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠﴾ ..... ٦٩

١١ - ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ١١﴾ ..... ٧٠

١٢ - ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ ..... ٧٣

١٣ - ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ ..... ٧٤

١٤ - ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ ..... ٧٦

١٥ - ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ١٥﴾ ..... ٨٠

١٦ - ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ١٦﴾ ..... ٨٢

١٧ - ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ ..... ٨٣

١٨ - ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨﴾ ..... ٨٥

١٩ - ﴿* أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾ ..... ٨٦
٢٠ - ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠﴾ ..... ٨٧
٢١ - ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾ ..... ٨٨
٢٢ - ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾ ..... ٩٠
٢٣ - ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣﴾ ..... ٩٤
٢٤ - ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ ..... ٩٦
٢٥ - ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ ..... ٩٧
٢٦ - ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦﴾ ..... ٩٩
٢٧ - ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ٢٧﴾ ..... ١٠١
٢٨ - ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ .... ١٠٣
٢٩ - ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ ..... ١٠٨
٣٠ - ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾ .. ١٠٩

٣١- ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ ..... ١١١

٣٢- ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ ..... ١١٣

٣٣- ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ۚ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ ..... ١١٤

٣٤- ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ ..... ١١٦

٣٥- ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ ..... ١١٧

٣٦- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ ..... ١١٨

٣٧- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ ..... ١١٩

٣٨- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ ..... ١٢١

٣٩- ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ ..... ١٢٢

٤٠ - ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ ..... ١٢٢
٤١ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ ..... ١٢٣
٤٢ - ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ ..... ١٢٤
٤٣ - ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ ..... ١٢٤

**تفسير سورة (إبراهيم) من الآية: (١-٥٢):**

١ - ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ ..... ١٢٨
٢ - ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾ ..... ١٣٠
٣ - ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ ..... ١٣١
٤ - ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ ..... ١٣٢
٥ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ .. ١٣٦

٦ - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾ ..... ١٣٨

٧ - ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ ..... ١٤٠

٨ - ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾ ..... ١٤٢

٩ - ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۖ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩﴾ ..... ١٤٢

١٠ - ﴿* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ ..... ١٤٤

١١ - ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١﴾ ..... ١٤٧

١٢ - ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝١٢﴾ ..... ١٤٨

١٣ - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٣﴾ ..... ١٤٩

١٤ - ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ ..... ١٤٩

١٥ - ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ ..... ١٥٠

١٦ - ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ ..... ١٥١

١٧ - ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ ..... ١٥٢

١٨ - ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ ..... ١٥٣

١٩ - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ ..... ١٥٥

٢٠ - ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ ..... ١٥٩

٢١ - ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ ..... ١٦٠

٢٢ - ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ ..... ١٦١

٢٣ - ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ ..... ١٦٦

٢٤- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ ..... ١٦٨
٢٥- ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ..... ١٧٠
٢٦- ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ ..... ١٧٢
٢٧- ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ ..... ١٧٣
٢٨- ﴿*أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ ..... ١٧٥
٢٩- ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ ..... ١٧٧
٣٠- ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ ..... ١٧٨
٣١- ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ ..... ١٧٨
٣٢- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾﴾ ..... ١٨٢
٣٣- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ .... ١٨٧
٣٤- ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ

لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ..... ١٨٩
٣٥- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ..... ١٩١
٣٦- ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ..... ١٩٤
٣٧- ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ..... ١٩٥
٣٨- ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ..... ١٩٧
٣٩- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ..... ١٩٨
٤٠- ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ..... ٢٠٠
٤١- ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ..... ٢٠١
٤٢- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ..... ٢٠٢
٤٣- ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ..... ٢٠٥
٤٤- ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن

زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ ..... ٢٠٦
٤٥ - ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ..... ٢٠٧
٤٦ - ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ ..... ٢٠٨
٤٧ - ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ .. ٢٠٩
٤٨ - ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ ..... ٢١٢
٤٩ - ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾ ..... ٢١٣
٥٠ - ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ ..... ٢١٤
٥١ - ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ ..... ٢١٤
٥٢ - ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ ..... ٢١٥
تضرّع ودعاء ..... ٢١٩
فهرس ..... ٢٢١